

الدروس الصوتية

عند أبي حيان الأندلسي
في ضوء علم اللغة الحديث

أ.م. خالد شاكر الخالدي





حيث لا إحتكار للمعرفة

www.books4arab.com

الدرس الصوتي

عند أبي حيّان الأندلسي في ضوء علم اللغة الحديث

الدرس الصوتي

عند أبي حيّان الأندلسي في ضوء علم اللغة الحديث

أ.م. خالد شاكر الخالدي

الطبعة الأولى

2016م



دار امجد للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2015/8/3833)

412.2

الخالدي ، خالد شاكر.

الدرس الصوتي عند أبي حيّان الأندلسي في ضوء علم اللغة الحديث/ خالد
شاكر الخالدي ، عمان ، دار أمجد للنشر والتوزيع، 2015.

() ص

ر.إ: 2015/8/3833

الواصفات: / علم الأصوات // اللغة العربية /

ردمك : ISBN:978-9957-99-216-3

Copyright ©

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق
استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. NO Part of this book may be reproduced, stored in aretrival
system, or transmitted in any form or by any means, without prior permission
in writing of the publisher.

دار أمجد للنشر والتوزيع

جوال : ٠٠٩٦٢٧٩٦٩١٤٦٣٢
هاتف : ٠٠٩٦٢٦ ٤٦٥٢٢٧٧٢
فاكس : ٠٠٩٦٢٦ ٤٦٥٢٢٧٧٢
٠٠٩٦٢٧٩٦٨٠٣٦٧٠

dar.almajd@hotmail.com

dar.amjad2014dp@yahoo.com

عمان - الأردن - وسط البلد - مجمع الفحيس - الطابق الثالث



المحتويات

الصفحة	الموضوع
11	المقدمة
	الفصل الأول: دراسة الأصوات عند أبي حيان مفردة.
17	المبحث الأول: تصنيف الأصوات بحسب المخارج
17	أولاً: المخرج لغةً واصطلاحاً
18	ثانياً: عدد حروف المعجم
19	ثالثاً: الاختلاف في عدد المخارج
22	رابعاً: طريقة ترتيب المخارج
23	خامساً: بيان مخارج الأصوات العربية
23	1- أصوات الحلق
31	2- أصوات أقصى اللسان
34	3- أصوات وسط اللسان
35	4- أصوات حافة اللسان
38	5- أصوات طرف اللسان
46	6- أصوات الشفة
50	7- الخيشوم
51	المبحث الثاني: تصنيف الأصوات بحسب الصفات المتضادة
54	أولاً: الجهر والهمس
54	1- مفهوم الجهر والهمس

56	2- عدد الأصوات المجهورة والمهموسة
57	3- الهمزة
59	4- الطاء
61	5- القاف
63	ثانياً: الشدة والرخاوة
63	1- معنى الشدة والرخاوة
66	2- عدد الأصوات الشديدة والرخوة
68	3- الضاد
75	ثالثاً: الأصوات المتوسطة
77	1- الألف والواو والياء
78	2- اللام
78	3- الميم والنون
79	4- الراء
80	5- العين
81	رابعاً: الجمع بين الصفات
82	خامساً: الإطباق والانفتاح والاستعلاء والانخفاض
86	سادساً: الذلاقة والإصمات
90	المبحث الثالث: تصنيف الأصوات بحسب الصفات غير المتضادة
90	أولاً: القلقة
94	ثانياً: الصفير
95	ثالثاً: الغنة
97	رابعاً: التكرير

99	خامساً: الانحراف
101	سادساً: التفشي
102	سابعاً: الاستطالة
103	ثامناً: صفات أخرى
107	المبحث الرابع: صفات أصوات المدّ واللين
107	أولاً: التمهيد في المصطلح
110	ثانياً : عدد أصوات المدّ واللين والعلاقة بينهما
114	ثالثاً: الواو والياء بين الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة
	الفصل الثاني: دراسة أصوات العربية عند أبي حيان متصلة (مستوى التركيب)
121	المبحث الأول: الإدغام من كلمتين
121	أولاً: الإدغام لغةً واصطلاحاً
123	ثانياً : مجاورة الأصوات
124	ثالثاً: إدغام المتماثلين والمتقاربين
124	1- إدغام المتماثلين
130	2- إدغام المتقاربين
151	رابعاً: حكم النون الساكنة (الإظهار، الإدغام، القلب، الإخفاء)
151	1- الإظهار
154	2- الإدغام
159	3- القلب
161	4- الإخفاء
165	المبحث الثاني: الوقف

165	أولاً : معنى الوقف
166	ثانياً: أنواع الوقف
169	ثالثاً: النقص والزيادة
169	1- النقص
177	2- الزيادة
182	المبحث الثالث: التقاء الساكنين
205	المبحث الرابع: الترقيق والتفخيم
206	أولاً : حكم الراء من حيث الترقيق والتفخيم
209	ثانياً: حكم اللام من حيث الترقيق والتفخيم
	الفصل الثالث: البحث اللهجي واللغات غير العربية عند أبي حيان
215	المبحث الأول: الإبدال والتحول في الصحاح
217	أولاً: إبدال وتحول مستحسن
217	1- النون الخفيفة
219	2- الهمزة التي بين بين
221	3- الألف التي تمال إلى الياء وألف التفخيم
223	4- إبدال الصاد زائياً
226	5- إبدال الياء من الجيم
227	6- العججة
229	7- الكشكشة والكسكسة
232	8- الشين التي كالجيم
233	ثانياً: إبدال وتحول غير مستحسن

233	1- كاف كجيم وجيم ككاف
235	2- الضاد الضعيفة
237	3- جيم كالشين
238	4- الصاد كالسين والطاء كالتاء والطاء كالتاء
239	5- إبدال اللام نون
241	6- إبدال السين تاء
242	7- إبدال الثاء فاء
243	8- إبدال الباء فاء
244	9- القاف المعقودة
247	المبحث الثاني: الإمالة والفتح
247	أولاً : حقيقة الإمالة وأصحابها
251	ثانياً: الإمالة والقراءات
252	ثالثاً: أسباب الإمالة عند أبي حيّان
268	المبحث الثالث: التوافق الحركي
268	أولاً : الإتياع في الحركة
271	ثانياً: الاختلاس والروم والإشمام
277	ثالثاً: حذف الحركة
281	المبحث الرابع: اللسان التركي عند أبي حيّان
281	أولاً: أبو حيّان واللغات الأجنبية
286	ثانياً: موارد كتاب الإدراك
287	ثالثاً: أصوات اللغة التركية

289	رابعاً : صفات الأصوات التركيّة
291	خامساً: الإبدال في الصوامت التركيّة
295	سادساً: الإدغام في اللغة التركيّة
295	سابعاً: اللغات التركيّة الأخرى
297	الخاتمة
301	المصادر والمراجع

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين على ما منح وما منع والصلاة والسلام على
أشرف خلقه وخاتم رسله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابه المرتضين
ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين وبعد..

فاللغة العربية لغة مقدسة، ويكفيها أن القرآن الكريم نزل بها،
ولعلّ نزول القرآن صوتاً لا إملأً يجذب محبي القرآن إلى دراسة أصوات
اللغة العربية، كما وتوثق اهتمامي بالدراسات الصوتية دعاني أبحث عن
موضوع يتناول هذا الجانب، فوقع اختياري على الدرس الصوتي عند أبي
حيّان لكونه نحويّاً ومفسّراً ورجل قراءات وعالمّاً في التجويد الذي يمثل
انعطافة جديدة في الدرس الصوتي في اللغة العربية، فبعد أن كان عالم
التجويد يؤيّد رأيه الصوتي برأي علماء اللغة العربية عكس أبو حيّان
المسألة، وكذلك ذهب مذهباً جديداً في تحديد غاية الدراسة الصوتية عند
النحاة بعد أن كانت ترتبط بأغراض معينة في الموضوعات التي كانوا
يبحثون فيها، فضلاً عن أنّ الموضوع لم يطرح سابقاً، وتلقّيت القبول
والتشجيع من ذوي الاختصاص والخبرة في هذا المجال، فعزمت
الغوص في مضمار هذه الدراسة، وبعد إحاطة كاملة بالموضوع وإمام

واسع بجوانبه ومصادره، شرعت في رسم خطة للدراسة تحدّد منهجها وتناسب طبيعتها، وكنت قد وضعت منهجاً ثابتاً منذ بدء الدراسة وحتى نهايتها هو أن أشفع رأي أبي حيّان بالدرس الصوتي الحديث، ولم أنس القديم وموقف أبي حيّان منه.

ولم أسود الصفحات عن حياة هذا العالم، فتكلّم فيها كثيرون، ومنهم من خصّص كتاباً عن حياته وسرد مؤلفاته، والكتابة في هذا الموضوع لا تعد إلا نقلاً، ولذا انتضمت الدراسة في ثلاثة فصول هي:

الفصل الأوّل، درست فيه (الأصوات العربية عند أبي حيّان مفردة)، فجاء الفصل في أربعة مباحث: المبحث الأوّل عن (تصنيف الأصوات بحسب المخارج)، وتناولت في المبحث الثاني (تصنيف الأصوات بحسب الصفات المتضادة)، وعالجت في المبحث الثالث (تصنيف الأصوات بحسب الصفات غير المتضادة) وجعلت المبحث الرابع لـ (صفات المدّ واللين).

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان (دراسة الأصوات العربية عند أبي حيّان متصلة). وتضمّن الفصل أربعة مباحث: المبحث الأوّل منها لدراسة (الإدغام من كلمتين)، ودرست في المبحث الثاني (الوقف)،

وكانت دراسته مبنية على الدراسة المقطعية، وتناولت في المبحث الثالث (التقاء الساكنين) وبينت موقف أبي حيّان من هذه القضية استناداً لما قيل عنها عند من تقدّمه من علماء العربية، حيث لم يتيسّر لي بحسب اطلاعي دراسة حديثة تناولت هذا الموضوع، وخصّصت المبحث الرابع لدراسة ظاهرة (الترقيق والتفخيم) في اللام والراء.

أمّا الفصل الثالث، وعنوانه (البحث اللهجي عند أبي حيّان واللغات الأخرى) قدّمت من خلاله التفسيرات الصوتية لبعض الظواهر التي تعزى إلى اختلاف اللهجات والتي تطرّق إليها أبو حيّان . وتضمّن هذه الفصل أربعة مباحث: جعلت المبحث الأول فيه تحت مسمّى (الإبدال والتحوّل في الصحاح)، فتكلّمت فيه عمّا يصيب الأصوات من تحوّل أو إبدال نتيجة اختلاف اللهجات وأثر المجاورة، والمبحث الثاني عقده لظاهرة (الإمالة والفتح)، وتناولت في المبحث الثالث (التوافق الحركي)، وجاء المبحث الرابع لأبيّن اهتمام أبي حيّان باللغات غير العربية من خلال مصنّفه المطبوع (الإدراك للسان الأتراك) تناولت آرائه الصوتية، وكان المبحث تحت عنوان (اللسان الترك عند أبي حيّان)، وانتهت هذه الدراسة بخاتمة جمعت فيها أبرز ما توصلت إليه من خلالها، ثمّ أوردت المصادر التي أفدت منها.

وقد قيل أنه إذا عظم الخطب قلّ المساعد، إذ لم يخلو العمل في هذه الدراسة من بعض الصعوبات ؛ فكتب أبي حيان كثيرة، وآراءه متناثرة مما سبّب لي عناءً شديداً في متابعة مؤلفاته واصطياد آرائه الصوتية أو مما يمكن أن يدرس صوتياً، وقد كان (ارتشاف الضرب من لسان العرب) هو المؤلف الرئيس في هذه الدراسة ؛ وذلك لأنّ جلّ آرائه الصوتية ضمنها هذا الكتاب في جزئه الأول، وإن لم تعدم المؤلفات الأخرى من آرائه الصوتية، فضلاً عن أنّ قسماً مما اطلعت عليه يكاد يكون خالياً منها.

وأرى لزماً عليّ أن أشيد بالتشجيع والمساعدة المخلصة التي تلقيتها من الأساتذة الأكارم والزملاء الأعزّاء في إعداد هذه الدراسة، فجزاهم الله خير الجزاء، كما أشكر كل من قدّم لي العون بأيّ إرشاد أو كتاب أو نصيحة، وقد بذلت ما في وسعي { لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } البقرة/ الآية 286، فقد سعت من أجل خدمة لغة القرآن الكريم، فإن أصبت فمن توفيق الله { وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّٰهِ } هود/ الآية 88، وإن كانت الثانية فمن نفسي { وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ } يوسف / الآية 53.

والحمد لله أولاً وآخراً

الفصل الأول

دراسة الأصوات العربية عند أبي حيّان مفرطة

الدرس الصوتي

عند أبي حيان الأندلسي في ضوء علم اللغة الحديث

المبحث الأول

تصنيف الأصوات بحسب المخارج

أولاً: المخرج لغةً واصطلاحاً:

لم يعالج أبو حيّان (المخرج) لغةً واصطلاحاً، وحرّيّ بنا قبل أن نستعرض دراسة الأصوات بحسب المخارج عند أبي حيّان أن نبرز مفهوم المخرج لغةً واصطلاحاً.

فالْمُخْرَجُ لغةً من الفعل (أَخْرَجَ)، أمّا مَخْرَجٌ فهو من الفعل (خَرَجَ)، والذي نميل إلى استعماله مصطلح (مُخْرَج) ؛ وذلك أنّ الكلمة تدل على التعمّل والقصد في إخراج الصوت، في حين أنّ كلمة (مُخْرَج) من (خَرَج) تدل على الطبع لا التعمّل وهذا بالهواء أنسب منه بالصوت.

أمّا المُخْرَج اصطلاحاً فهو: ((المقطع الذي ينتهي الصوت عنده))⁽¹⁾ أو هو ((اسم للموضع الذي ينشأ منه الحرف وهو عبارة عن الحيز المولّد له))⁽²⁾. فالمخرج على هذا هو النقطة المعيّنة التي ينشأ منها الصوت أو يظهر فيها ويتميّز، وهذا لا يختلف عمّا جاء به دارسو

1 شرح المفصل لابن يعيش 124/10.

2 لطائف الإشارات لفنون القراءات: للقسطلاني 182/1.

الأصوات المحدثون فعندهم المخرج هو ((النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء والتي يصدر الصوت منها))⁽³⁾. فهناك تطابق في المفهوم الاصطلاحي بين القدماء - ومن ضمنهم أبو حيّان⁽⁴⁾ - والمحدثين.

ثانياً: عدد حروف المعجم عند أبي حيّان

قال أبو حيّان : ((الحروف تسعة وعشرون، خلافاً للمبرد في زعمه أنّ الهمزة ليست منها))⁽⁵⁾، اقتفى أبو حيّان أثر سيبويه ومن تبعه في تعيين عدد الحروف العربية الأصل، قال سيبويه: ((فأصل حروف العربية تسعة وعشرون...))⁽⁶⁾، ويظهر من نصّ أبي حيّان أنه فصل بين الهمزة والألف المدّية، وهي مشكلة قديمة، إذ أنّ الأبجدية العربية أساساً خالية من الحركات والألف المدّية، فهو بذلك أضاف الألف المدّية إلى بقيّة الصوامت في الأبجدية العربية . وخالف أبو حيّان المبرد في زعمه - على حدّ تعبيره - أنّ الهمزة ليست منها، قال ابن جني: ((أعلم أنّ أصل

3 مدخل إلى علم اللغة : د. محمود فهمي مجازي، ص 43، وينظر: التطور النحوي : براجستراستر ص 5-6.

4 لأنّ أبا حيّان لو كان له رأي آخر في مفهوم المخرج لقاله جرياً على عادته في الاعتراض على غيره كما ستقف عليه إن شاء الله.

5 ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيّان الأندلسي 4/1.

6 الكتاب: سيبويه 4/431.

حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفاً، فأولها الألف وآخرها الياء على المشهور، في ترتيب حروف المعجم، إلا أنّ أبا العباس كان يعدّها ثمانية وعشرين حرفاً ويجعل أولها الباء، ويدع الألف من أولها ويقول هي همزة، ولا ثبت على صورة واحدة، وليست لها صورة مستقرة، فلا اعتدها من الحروف التي أشكّالها محفوظة معروفة....⁽⁷⁾ إذ قال المبرد: ((اعلم أنّ الحروف العربية خمسة وثلاثون حرفاً منها ثمانية وعشرون لها صور...⁽⁸⁾)).

ويبدو مما تقدم أنّ المبرد أسقط الهمزة من الأبجدية يس بسبب عدم وجودها، ولكن بسبب تغيّرها، وهذا يعني أنّه يعترف بها صوتاً لا خطاً.

ثالثاً: الاختلاف في عدد المخارج

قال أبو حيّان : ((والمخارج ستة عشر مخرجاً، خلافاً لقطرب والجرمي والفرّاء وابن دريد في زعمهم أنّها أربعة عشر، ومحل الخلاف هو مخرج اللام والنون والراء، فذهب هؤلاء أنّه مخرج واحد، ومذهب

7 سر صناعة الإعراب: ابن جني.

8 المقتضب 1/194.

الجمهور أنّها ثلاثة مخارج وهو الصحيح لتباينها عند الاختبار)⁽⁹⁾. يبدو من ذلك أنّ هناك اختلافاً في إيراد عدد المخارج عند القدماء، لكن المشهور أنّها ستة عشر مخرجاً، قال سيبيويه: ((ولحروف العربية ستة عشر مخرجاً))⁽¹⁰⁾ وهذا الذي جرى عليه معظم علماء العربية⁽¹¹⁾.

يضاف إلى ذلك أمور أخرى تبدو لنا من الآتي:

1- اتّبع أبو حيّان المشهور بين علماء العربية في عدد المخارج وعدّ ذلك هو الصحيح.

2- مخالفة أبي حيّان الصريحة لمن خالف المشهور في عدد المخارج.

3- تحديد محل الخلاف في عدد المخارج وهو مخرج اللام والنون والراء.

4- ((لا توجد في أيدي الدارسين اليوم المصادر الأصلية التي ورد فيها رأي قطرب والفرّاء والجزمي...))⁽¹²⁾.

9 ارتشاف الضرب من لسان العرب.

10 الكتاب 433/4.

11 ينظر: الواضح في علم العربية: للزبيدي، ص281، وسر صناعة الإعراب 52/1، وشرح

المفصل 123-124، والمقرب: ابن عصفور 5/2، وشرح الشافية: للرضي 250/3.

12 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: د. غانم قدوري الحمد ص177.

غير أنّ ما ورد في كتاب الجهرة قد نصّ على أنّ مخارج الحروف العربية ستة عشر مخرجاً، إذ يقول ابن دريد: ((إنّ هذه التسعة والعشرين حرفاً لها ستة عشر مجرى))⁽¹³⁾ أي مخرجاً . ثم قال عن الحروف الثلاثة التي تمثل موضع الخلاف : ((النون تحت حافة اللسان من الشقّ الأيمن، واللام قريبة من ذلك، والراء أدخل بطرف، ألا أن الراء أدخل بطرف اللسان في الفم))⁽¹⁴⁾. وذهب إلى ما ذهب إليه بعض الدارسين من أنّ هذا الكلام يفهم منه ((أنّ ابن دريد يذهب إلى أنّ لكل حرف من هذه الأحرف الثلاثة مخرجاً مستقلاً، وأنّ عدد مخارج الحروف العربية ستة عشر مخرجاً))⁽¹⁵⁾.

وكما اختلف القدماء في إيراد عدد المخارج، اختلف المحدثون في ذلك، فقد ذهب كاتنيو إلى أنّ مخارج الحروف العربية الرئيسة تسعة مخارج⁽¹⁶⁾، بينما ذهب د. تمام حسان إلى أنّها عشرة مخارج⁽¹⁷⁾،

13 جهرة اللغة : لابن دريد 8/1.

14 جهرة اللغة : لابن دريد 8/1.

15 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 177.

16 ينظر: دروس في علم أصوات العربية: كاتنيو، ص 22.

17 ينظر: مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان، ص 110.

وزهب آخرون إلى أنّها أحد عشر مخرجاً⁽¹⁸⁾، بينما جعلها د. عبد الواحد وافي خمسة عشر مخرجاً⁽¹⁹⁾. وجوهر الخلاف بين القدماء والمحدثين وبين القدماء أنفسهم وبين المحدثين أنفسهم مبني على عدّ قسم من الأصوات بأنّها متّحدة بمخرج واحد وهذا يقلل عدد المخارج، أو استقلال قسم من الأصوات بمخرج خاصّة بها وهذا يكثر عدد المخارج.

رابعاً: طريقة ترتيب المخارج

بدأ أبو حيّان بتناول المخارج بالترتيب العددي نحو: ((المخرج الأول أقصى الحلق وهو للهمزة والهاء... والمخرج الثاني وسط الحلق وهو للعين...))⁽²⁰⁾ وهكذا حتى يصل بالترتيب العددي إلى المخرج السادس عشر، ولم أطلع على مثل هذا الترتيب لترتيب المخارج عند من سبقه. كذلك رتب أبو حيّان المخارج ترتيباً تصاعدياً يبدأ بأقصى الحلق ثم يتدرّج صاعداً حتى ينتهي بالشفّتين، فهو بذلك يسير على منهج جمهور علماء العربية وعلماء التجويد. وقد عزف الكثير من المحدثين عن هذا الترتيب، واتّبعوا الترتيب المعاكس له الذي يبدأ بالشفّتين وينتهي بأقصى

18 ينظر علم اللغة : للسعران، ص 199، وعلم اللغة العام - الأصوات - : د. كمال محمد

بشر ص 112، ودراسة الصوت اللغوي : د. احمد مختار عمر، ص 269.

19 ينظر فقه اللغة : د. علي عبد الواحد وافي ص 165.

20 ارتشاف الضرب من لسان العرب 5/1.

الحلق (الخنجرة)⁽²¹⁾ . وإنّ كلا الترتيبين يؤدي إلى نتيجة واحدة، فلا ضير في استخدام أيٍّ منهما، ولكن ((جمهور علماء العربية والتجويد اختاروا البدء بالأقصى دون الأدنى ؛ لأنّ مادة الصوت هي الهواء الخارج من داخل الإنسان، وأنّ أوّل نقطة يمكن أن ينتج فيها أوّل صوت لغوي اعتبروها أوّل الخارج، وهي أقصى الحلق (الخنجرة)))⁽²²⁾.

خامساً: بيان مخارج الأصوات العربية

1- أصوات الحلق

الحلق مصطلح واسع عند أبي حيّان ومن تقدمه، ضيق عند المحدثين، فهو عند أبي حيّان يتكون من ثلاثة أقسام هي: أقصى الحلق، وأوسطه، وأدناه⁽²³⁾ فيشمل بذلك الخنجرة بما فيها الوتران الصوتيان، أمّا عند المحدثين فإنّ الخنجرة مستقلة عن مفهوم الحلق الذي يعلو الخنجرة⁽²⁴⁾. وعليه فإنّ للحلق ثلاثة مخارج عند أبي حيّان من مجموع المخارج الستة عشر.

21 ينظر: علم اللغة العام - الأصوات - ص 112 و 117، ودراسة الصوت اللغوي ص 269.

22 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 189.

23 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 5/1.

24 ينظر: دراسة الصوت اللغوي ص 81-83.

فالخرج الأول، قال أبو حيان: ((فالخرج الأول أقصى الحلق وهو للهمزة والهاء والألف على رتبة واحدة خلافاً لأبي الحسن⁽²⁵⁾ في زعمه أن الهمزة أول وأن الألف والهاء في رتبة واحدة، خلافاً لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي⁽²⁶⁾ وغيره في زعمهم أن الهمزة أول وهي من أول الصدر وآخر الحلق، وهي أبعد الحروف مخرجاً ثم الألف تليها وهي صوت لا يعتمد ثم الهاء بعدها، وخلافاً لمن زعم بعدها أن الهاء قبل الهمزة في الرتبة وأنها أدخل إلى الصدر، وخلافاً لأبي الحسن شريح⁽²⁷⁾ في زعمه أن الألف هوائية لا مخرج لها فحروف الحلق عنده ستة، وقد روي هذا عن الخليل))⁽²⁸⁾.

ويلاحظ أن أبا حيان قد وافق من سبقه في تعيين أصوات هذا المخرج⁽²⁹⁾، بيد أنه جعل أصواته على رتبة واحدة، فأبدى بذلك مخالفته لكل من ادّعى الترتيب . ولم يختلف أبو حيان عن سبقه من العلماء في عدّ الألف ضمن أصوات الحلق، وهذا مما لا يتفق مع ما عليه الدراسة

25 هو أبو الحسن الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، ت: 215 هـ.

26 أحمد ابن عمار المهدوي من علماء التجويد ت 440 هـ، ينظر: بغية الوعاة للسيوطي 351/1.

27 أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني الأشبيلي ت 539 هـ.

28 ارتشاف الضرب من لسان العرب 5/1.

29 ينظر: الكتاب 433/4، وسر صناعة الإعراب 52/1 - 53.

الحديثة، فدارسو الأصوات العربية المحدثون (يفصلون بين الألف والهمزة فينسبون الهمزة إلى فتحة المزمار، وينسبون الألف إلى مكان ما في تجويف الفم)⁽³⁰⁾.

وإذا سأل سائل عن السبب الذي جعل أبا حيّان ومن تقدّمه من العلماء يخلطون فيجعلون الألف من أصوات الحلق!

فالجواب عن ذلك ينحصر بكيفية ولادة الألف ((فالقول بولادة الألف بالصفة لا بالخرج يفسّر ما قاله علماء العربية من أنّ مخرج الألف من أقصى الحلق - حيث الوتران الصوتيان - ذلك إنّهم أحسّوا ولادتها في هذا الموضع، ولم يكونوا على علم بالوترين الصوتيين وأثرهما في صفة الصوت فحسبوه أثراً في المخرج. وإذا مضينا أبعد من ذلك وقلنا أنّ مخرج الحرف إنّما هو حيث يولد، كان كلامهم في غاية الدقّة ؛ لأنّ ولادة الألف إنّما تكون في الوترين الصوتيين باهتزازهما))⁽³¹⁾. بذلك القول نلتمس العذر لأبي حيّان ومن تقدّمه في جعلهم الألف ضمن أصوات الحلق.

30 دراسة الصوت اللغوي ص 296.

31 أصوات العربية بين التحوّل والثبات : د. حسام النعيمي، ص 18.

أمّا ما عليه الدراسة الحديثة فإنّ ((الألف صائت مجهور يحدث نتيجة اندفاع الهواء في مجراه المستمر خلال الحلق والفم دون أن يعترضه مقطع يثنّيه أو يضيق مجراه))⁽³²⁾، فهو ينتج عن طريق إراحة اللسان في قاع الفم، مع ارتفاع طفيف جداً لوسطه في اتّجاه منطقتي الغار والطبق اللين⁽³³⁾.

أمّا مخرج الهمزة عند المحدثين، فقد جعلها كاتنينو من أقصى الحلق موافقاً ما جاء به أبو حيّان⁽³⁴⁾، وذكر د. أنيس أنّ ((مخرج الهمزة المحققة من المزمار نفسه، إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً لا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة))⁽³⁵⁾.

بينما ذكر بعضهم بأنّها من الخنجرة⁽³⁶⁾، وبما أنّ شمول لفظ الحلق عند أبي حيّان "الخنجرة" فلا خلاف إذن في مخرج الهمزة بين

32 الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : د. حسام النعيمي، ص 302.

33 ينظر دراسة الصوت اللغوي، ص 271.

34 ينظر : دروس في علم الأصوات العربية، ص 123.

35 الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ص 89-90.

36 ينظر : علم اللغة / للسعران، ص 171 وعلم اللغة العام - الأصوات - ص 112.

القدماء ومنهم أبو حيّان وبين المحدثين على اختلاف اصطلاحاتهم لمخرج الهمزة⁽³⁷⁾.

أمّا مخرج الهاء فهو عند المحدثين أيضاً من أصوات أقصى الحلق⁽³⁸⁾، وعبر عنه بعضهم بأنّه من أقصى الحلق أو داخل المزمار بقوله: ((عند النطق به يظل المزمار منبسّطاً دون أن يتحرّك الوتران الصوتيّان، ولكن اندفاع الهواء يُحدث نوعاً من الحفيف يُسمع في أقصى الحلق أو داخل المزمار))⁽³⁹⁾.

وذكر السعران بأنّه من الحنجرة⁽⁴⁰⁾، بينما صرّح د. أحمد مختار أنّه حنجري أو مزماري⁽⁴¹⁾ ومهما تعدّدت أقوالهم فلا تختلف مع وصف أبي حيّان لما ذكرنا من أنّ عبارة أقصى الحلق عند القدماء عموماً تعني الحنجرة التي تتضمّن الوترين الصوتيين.

أمّا المخرج الثاني، قال أبو حيّان: ((والمخرج الثاني وسط الحلق، وهو للعين والحاء، وظاهر كلام سيبويه أنّ الحاء بعد العين، وهو نص

37 ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 304.

38 ينظر: دروس في علم أصوات العربية، ص 119.

39 الأصوات اللغوية، ص 88.

40 ينظر: علم اللغة: للسعران، ص 196.

41 ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص 273.

كلام مكي بن أبي طالب، ويظهر من كلام المهدوي أنّ العين بعد الحاء، وهو نص أبي الحسن شريح⁽⁴²⁾.

من خلال هذا النص تظهر أمور هي:

- 1- أنّ أبا حيان لم يذكر في هذا المخرج مسألة الترتيب كما رأيناه في المخرج الأول إذ جعل الأصوات في مرتبة واحدة.
- 2- صرح بأن ظاهر كلام سيبويه مجيء الحاء بعد العين، وأيد ذلك بنص لأحد علماء التجويد وهو مكي بن أبي طالب.
- 3- أفصح عن كلام المهدوي الذي يظهر منه أنّ العين بعد الحاء وهو ما نص عليه أبو الحسن شريح.
- 4- يبدو أنّ أبا حيان أخذ بالظاهر من كلام سيبويه في مجيء الحاء بعد العين في الترتيب.

أمّا وصف المحدثين لمخرجي هذين الصوتين بأنهما حلقيان وإن اختلفت عباراتهم في ذلك، فقد ذكر بعضهم أنّهما من وسط الحلق، وأنّهما يحدثان في الفراغ الحلقّي أعلى الحنجرة فهما حرفان حلقيان⁽⁴³⁾،

42 ارتشاف الضرب من لسان العرب: 5/1، وينظر: الكتاب 4 / 433.

43 ينظر: علم اللغة : للسعران ص 194.

وذكر بعضهم أنّهما يحدثان عن طريق تقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق، ويسمى حينئذٍ الصوت حلقياً⁽⁴⁴⁾.

إذن فمخرجهما واحد إلا أنّ الحاء لا يتحرك الوتران الصوتيان معه فهو مهموس ونظيره المجهور وهو العين⁽⁴⁵⁾.

أمّا المخرج الثالث فقال أبو حيان : ((والمخرج الثالث أدنى الحلق ألى الفم وهو للغين والحاء ويظهر من كلام سيبويه أنّ الغين قبل الحاء وهو قول أبي الحسن ونصّ مكي على تقديم الحاء فيه على الغين، وزعم ابن خروف أنّ سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد⁽⁴⁶⁾.
يتبين ممّا تقدّم أنّ :

- 1- (خ غ) الغين قبل الحاء، وهو ظاهر كلام سيبويه، وقال به أبو الحسن ويبدو أنّ أبا حيان وافقهما في ذلك.
- 2- (خ غ) الحاء قبل الغين، نصّ عليه مكي بن أبي طالب.
- 3- لا ترتيب بينهما صوتياً، وهو ما نصّ عليه ابن خروف.

44 ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص 272.

45 ينظر: دروس في علم أصوات العربية، ص 31، ودراسة الصوت اللغوي، ص 272.

46 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/ 5 - 6.

وما جاء به ابن خروف يثير قضية ترتيب الأصوات التي تخرج من مخرج واحد وبيان موقف أبي حيان والمحدثين من ذلك. فقول سيبويه : ((ومن أواسط الحلق العين والحاء))⁽⁴⁷⁾ هل يعني العين قبل الحاء أو أنه لم يقصد بينهما ترتيباً؟

يقول أبو الحسن علي بن محمد بن خروف: ((أن سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد))⁽⁴⁸⁾. ومن المحدثين من استدلل بقول ابن خروف ونص على أن الخلاف في ترتيب الأصوات التي هي من مخرج واحد هو خلاف وهمي، فقد قال: ((تدل التجارب الحديثة على صحة كلام سيبويه في كل هذا، فكل صوتين من أصوات الحلق حيز معين يحلان فيه معاً دون ترتيب لأحدهما على الآخر))⁽⁴⁹⁾.

ويبدو أن قضية ترتيب الأصوات التي تخرج من مخرج واحد شغل بها علماء التجويد⁽⁵⁰⁾، ويبدو أن أبا حيان كان قد تأثر بهم وعرض أقوالهم على اختلافها، وذهب مع من أخذ بترتيب سيبويه، ولم يكن لدى علماء التجويد معيار ثابت لترتيب الأصوات التي من مخرج

47 الكتاب 4/433.

48 ارتشاف الضرب من لسان العرب 6/1.

49 الأصوات اللغوية 113.

50 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 183.

واحد، يدلّنا على ذلك أقوالهم المختلفة التي عرضها أبو حيّان، وربما كان أبو حيّان قد اعتمد معياراً لترتيب الأصوات لم أهتم إليه، ومما جعلني أقول ذلك هو إنكاره لمسألة الترتيب في المخرج الأول وجعل أصواته في رتبة واحدة، أمّا في المخرجين الثاني والثالث فادّعى مسألة الترتيب وأنكر على من لم ينصّ عليها.

2- أصوات أقصى اللسان

قال أبو حيّان : ((والمخرج الرابع أقصى اللسان وهو القاف وهو مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك، وقال شريح : القاف مخرجها من أول اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء. والمخرج الخامس ثاني أقصى اللسان وهو الكاف من أسفل من مخرج القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحنك))⁽⁵¹⁾.

فجعل أبو حيّان لأقصى اللسان مخرجين: مخرج للقاف ومخرج للكاف. واجتزأ قول سيبويه⁽⁵²⁾ واقتصر على أقصى اللسان، مع بعض التوضيحات، مثل: (هو مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك). وإضافة قول شريح بن محمد الرعيني إنّ القاف مخرجها من أول اللهاة مما يلي الحلق

51 ارتشاف الضرب من لسان العرب 6/1.

52 ينظر : الكتاب 433/4.

ومخرج الخاء. وهذا القول ((يؤدي إلى النتيجة نفسها التي يؤدي إليها مذهب غيره من العلماء، وهو القول إن القاف تسبق الكاف))⁽⁵³⁾.

وزهب بعض المحدثين مذهب أبي حيان ومن تقدّمه في عدّ الغين والحاء من أصوات أدنى الحلق إلى الفم، وعدّ القاف من أصوات اللهاة أو أقصى اللسان، والكاف أدنى من ذلك إلى مقدم الفم⁽⁵⁴⁾.

في حين ذهب آخرون من دارسي الأصوات المحدثين إلى ترتيب آخر في توزيع مخارج الأصوات الأربعة (الغين والحاء و القاف و الكاف) يتلخّص في تقديم مخرج القاف على مخارج الأصوات الثلاثة الأخرى، فتكون (الغين والحاء والكاف) من أقصى الحنك، وتكون القاف من اللهاة أعمق الأصوات الثلاثة⁽⁵⁵⁾.

في حين ذهب بعضهم إلى عدّ أصوات (الغين والحاء و القاف) من اللهاة وما يلامسها من غشاء الحنك، مع إبقاء صوت الكاف من أقصى الحنك⁽⁵⁶⁾. وذكر بعض المحدثين أن ترتيب علماء العرب القدامى

53 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 194.

54 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 86-87.

55 ينظر: دراسة الصوت اللغوي ص 272، وعلم اللغة العام - الأصوات - 113.

56 ينظر: دروس علم أصوات العربية، ص 23، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد،

ص 195.

للمخارج موافق لترتيبنا فقال: ((وترتيب المخارج هكذا ترتيب صحيح بصفة جليّة ملحوظة وموافق تقريباً لترتيبنا))⁽⁵⁷⁾. ومن هنا تظهر ثلاثة اتجاهات في ترتيب مخارج الأصوات الأربعة:

1- غ خ / ق ك، وهو مذهب علماء العربية والتجويد ومن ضمنهم أبو حيان.

2- ق / غ خ ك، تكون القاف لهوية، والأصوات الثلاثة من أقصى الحنك.

3- غ خ ق / ك، تكون الأصوات الثلاثة الأولى من اللهاة مع ما يتصل بها من غشاء الحنك، والكاف من أقصى الحنك.

وعليّنا كما يقول الدكتور غانم قدوري الحمد : ((أن نحافظ على ترتيب علماء العربية والتجويد لهذه الحروف الثلاثة، مع احتمال كبير أن يكون للهاة دور في إنتاج الغين والحاء إلى جانب الجزء الأعلى من الحلق، وهو ما يعبر عنه بأدنى الحلق من الفم. وهذا ينطبق على الاتجاه الأول كما أنّه لا يبتعد عن الاتجاه الثالث إذا اعتبرنا أنّ "القاف والغين والحاء" تخرج من مخرج واحد))⁽⁵⁸⁾. وعلى الرغم من التداخل الكبير

57 دروس في علم أصوات العربية، ص 32.

58 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 198.

في أمر الالقاف والغين والحاء، يترجح لديّ أنّ صوتي الغين والحاء أعمق من القاف، وأنّ مخرجها في محاذاة التجويف الحلقي، بينما مخرج القاف يحاذي أقصى الحنك الأعلى.

3- أصوات وسط اللسان

قال أبو حيّان : ((والمخرج السادس وهو للجيم والشين والياء وهي من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، خلافاً للخليل في الياء، إذ زعم أنّها هوائية لا مخرج لها كالألف، ويظهر أنّ الجيم قبلهما، خلافاً للمهدوي في زعمه أنّ الشين تلي الكاف، والجيم والياء تليان الشين))⁽⁵⁹⁾.

يبدو من النصّ أمور:

أ- موافقة أبي حيّان ومن تقدّمه في تعيين مخرج أصوات الجيم والشين والياء. قال سيبويه: ((ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء))⁽⁶⁰⁾.

59 ارتشاف الضرب من لسان العرب 6/1.

60 الكتاب 433/4.

ب- مخالفة أبي حيان للخليل بن أحمد في عدّه الياء هوائية لا مخرج لها.
فإن كان الخليل قاصداً الياء المدية فلا وجه لمخالفة أبي حيان له،
وإن كان قاصداً بها الياء غير المدية فتصح مخالفة أبي حيان له.

ت- أكد مسألة الترتيب آخذاً بظاهر كلام سيبويه من أنّ صوت
الجيم قبل الشين والياء، وخالف المهدوي في تقديمه الشين على
الجيم والياء . غير أنّ دارسي الأصوات من المحدثين يقدمون
مخرج الياء على مخرجي الجيم والشين⁽⁶¹⁾. على أنّ بعضهم يصرّح
بقوله: ((يجب أن نعلم أنّ بين الياء وبين الجيم والشين قرباً شديداً
في المخرج، حتى أنّ بعض الدارسين سمى هذه الأصوات الثلاثة
أصوات وسط الحنك))⁽⁶²⁾. ولعل هذا القرب الشديد بينهما
جعل المهدوي يقدّم الشين على الجيم والياء لما فيها من تفشّي
واضح.

4- أصوات حافة اللسان

لحافة اللسان عند أبي حيان مخرجان وصوتان هما الضاد واللام، أمّا
الضاد فقد قال عنها: ((المخرج السابع وهو للضاد وهي من أول حافة

61 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 200، وينظر: الدراسات اللهجية

والصوتية عند ابن جني ص 308.

62 علم اللغة العام - الأصوات - ص 113.

اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر أو الأيمن عند الأقل، وكلام سيويه يدل على أنها من الجانبين خلافاً لمن ذهب إلى أنها تختص بالجانب الأيمن، وخلافاً للخليل في زعمه أنها شجرية من مخرج الجيم والشين⁽⁶³⁾.

ويستدل من وصف أبي حيان لصوت الضاد في زمن من تقدمه من أنها تخالف تلك التي ننطق بها الآن⁽⁶⁴⁾، ووصف المحدثون من دارسي الأصوات العربية الضاد بأنه انفجاري⁽⁶⁵⁾ أو أدنى حنكي⁽⁶⁶⁾. إنما هو نتيجة نطق العرب اليوم لا جميعهم، وهو لا يوافق ما نطقه العرب يوم وصفت الأصوات⁽⁶⁷⁾.

وأبدى أبو حيان مخالفته للخليل بن أحمد حين عدّ صوت الضاد من الأصوات الشجرية، وسمّاها شجرية لأنّ مبدأها من شجر الفم وهو مفرجه⁽⁶⁸⁾. وذكر أبو شامة المقدسي (ت 656هـ) في شرح الشاطبية أنّ

63 ارتشاف الضرب من لسان العرب 6/1، وينظر: الكتاب 433/4.

64 ينظر: الأصوات اللغوية ص 48.

65 ينظر: نفسه.

66 ينظر: دروس في علم أصوات العربية ص 30.

67 ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية ص 308.

68 ينظر: العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي، 58/1، والدراسات الصوتية عند علماء

التجويد 201.

((منهم من يجعل مخرج الضاد قبل الجيم والشين والياء))⁽⁶⁹⁾ . وكان سيبويه قد ذكر "الضاد" قبل الجيم حين رتب الأصوات (... ك ض ج ش ي ...) ⁽⁷⁰⁾، لكنّه أخرها عن أصوات وسط اللسان (ج ش ي) حين تحدث عن المخارج . وصحّح ابن جني ترتيب سيبويه للأصوات، فجعل الضاد بعد الياء ليتوافق مع ترتيب المخارج⁽⁷¹⁾، وكذلك فعل أبو حيّان حين رتب المخارج وإن لم يذكر ترتيباً للأصوات. وعلى هذا يكون ترتيب المخارج على رأي جمهور علماء العربية وكذلك علماء التجويد كالآتي: (... ك ج ش ض ...).

أمّا اللام فقد قال أبو حيّان : ((والمخرج الثامن هو لللام وهي من حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرفه ما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى فما فوق الضاحك والناب والرابعة والثنية))⁽⁷²⁾.

69 نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 201.

70 ينظر: الكتاب 4/431.

71 ينظر: سر الصناعة 1/50 .

72 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/6.

ولم يضيف أبو حيّان أي زيادة على كلام سيبويه من أجل توضيح مخرج اللام⁽⁷³⁾، وهي بهذا الوصف عند المحدثين أيضاً على إيجاز عباراتهم فقالوا: ((يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا))⁽⁷⁴⁾.

وكذلك على اختلاف تسمياتهم، فبعضهم عبّر عنه بأنّه جانبي فقال: ((اللام الجانبية المرققة واللام الجانبية المفخّمة اللتان يتم نطقهما عن طريق اتّصال طرف اللسان بالثثة اتصالاً محكماً يمنع مرور الهواء من الأمام لكي يسمح بمروره إمّا من أحد جانبي اللسان أو من كلا الجانبين))⁽⁷⁵⁾. وجعلها بعضهم من أصوات أدنى الحنك⁽⁷⁶⁾، فالوصف واحد فلا يهم الاختلاف في التسمية⁽⁷⁷⁾.

5- أصوات طرف اللسان

ولطرف اللسان عند أبي حيّان خمسة مخارج، وأحد عشر صوتاً، هي: (ر، ن، ط د ت، ص ز س، ظ ذ ث)، وقد سمى بعض المحدثين

73 ينظر: الكتاب 4/433.

74 علم اللغة : للسعران 185، وينظر: الأصوات اللغوية 64، علم اللغة العام - الأصوات - ص 166، ودراسة الصوت اللغوي ص 270.

75 دراسة الصوت اللغوي ص 270.

76 ينظر: دروس في علم أصوات العربية ص 30.

77 ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 309.

أصوات طرف اللسان بـ (المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة الخارج)، وقال عنها : ((وجه الشبه بين كل هذه الأصوات هو أن مخرجها تكاد تنحصر بين أول اللسان بما فيه طرفه، والثنايا العليا بما فيه أصولها))⁽⁷⁸⁾. أمّا مخرج النون فقد قال أبو حيان : ((والمخرج التاسع وهو للنون وهي من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا متصلاً بالخيشوم وتحت اللام قليلاً))⁽⁷⁹⁾. فقد حافظ أبو حيان على عبارة سيبويه⁽⁸⁰⁾ في بيان مخرج النون، لكنه أضاف إضافة قيمة تتعلق بإخراج النون، كان قد أضافها قبله علماء التجويد⁽⁸¹⁾ وهي الربط بين مخرج النون في الفم باعتماد طرف اللسان على ما فوق الثنايا العليا، وبين خروج النفس في أثناء ذلك من الخيشوم.

فمن خلال هذه الإضافة الإضافات السابقة واللاحقة يستدل على أن أبا حيان كانت معالجته للأصوات تسير باتجاهين : الأول اعتماد آراء علماء العربية الصوتية وجعلها الأساس لدراسته، والثاني يتمثل في تأثره بعلم التجويد من خلال إيراد آراء علماء التجويد في دراسة الأصوات،

78 الأصوات اللغوية، ص 46.

79 ارتشاف الضرب من لسان العرب 6/1.

80 ينظر: الكتاب 433/4.

81 ينظر: الدراسات لصوتية عند علماء التجويد ص 204.

لا سيما أنّ أبا حيّان كان قد عكف على دراسة علم التجويد على يد شيخه ابن الناظر (ت: 679هـ) وأخذ عنه مؤلفه في التجويد⁽⁸²⁾.

ويكاد يكون هذا الوصف لمخرج النون عند المحدثين أيضاً، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: ((ففي النطق به - النون - يندفع الهواء من الرئتين محرّكاً الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً، حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم، ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يُسمع. فهي في هذا كالميم، غير أنّه يفرّق بينهما أنّ طرف اللسان مع النون يلتقي بأصول الشايات العليا...))⁽⁸³⁾. واستخدم بعضهم مصطلح اللثة بدلاً من "فوق الشايات"، فقال: ((النون الأنفية التي يتم نطقها عن طريق اتصال طرف اللسان باللثة اتصالاً محكماً يمنع مرور الهواء وتخفيض الطبقة اللينة ليسمح بمرور الهواء في تجويف الأنف))⁽⁸⁴⁾. ويقول الدكتور حسام النعيمي: ((وعندي أنّ النون يمكن إخراجها باتّصال طرف اللسان بأسفل اللثة وهو ما عبّر عنه ابن جني بلفظ "فوق الشايات"

82 غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري، 242/1.

83 الأصوات اللغوية، ص 66-67.

84 دراسة الصوت اللغوي، ص 270.

ويمكن إخراجَه أيضًا بأن يتّصل طرف اللسان بأصول الثنايا وما اتّصل بها من اللثة، وهذا هو الذي نظر إليه المحدثون)) (85).

أمّا مخرج الراء، فقال أبو حيان: ((المخرج العاشر وهو للراء وهي من مخرج النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا سوى أنّها أدخل في ظهر اللسان قليلاً من النون، وتقدّم مذهب الجرمي ومن وافقه وهو الظاهر من كلام الخليل)) (86). فلم يزد أبو حيان على ما ذكره سيبويه ومن تبعه من علماء العربية والتجويد (87) بشأن مخرج الراء.

وقد أشار أبو حيان إلى الخلاف الذي تقدّم ذكره حول مخرج اللام والنون والراء (88)، وكيف عدّها الجرمي ومن وافقه من مخرج واحد، وأشار إلى أنّ هذا المذهب هو الظاهر من كلام الخليل، ولعلّ القرب الشديد بين مخارج هذه الأصوات الثلاثة (ل، ر، ن) جعل بعض العلماء يرون أنّها من مخرج واحد (89). ولم يبعد ما جاء به أبو حيان عن

85 الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 309، وكذلك عبر أبو حيان بلفظ فوق الثنايا.

86 ارتشاف الضرب من لسان العرب 7/1.

87 ينظر: الكتاب 433/4، والرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: مكي القيسي، ص 169.

88 ينظر: ص 18-19 من هذا الكتاب.

89 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 63.

وصف المحدثين لمخرج الراء، فقد قال الدكتور أنيس: ((والراء صوت مكرر؛ لأنّ التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في النطق بها، كأنّما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقاً ليناً يسيراً مرتين أو ثلاثاً لتتكون الراء العربية))⁽⁹⁰⁾.

واستخدم بعضهم لفظ فويق مغارز الثنايا⁽⁹¹⁾، وهو يشير إلى اللثة، وبعضهم صرح بأنّ الراء يتم نطقها عن طريق ضرب طرف اللسان باللثة⁽⁹²⁾، والمعنى واحد.

وما ورد في بيان مخرج الراء عند أبي حيّان يثير قضية ترتيب مخرجي هذين الصوتين (ن، ر) وأيهما قبل الآخر، في حين نجد أنّ أبا حيّان يذكر أنّ مخرج النون قبل مخرج الراء نجده يقول في مخرج الراء: ((من مخرج النون ... غير أنّها أدخل في ظهر اللسان قليلاً من النون))⁽⁹³⁾.

نفهم من ذلك أنّه يشير إلى تقدّم مخرج الراء⁽⁹⁴⁾، وكان سيبويه قد قدّم ذكر صوت الراء في ترتيب الأصوات العربية على صوت النون،

90 الأصوات اللغوية، ص 66.

91 ينظر: دروس في علم الأصوات العربية، ص 87، علم اللغة : للسعران، ص 185.

92 ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص 271.

93 ارتشاف الضرب من لسان العرب 7/1.

94 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 205.

وقد تبعه ابن جني في ذلك، أي على هذا النحو (...ل ر ن...)⁽⁹⁵⁾. أما علماء الأصوات المحدثون فإنهم يقدمون مخرج الراء على مخرج النون وإن اختلفت مسمياتهم وتباينت مصطلحاتهم التي استخدموها في تعيين المخرج⁽⁹⁶⁾.

أما مخرج الطاء والذال والطاء فقال أبو حيان عنها: ((والمخرج الحادي عشر وهو للذال والطاء والطاء، وثلاثتها تخرج مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك))⁽⁹⁷⁾. وقد حافظ أبو حيان على عبارة سيبويه، مع بعض الإضافات التوجيهية، قال سيبويه: ((ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والذال والطاء))⁽⁹⁸⁾.

وقد نص علماء التجويد⁽⁹⁹⁾ على تلك الإضافات التوضيحية التي وردت عند أبي حيان، فهو بذلك جعل كلام سيبويه أساساً ثم أضافه بإضافات علماء التجويد، أما دارسو الأصوات العربية من المحدثين، فبعضهم حافظ

95 ينظر: الكتاب 4/431، وسر صناعة الإعراب 50/1.

96 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 64، 63، وعلم اللغة العام - الأصوات - 112، ودروس في علم أصوات العربية، ص 23، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 207.

97 ارتشاف الضرب من لسان العرب 7/1.

98 الكتاب 4/433.

99 ينظر: الرعاية، ص 172، والتحديد في الإتيان والتجويد: لأبي عمرو الداني، ص 105.

على عبارة أبي حيّان ومن تقدّمه وهي ((التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا))⁽¹⁰⁰⁾، والبعض الآخر قال إنّها تخرج ((عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة))⁽¹⁰¹⁾، وقال كاتنينو: ((بوضع طرف اللسان على الثنايا العليا أو على مغارزها))⁽¹⁰²⁾، ((ومؤدّي ما ذهب إليه المحدثون لا يختلف عما أخذ به علماء العربية وعلماء التجويد))⁽¹⁰³⁾.

أمّا الزاي والسين والصاد فقد قال أبو حيّان عنها: ((والمخرج الثاني عشر وهو الزاي والسين والصاد، وثلاثتها مما فوق طرف اللسان وفوق الثنايا السفلى))⁽¹⁰⁴⁾، وهو عين كلام سيبويه⁽¹⁰⁵⁾، إلا أنّ سيبويه لم يصف الثنايا في هذا الموضع ولا في غيره، ولم يحدّد الثنايا العليا أو السفلى⁽¹⁰⁶⁾، إلا أنّ العلماء الذين جاءوا بعده حاولوا تحديد قوله: (فوق

100 الأصوات اللغوية، ص 48، وينظر: علم اللغة: للسعران، ص 168.

101 علم اللغة العام - الأصوات -، ص 129، وينظر: دراسة الصوت اللغوي ص 269.

102 دروس في علم أصوات العربية، ص 23.

103 الدراسات العربية عند علماء التجويد ص 209.

104 ارتشاف الضرب من لسان العرب 7/1.

105 ينظر: الكتاب 433/4.

106 قال دكتور غانم قدوري الحمد: ((ونستدرك من ذلك وصف سيبويه لمخرج الفاء فقد

قال (أطراف الثنايا العُلى)، ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 209،

والكتاب 433/4.

الثنائيا)، فمنهم من ذهب إلى أنّ فوق الثنايا يساوي فوق الثنايا السفلى وهذا ما ذهب إليه أبو حيان، ومنهم من خصّص الثنايا بالعليا.⁽¹⁰⁷⁾

ولم يتفق المحدثون على تحديد الموضع الذي يعتمد عليه طرف اللسان في أثناء إنتاج هذه الأصوات، واختلفت بذلك عباراتهم فمنهم من قال: بالتقاء طرف اللسان بالثنائيا العليا أو السفلى⁽¹⁰⁸⁾، ومنهم من قال: يعتمد طرف اللسان على اللثة⁽¹⁰⁹⁾، ومنهم من قال: يعتمد طرف اللسان خلف الأسنان العليا مع التقاء مقدمه باللثة العليا⁽¹¹⁰⁾.

أمّا الظاء والطاء والذال قال أبو حيان: ((والمخرج الثالث عشر وهو للظاء والطاء والذال وثلاثتها من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا))⁽¹¹¹⁾، وقد اعتمد أبو حيان قول سيبويه⁽¹¹²⁾، غير أنّه ذهب مذهب

107 ينظر بالتفصيل: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 210.

108 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 76.

109 ينظر: علم اللغة: للسعران 191.

110 ينظر: علم اللغة العام - الأصوات -، ص 153، وينظر: دراسة الصوت اللغوي ص 269.

111 ارتشاف الضرب من لسان العرب 7/1

112 ينظر: الكتاب 4/433.

بعض علماء التجويد - ومنهم مكي القيسي - في تخصيص الثنايا بالعليا⁽¹¹³⁾.

ولم يختلف دارسو الأصوات العربية من المحدثين عمّا جاء به أبو حيان ومن تقدّمه في تحديد مخرج الأصوات الثلاثة، فقال د. أنيس عن الذال: ((يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت، وهو بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا))⁽¹¹⁴⁾، وقال كانتينو: ((وضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى))⁽¹¹⁵⁾، أو ((بين أطراف الثنايا العليا والسفلى))⁽¹¹⁶⁾. وقال السعران: ((يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا))⁽¹¹⁷⁾.

6- أصوات الشفة

للشفة أربع أصوات ومخرجان عند أبي حيان، فقد جعل للفاء المخرج الرابع عشر وتسهم في إخراجها الشفة السفلى، والباء والميم والواو من مخرج واحد جعله المخرج الخامس عشر وتسهم في إخراجها الشفتان.

113 ينظر: الرعاية، ص 194.

114 الأصوات اللغوية، ص 47.

115 دروس في علم أصوات العربية، ص 22.

116 علم اللغة العام - الأصوات - ص 152.

117 علم اللغة: للسعران، ص 190.

أمّا الفاء فقد قال أبو حيّان : ((المخرج الرابع عشر وهو للفاء هو من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا))⁽¹¹⁸⁾ . ولا يختلف ذلك عما نص عليه علماء العربية وعلماء التجويد المتقدمون⁽¹¹⁹⁾، وكذلك المحدثون من دارسي الأصوات العربية، قال د. أنيس : ((وهو من بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا))⁽¹²⁰⁾.

وبما أنّ صوت الفاء لا تسهم إلّا الشفة السفلى في إخراجه، لذلك لم يضم أبو حيّان هذا الصوت إلى الباء والميم والواو، وعلى هذا الأساس وصف المحدثون الفاء بأنها صوت أسناني شفوي⁽¹²¹⁾.

أمّا أصوات الباء والميم والواو فقد قال أبو حيّان: ((المخرج الخامس عشر هو للباء والميم والواو وثلاثتها مما بين الشفتين فتطبقان في الباء والميم لا في الواو خلافاً للخليل في الواو، إذ هي عنده هوائية لا مخرج لها،

118 ارتشاف الضرب من لسان العرب 7/1.

119 ينظر: الكتاب 4/433، وسر صناعة الإعراب 1/53، وشرح المفصل لابن يعيش

10 / 124-125، والرعاية، ص 201، والتحديد في الإتقان والتجويد، ص 106.

120 الأصوات اللغوية، ص 46، وينظر: دروس في علم أصوات العربية، ص 22، وعلم

اللغة: للسعران، ص 189، ودراسة الأصوات اللغوية، ص 269.

121 ينظر: علم اللغة: للسعران، ص 199، علم اللغة العام - الأصوات -، ص 151.

وخلافاً للمهدوي فيها إذ فصلها من الباء والميم وجعل لها مخرجاً على حدتها وهو عنده السادس عشر⁽¹²²⁾.

وقد ردّد أبو حيّان عبارة سيبويه : ((ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو))⁽¹²³⁾ مع زيادة توضيحية تلتخص في بيان حال الشفتين مع كل صوت من الأصوات الثلاثة، وهذه الزيادة صرح بها بعض علماء التجويد واعتمدها أبو حيّان، قال الدّاني : ((غير أنّ الشفتين تنطبقان في الباء والميم ولا تنطبقان في الواو بل تنفصلان))⁽¹²⁴⁾ . وخالف أبو حيّان التحليل حين جعل الواو هوائيّة لا مخرج لها⁽¹²⁵⁾، وتصح مخالفته إذا كان التحليل يقصد بالواو غير المدّية، لكن لا تصح مخالفته إذا كان يقصد الواو المدّية . وخالف أيضاً المهدوي حين فصل الواو عن الباء والميم وجعل لها مخرجاً مستقلاً . ويبدو أنّ المهدوي قد أحسّ بمخرج الواو بشكلها الدقيق فقد قال د. غانم الحمد: ((فمن

122 ارتشاف الضرب من لسان العرب 7/1.

123 الكتاب 433/4.

124 التحديد في الإتقان والتجويد، ص 106.

125 ينظر: العين 57/1-58.

المحتمل أن يكون قول المهدوي السابق تهوي تعبيراً عن إحساسه بارتفاع أقصى اللسان عند النطق بها⁽¹²⁶⁾.

وتعيين أبي حيّان وغيره - ممن تقدمه أو تأخر عنه - مخرج الواو بأنه من الشفتين ليس خطأ؛ لأنّ للشفتين دوراً بارزاً في نطق هذا الصوت⁽¹²⁷⁾، ((ولعلّ وضوح استدارة الشفتين مع الواو هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو إلى الشفتين))⁽¹²⁸⁾، وأنّ اللسان لا يقترب بشكل واضح من الحنك، ((وهو الذي جعل بعض المحدثين يتخذون نفس الموقف من الواو أيضاً))⁽¹²⁹⁾.

ولاحظ دارسو الأصوات المحدثون أنّ أقصى اللسان يقترب من أقصى الحنك عند النطق بالواو، ومن ثم ذهب قسم منهم إلى القول بأنّ الوصف الأكثر دقة أن يقال أنّ الواو من أقصى الحنك⁽¹³⁰⁾. وصرّح

126 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 217.

127 ينظر: علم اللغة : للسعران، ص 198.

128 الأصوات اللغوية، ص 43.

129 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وينظر: دروس في علم أصوات العربية / ص 22.

130 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 43، وعلم اللغة العام - الأصوات - ص 112.

بعضهم بأنّ الباء والميم شفويان⁽¹³¹⁾، أمّا الواو فإنّه شفوي - حنكي قصي⁽¹³²⁾.

7- الخيشوم

قال أبو حيّان : ((المخرج السادس عشر مخرج الخيشوم، وهو للنون الساكنة الخفيفة الخفاء التي لم يبق منها إلا الغنة، وأمّا الساكنة سكوناً خالصاً كالنون في "يَضْرِبَنَّ" فسيبويه بين أنّ مخرجها من مخرج النون المتحركة))⁽¹³³⁾.

ويفهم من هذا النص أنّ النون المذكورة هي واحدة في حالتين مختلفتين: النون الأولى نون درجيّة تأثّرت بما بعدها من الأصواتالذي يطلق عليه في علم التجويد "حالة الإخفاء"، حيث يفنى المخرج (طرف اللسان) بسبب تأثّره بأصوات الإخفاء فلا يبقى من النون إلا الصفة، وهذه الصفة هي الغنة التي تحدث بسبب مرور الهواء بتجويف الأنف، ذلك التجويف الذي سمّاه الأقدمون بالخيشوم، حيث يعطي للنون رنيناً متميّزاً، ولا أدري لماذا عدّ أبو حيّان هذه الصفة مخرجاً وسمّاه المخرج السادس عشر، ولعلّ تأثّره بما طرحه سيبويه أوقعه كما أوقع غيره في هذا

131 ينظر: علم اللغة للسعران، ص 167، 185 .

132 ينظر: علم اللغة للسعران ص 198 .

133 ارتشاف الضرب من لسان العرب 7/1 .

التفصيل، فقد قال سيبويه: ((ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة))⁽¹³⁴⁾، فالمقصود "بالنون الخفيفة" الخفية، قال أبو سعيد السيرافي: ((يجب أن تكون الخفية لأنّ التفسير يدلّ عليها))⁽¹³⁵⁾، لذلك ذكر أبو حيّان في نصّه السابق المصطلحين "المخفاة" و"الخفيفة". أمّا النون الثانية فقد أشار إليها أبو حيّان بقوله: (كالنون في يَضْرِبَنَّ) وهو بذلك يريد النون التي بين الراء واللام ومخرجها من طرف اللسان بينه وبين ما (فويق الثنايا)⁽¹³⁶⁾، فهو بذلك يفرق بين النونين. قال ابن جني: ((ويدلك على أنّ النون الساكنة إنّما هي من الأنف والخياشيم أنّك لو أمسكت بأنفك ثم نطقت بها لوجدتها مختلفة، وأمّا النون المتحركة، فمن حروف الفم كما قدمنا، إلّا أنّ فيها بعض الغنة من الأنف))⁽¹³⁷⁾.

وهناك تباين بين النون الأصلية وبين النون الخفية (الفرعية) من الناحية الصوتية، فالنون الأصلية لها مخرجان، هما: اعتماد طرف اللسان في الفم، ومجرى الصوت من الأنف. والنون الفرعية (الخفية) لا يبقى معها إلّا

134 الكتاب 4/434.

135 نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 218.

136 ينظر: ص 40 - 41 من هذا الكتاب.

137 سر الصناعة 1/52.

الغنة فيزول معتمد طرف اللسان في الفم . أمّا من الناحية الوظيفية فلا اختلاف بينهما لأنّهما يؤدّيان المعنى نفسه⁽¹³⁸⁾.

قال د. بشر معلّقاً على نص ابن جنيّ في مخرج النون المخففة: ((وهذا مخرج إضافي ذكره ابن جنيّ وغيره لنوع من النون، ويمكن الاستغناء عن هذا المخرج والاكتفاء بالمخرج رقم (9) في تقسيم ابن جنيّ))⁽¹³⁹⁾.

وفي تصوّري كان يفترض أن لا يكون للغنة مخرج؛ لأنّ الغنة - كما سيأتي - صفة، وتبقى بذلك كما في كل الحروف الفرعية الأخرى التي لم تفرد بمخارج مستقلة. إلّا أنّ أبا حيّان قد تابع سيبويه وجعلها أحد الحروف الفرعية المستحسنة⁽¹⁴⁰⁾.

138 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 219-220.

139 علم اللغة العام - الأصوات - ص 117، وينظر: سر صناعة الإعراب 53/1.

140 الكتاب 4/432، وارتشاف الضرب من لسان العرب 8/1.

المبحث الثاني

تصنيف الأصوات بحسب الصفات المتضادة

إنّ تحديد مخارج الأصوات ليس كافياً للإحاطة بالصوت وتوضيح خصائصه التي يميّز بها ؛ لأنّ قسمًا من الأصوات تتحدّ في مخرج واحد مثل: (ظ، ذ، ث)، فلا سبيل إلى التمييز بينها إلا بالصفة، ولم أجد تعريفًا للصفة أو توضيحًا لمفهومها عند أبي حيّان، مما اضطرني إلى أن ألجأ إلى غيره من العلماء لتوضيح مفهوم الصفة. ف ((صفة الحرف كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج، وتتميّز بذلك الحروف المتّحدة بعضها عن بعض))⁽¹⁴¹⁾. فالصفة شيء أساس ليست منفصلة عن الصوت في علمية تكوّنه في المخرج. وكان أبو حيّان يدرك أهمية الصفات في التمييز بين الأصوات ولا سيما المتّحدة في المخرج كما سنقف على ذلك فيما بعد. وعلى أساس الاختلاف بين صفات الأصوات، صنّفت إلى ضروب مجهورة ومهموسة، وشديدة ورخوة ... كما سيأتي تفصيل ذلك.

141 القول لطاش كبرى زاده نقلًا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص

قال أحدهم بشأن الصفات المتضادة⁽¹⁴²⁾ :

وذي الصفات بعضها لبعض	ضد فلا نوردها من حوض
فالجهر ضد الهمس دون لغو	كذاك الإستفال ضد العلو
والانفتاح ضده الإطباق	ومصمت قل ضده الإذلاق
والارتخاء ضد الاشتداد	فكن نبيلاً ضابط الفؤاد

فالصفات التي لها ضد تنحصر في صفات الجهر والهمس والشدة والرخاوة والاستعلاء والاستفال والانطباق والانفتاح والإذلاق والأصمات، وسنورد معالجة أبي حيّان لهذه المجموعة من الصفات والمشكلات الصوتية المتعلقة بها.

أولاً: الجهر والهمس

1- مفهوم الجهر والهمس

قال أبو حيّان : ((الجهر ضدّ الهمس، فإذا منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد كان مجهوراً...أما الهمس الصوت الخفي،

142 المصادر العربية القديمة لدراسة الصوت اللغوي : للودغيري، ص 79.

فإذا جرى مع الحرف النفس لضعف الاعتماد عليه كان
مهموساً) (143).

ويبدو من هذا أنّ أبا حيّان قد أورد قول سيبويه دون إضافة أو
توضيح، وعموماً فإنّ رأي سيبويه في نفسير هاتين الظاهرتين كان له تأثير
مستمر في أجيال العلماء، فقد قال: ((فالمجهور حرفٌ أشبع الاعتماد في
موضعهم منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري
الصوت ... أمّا المهموس فحرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى
النفس معه...)) (144).

ويتّضح من النصّين السابقين أنّ ضابط الجهر والهمس يتوقف على
جريان النفس مع الصوت أو توقّفه، فإذا جرى النفس عند النطق
بالصوت كان مهموساً، وإذا منع النفس من الجري حتى ينتهي النطق
بالصوت كان مجهوراً. فهذا الضابط فرق أبو حيّان ومن تقدّمه بين
المهموس والمجهور، إلّا أنّهم لم يكونوا على علم في دور الوترين الصوتيين
في صفة الحرف لذلك اختلف وصفه لقسم من الأصوات مع المحدثين
(145) كما سيأتي بيان ذلك فيما بعد.

143 ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1.

144 الكتاب 434/4، وينظر: سر صناعة الإعراب 69/1.

145 ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 313.

ومصطلحا الجهر والهمس عند المحدثين وإن اتفق مع أبي حيان ومن تقدمه إلا أن معناهما مختلف، ففي الدراسة الحديثة يعد ((الصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان ... وعكس الجهر في الاصطلاح الصوتي هو الهمس. فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين عند النطق به))⁽¹⁴⁶⁾.

2- عدد الأصوات المجهورة والمهموسة

الأصوات المهموسة عند أبي حيان عشرة، هي: (س، ك، ت، ف، ح، ث، هـ، ش، خ، ص) وقد جمعها في عبارة (سكت فثه شخص)⁽¹⁴⁷⁾. أما الأصوات المجهورة فهكي كل ما عدا المهموسة، ويجمعها في عبارة (ظل قند يضغم دز طا وإذ بعج) فيكون عددها تسعة عشر صوتاً⁽¹⁴⁸⁾.

وهذا العدد للأصوات المهموسة والمجهورة وتحديدتها عند أبي حيان هو الذي قال به من تقدمه⁽¹⁴⁹⁾. غير أن ((الدراسة الحديثة تذهب إلى أن الحروف المهموسة هي (التاء والتاء والحاء والحاء والسين والسين

146 الأصوات اللغوية، ص 20 .

147 الأصوات اللغوية، ص 20 .

148 ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1.

149 نفسه.

والصاد والطاء والقاف والفاء والكاف والهاء) أي أنها زادت على المهموسة الطاء والقاف، وهما مجهوران عند القدامى¹⁵⁰. وقد أخرجت الدراسة الحديثة الهمزة من المجهورة وأدخلها بعضهم في المهموسة، وجعلها آخرون لا مهموسة ولا مجهورة⁽¹⁵¹⁾. وكان دارسو الأصوات المحدثون قد ناقشوا أمر تلك الأصوات الثلاثة ضمن مجموعة من الاحتمالات افترضوها ليجدوا من خلالها مسوغاً لعدّها مجهورة مع إنّها مهموسة، وسوف نستعرض قضية تلك التي تعد مشكلات صوتية ابتداءً من الهمزة.

3- الهمزة

تقدّم قول أبي حيان عن الأصوات المجهورة إذ قال: هي كل ما عدا المهموسة وجمعها في عبارة غير مفهومة (ظل قند يضغم دز طا و إذ بعج)⁽¹⁵²⁾، حيث وردت الهمزة ضمن ما استثنى فهي عنده اذن مجهورة. أمّا عند المحدثين فهي غير مهجورة وإن اختلفوا في وصفها فمنهم من عدّها مهموسة إذ تخرج بانطباق الوترين الصوتيين ((ويحول هذا الإطباق طبعاً دون ارتعاش الأوتار الصوتية ولذا كانت الهمزة مهموسة

150 ينظر: الكتاب 4/434، وسر صناعة الإعراب 1/69.

151 الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 312.

152 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/10.

بالطبع))⁽¹⁵³⁾، وذهب آخرون إلى أنّها ليست مجهورة ولا مهموسة ((لأنّ فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تامّاً فلا تسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفجر فتحة المزمار وذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة))⁽¹⁵⁴⁾.

فلم يرتض المحدثون قول من وصف الهمزة بالجهر⁽¹⁵⁵⁾، لكننا نستطيع أن نعزو سبب وصف أبي حيّان ومن تقدّمه الهمزة بالجهر ((لأنّ الهمزة لا ينطبق عليها ضابط الهمس فهي إذن مجهورة بضابط القدماء ... لأنّ إغلاق الوترين مجرى النفس يستحيل معه أن تنطق الهمزة مع جريه))⁽¹⁵⁶⁾، فلا غرابة إذن أن يختلف في وصف أبي حيّان عن الوصف الحديث للهمزة مادام الضابطان مختلفين بينهما.

153 دروس في علم أصوات العربية 50 - 51، وينظر: العربية الفصحى: هنري فليش، ص38.

154 الأصوات اللغوية، ص 90، وينظر: علم اللغة : للسعران، ص171.

155 ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند بن جني ص 315.

156 أصوات العربية بين التحول والثبات، ص 28,31

4- الطاء

الطاء صوت مجهور عند أبي حيان⁽¹⁵⁷⁾، ولكنه مهموس في نطقنا اليوم كما نصّ عليه الدرس الحديث⁽¹⁵⁸⁾. فهل أخطأ أبو حيان؟

الناظر في مفهوم الجهر عند أبي حيان يميل إلى عده الطاء مجهورة لا شائبة فيه ؛ ذلك أنّ النصفة تقتضي أن ننظر بمعيّاره لمفهوم الجهر والهمس لا بمعيّارنا المعاصر، فإنّ جريان النفس مع الحرف أو توقّفه هو ضابط أبي حيان ومن تقدّمه، أمّا ضابط المحدثين لمعرفة المجهور من المهموس فهو اهتزاز الوترين الصوتيين أو عدمه. فالجهور في الدراسة الحديثة هو الصوت الذي يتحرّك الوتران الصوتيان عند النطق به، والمهموس هو الصوت الذي لا يتحرّك الوتران الصوتيان عند خروجه⁽¹⁵⁹⁾، ((فليس صحيحاً أن يحاكم القدماء على وقف المعنى الذي وضعناه لمصطلح وافقناهم فيه في لفظه وخالفناهم فيه في معناه، بل الصواب أن ننظر في مرادهم في المصطلح ثم نرى أكانوا على صواب فيما وصفوه أم لا))⁽¹⁶⁰⁾.

157 ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1.

158 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 62، وعلم اللغة: للسعران، ص 168.

159 ينظر: دروس في علم أصوات العربية ص 25.

160 أصوات العربية بين التحوّل والثبات، ص 27

أما ما نصّ عليه سيبويه واستدلّ به بعض المحدثين ⁽¹⁶¹⁾ لتأييد قوله بأنّ صوت الطاء الذي وصفه القدماء صوت مجهور يشبه الضاد التي ينطقها أهل مصر اليوم: ((لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سيناً والضاء ذالاً، وخرجت الضاد من الكلام لأنّ ليس شيء من موضعها غيره)) ⁽¹⁶²⁾. فالمعروف أنّ الطاء والدال والتاء من مخرج واحد لكنهم يختلفون في الصفات، وبما أنّ الطاء مطبق مجهور عند القدماء والدال مجهور غير مطبق، فكان التناظر عند سيبويه بين الطاء والدال من حيث الإطباق وعدمه، أمّا التناظر بين الجهر والهمس فهو بين الطاء والتاء. وقد تناول سيبويه أحد الجانبين نتيجة للتجربة التي أدّاها، وهي الآتي:

إطباق	انفتاح	انفتاح
ط	د	ت
جهر	جهر	همس

فصوت الطاء لم يجر عليه تغيير أو تطوّر كما نفهم من بعض المحدثين ⁽¹⁶³⁾، بل الطاء هي الطاء، ولكن المشكلة محصورة في الضابط نخضع بذلك لحكم الهمزة نفسها.

161 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 62.

162 الكتاب 4/436.

163 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 62.

5- القاف

صوت القاف مجهور عند أبي حيان ومن تقدّمه⁽¹⁶⁴⁾، مهموس عند علماء الصوت المحدثين. قال تمام حسان: ((إنّ النحاة والقراء قد أخطأوا في اعتباره مجهوراً))⁽¹⁶⁵⁾. وقد حاول بعض المحدثين أن يجد مسوّغاً للسبب الذي حمل أبا حيان ومن سبقه وصفهم القاف بالجهر، فقال د. أنيس: ((نستنتج من وصف القدماء لهذا الصوت أنّه كان ربّما يشبه تلك القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السودان وبعض القبائل في جنوب العراق، فهم ينطقون بها نطقاً يخال نطقها في معظم اللهجات العربية الحديثة، إذ نسمعها منهم نوعاً من الغين))⁽¹⁶⁶⁾. وذهب قسم إلى احتمال أنّ علماء العربية وصفوا نطقاً للقاف يشبه (الجيم القاهرية) اليوم، وهو صوت يمثل مجهور الكاف⁽¹⁶⁷⁾.

164 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1، والكتاب 4/434، والرعاية، ص 145.

165 مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، ص 96.

166 الأصوات اللغوية، ص 84.

167 ينظر: علم اللغة - الأصوات - ص 141، ومحاضرات في اللغة: د. عبد الرحمن أيوب، ص 129، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 248.

وقال د. أحمد مختار عمر: ((لعلهم وصفوا قافاً كانت مجهورة في القديم ثم تطوّرت بمرور الوقت حتى صارت مهموسة، ولعل النطقين كانا موجودين جنباً إلى جنب فاختاروا من بينهما ما اعتبروه فصيحاً، وهو الصوت المجهور))⁽¹⁶⁸⁾ . ويبقى الأمر استناداً إلى تلك الاحتمالات يحتاج إلى الكثير من تلك النصوص التي تعين على التوضيح، والركون إلى إحدى الاحتمالات . وأرى أنّ الأمر الذي يحسم المشكلة هو أن لا نفصل بين الطاء والقاف والهمزة، فالأمر نفسه الذي أشرنا إليه في مشكلة الهمزة والطاء ينطبق على القاف، وهو الاختلاف في ضابط الجهر والهمس بين القدماء والمحدثين، فهو مهموس بالنظر إلى الوترين الصوتيين، لكنه مجهور عندما نخضعه لضابط أبي حيّان ؛ لأنه أدّى خفض الصوت به وتكراره مع جري النفس سماع صوت آخر هو الخاء، وإذا تحوّل الصوت بحسب ضابط أبي حيّان ومن تقدّمه فهو مجهور⁽¹⁶⁹⁾ . وبناءً على الضابط الذي أورده أبو حيّان ومن تقدّمه فإنّ صوت القاف لم يدخله أي تغيير في الفصيح وإن اختلفوا في صفته كلاً بحسب ضابطه، ويؤكد ذلك : ((أنّ قرّاء القرآن اليوم مجمعون على نطقٍ

168 دراسة الصوت اللغوي، ص 295.

169 ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات، ص 28.

واحد))⁽¹⁷⁰⁾ على الرغم من اختلاف نطقهم به في لهجاتهم المحلية، فالقاف في أول (قال) تصبح عند المصري همزة وعند الفلسطيني كافاً وعند العراقي كافاً مجهورة⁽¹⁷¹⁾، فهذا دليل وتأكيد آخر لثبات الصوت وعدم تحوّلـه.

ثانياً: الشدّة والرخاوة

1- معنى الشدّة والرخاوة

قال أبو حيّان في تعريفه للشدّة: ((والشدّة امتناع الصوت من أن يجري في الحرف))⁽¹⁷²⁾، فلم يختلف أبو حيّان في تعريفه للشدّة عمّا أو رده سيبويه⁽¹⁷³⁾، وتفسير ذلك ((أنك لو أردت مدّ الصوت في القاف او الطاء من قولك "الحق" أو "الشط" لكان ذلك ممتنعاً))⁽¹⁷⁴⁾، ولم نطلع على تعريف للرخو عند أبي حيّان بشكل مباشر، لكننا نفهم من خلال تعريفه للشدّة واعتماده رأي سيبويه ومن تابعه في ذلك أنّه عدّ الرخو هو

170 ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات، ص 29-30.

171 نفسه ص 26.

172 ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1.

173 ينظر: الكتاب 4/434.

174 الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 315.

ضدّ الشديد؛ لأنّ ((الشدة هي امتناع الصوت من أن يجري في الحرف))⁽¹⁷⁵⁾، والرخو ((هو الذي يجري فيه الصوت))⁽¹⁷⁶⁾.

أمّا مفهوم المتوسطة فهي في حالة بين الشدة والرخاوة كما عبّر عنها أبو حيّان⁽¹⁷⁷⁾ من خلال ما أوردناه يتّضح لنا أنّ أبا حيّان ومن تقدّمه من علمائنا العرب قد أدركوا أنّ ((طريقة التحكم في مجرى الهواء مهمة في إنتاج الصوت، وقد قسّموا الأصوات على أساسها إلى شديدة ورخوة ومتوسطة))⁽¹⁷⁸⁾، وفسّروا معنى كل منها، وبذلك اتّضح ضابطهم لتعيين كل من الأصوات الرخوة والأصوات الشديدة والأصوات المتوسطة.

ولا يختلف ما أوردناه سالفًا عما جاءت به الدراسة الحديثة ((فقد وضعوا قائمة بأصوات كل نوع بطريقة يوافقهم عليها في جملتها التحليل الصوتي الحديث))⁽¹⁷⁹⁾ و ((تعد ملاحظة امتداد الصوت في الرخو وعدم امتداده في الشديد ملاحظة صحيحة وصف بعض المحدثين

175 ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1.

176 سر صناعة الاعراب 70/1.

177 ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1.

178 البحث اللغوي عند العرب: د. أحمد مختار عمر، ص 80.

179 البحث اللغوي عند العرب: د. أحمد مختار عمر، ص 80.

من علماء الأصوات على أساسها الأصوات الشديدة بأنّها (آنية) والأصوات الرخوة بأنّها (متمادة))⁽¹⁸⁰⁾.

كما ذكر بعض المحدثين أيضاً أنّ الأصوات التي ذكرها علماء العرب ضمن مفهوم الشدة والرخاوة توافق تماماً ما أطلق عليه Occlusive أي الإطباق، و Spirant أي الاحتكاكي، أمّا الأصوات التي بين الشدة والرخاوة فلها وضع خاص⁽¹⁸¹⁾.

وقد أطلق المحدثون مصطلح الصوت الانفجاري على الصوت الشديد، ومصطلح الصوت الاحتكاكي على الصوت الرخو، والإتيان بهذين المصطلحين ناجم عن تعريفهم للصوت الشديد والصوت الرخو، فالصوت الشديد (الانفجاري) هو الذي ينحبس مجرى النفس معه وذلك بالتقاء عضوين من أعضاء النطق، ثم عند الانفصال يندفع الهواء المحبوس فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً مثل (الباء والتاء والذال)، أمّا الصوت الرخو (الاحتكاكي) هو الذي يضيق مجرى النفس باقتراب عضوين من أعضاء النطق نحو بعضهما من غير أن ينحبس الهواء حبساً

180 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 144، وينظر: علم اللغة : للسعران، ص 166.

181 دروس في علم أصوات العربية، ص 35-36، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 315.

تأمّا فيحدث النفس في أثناء مروره بخرج الصوت حفيفاً مسموعاً تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى، مثل: (السين والزاي والحاء) وغيرها⁽¹⁸²⁾.

إذن فالتقارب بين مفهوم أبي حيّان والمحدثين حول صفة الشدة والرخاوة والتوسط بينهما موجود، ولو لم يكن موجوداً لما اتفقوا على تقسيم الأصوات على أساس طريقة التحكم في مجرى الهواء إلى شديدة ورخوة ومتوسطة، مع وجود بعض الاختلافات حول وصف العين والضاد والتي سوف نفصل القول فيها لاحقاً.

2- عدد الأصوات الشديدة والرخوة

ذكر أبو حيّان أنّ من الحروف ما هو شديد، ومنها ما هو رخو، ومنها ما هو متوسط بين الشدة والرخاوة . وذكر أنّ الأصوات الشديدة هي : (الهمزة والجيم والداال و الكاف والتاء والطاء والباء والقاف)، وجمعها بعبارة (أجدك تطبق). أمّا الأصوات الرخوة فهي : (الحاء والسين والحاء والطاء والشين والضاد والهاء والزاي والضاد والغين والتاء والفاء والذال) وجمعها بـ (خس حظ شص هز ضغث فذ)⁽¹⁸³⁾.

182 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 24، ودروس في علم أصوات اللغة العربية، ص 24.

183 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1.

فيكون عدد الأصوات الشديدة ثمانية، أمّا الأصوات الرخوة فثلاثة عشر صوتاً. ولم يخرج أبو حيّان في ذلك عمّن تقدّمه من علماء العربية⁽¹⁸⁴⁾.

وتنفرد الجيم بالتفئات قسم من المحدثين داعيةً إلى إخراجها من الأصوات الشديدة الانفجارية، يقول د. أنيس : ((أمّا الجيم العربية الفصيحة فيختلط صوتها الانفجاري بنوع من الحفيف يقلل من شدّتها، وهو ما يسمّيه القدماء بتعطيش الجيم))⁽¹⁸⁵⁾.

ويستوقفنا من هذا القول أمران:

أ- إذا كان صوت الجيم يشوبه شيء من الاحتكاك في لسان عرب الشام، فإنّ العراقيين مازالو ينطقونها كما وصفها أبو حيّان ومن تقدّمه، يقول د. حسام النعيمي : ((نطقها الصحيح قائم عندنا في العراق وفي عدد من البلدان العربية، وهو على ما وصفه علماء العربية حرف شجري مجهور شديد، إلّا أنّ الصوت بدأ يداخله التغيير في النطق الفصيح عند كثير من أبناء العرب، حيث أشرب صوت الشين وهما من مخرج واحد))⁽¹⁸⁶⁾.

184 ينظر: الكتاب 4/434، سر صناعة الاعراب 1/69.

185 الأصوات اللغوية، ص 23، 24، وينظر: علم اللغة العام - الأصوات - ص 125.

186 أصوات العربية بين التحوّل والثبات، ص 38.

ب- عبارة تعطيش الجيم يفهم منها حالة سلب، والأولى ما ذهب إليه الدكتور حسام النعيمي أن يقال المُشْرَبَة⁽¹⁸⁷⁾ صوت الشين، لا المعطشة، وقد أدرج بعض المحدثين صوت الضاد ضمن الأصوات الشديدة، في حين أدرج صوت العين في الأصوات الرخوة⁽¹⁸⁸⁾، وسيأتي مناقشة ذلك في محله.

كما سنتطرق إلى قضية الصوت المركب الذي يجمع بين الشدة والرخاوة في إنتاجه، وسنجعل الجيم الفصيحة مثالاً على ذلك⁽¹⁸⁹⁾.

3- الضاد

صوت الضاد من الأصوات الرخوة عند أبي حيّان⁽¹⁹⁰⁾ وهي تخرج عنده ((من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر والأيمن عند الأقل))⁽¹⁹¹⁾ ولم يعد يسمع من الناطقين بالعربية اليوم على تلك الصفة التي حددها أبو حيّان ومن تقدّمه من علماء

187 ينظر: أصوات العربية (واقعها ومستقبلها) : د. حسام النعيمي، ص 262، وما بعدها مجلة المجمع العلمي، الجزء الثاني والثالث، المجلد الثمن والثلاثون، 1987م.

188 ينظر: الأصوات اللغوية ص 23 و ص 25.

189 علم اللغة: للسعران، ص 182، وينظر: علم اللغة العام - الأصوات - ص 160 - 161.

190 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1.

191 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 6/1.

العربية والتجويد، بل صار على ألسنة بعضهم دالاً مفخمة كما هو في مصر، وعلى ألسنة بعضهم الآخر صوتاً لا يختلف في شيء عن الظاء كما هو في العراق⁽¹⁹²⁾ ((ويستدلّ في وصف القدماء لهذا الصوت على أنّ الضاد كما وصفها الخليل ومن نحى نحوه تخالف تلك التي ننطق بها الآن))⁽¹⁹³⁾.

فالضاد على وصف أبي حيان صوت فريد لا نكاد نسمعه اليوم على ألسنة الناطقين بالعربية، وكما عدّه بعض المحدثين صوتاً غريباً؛ لأنّه لا يوجد إلّا في البلاد العربية⁽¹⁹⁴⁾، فالفرق بين وصف الضاد القديمة والضاد الحديثة ليس نتيجة خطأ من أبي حيان ومن سبقه في الوصف، وإنّما نتيجة التطور الذي أصاب الضاد القديمة⁽¹⁹⁵⁾ حتى صارت إلى ما نعهده اليوم إذ ((أننا لا نجده واحداً في نطق العربية الفصحى اليوم أو في قراءات القراء، فمنهم من يجعله ظاء كما في العراق، ومنهم من يجعله

192 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 48-49، ودروس في علم أصوات العربية، ص 87، و أصوات القرآّن: يوسف الخليفة أبو بكر، ص 69.

193 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 48

194 التطور النحوي، ص 10.

195 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 49.

دالاً مفخّمة كما في مصر، ويفعلون ذلك في لهجاتهم العامية أيضاً)) (196).

وتعد مشكلة الضاد قديمة في العربية كما يبدو فقد ذكر سيبويه في الحروف غير المستحسنه (الضاد الضعيفة) (197)، ويقول الدكتور أنيس في صدد ذكر سيبويه للضاد الضعيفة: ((وصفها في كلام لم نستطع حتى الآن أن نحدّد مدلوله الدقيق في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة ... على أنّنا نجد في إشارة ابن يعيش إلى هذه الضاد الضعيفة بعض الوضوح، فهو يقول عنها ما نصّه: (والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم فربما أخرجوها ظاء، وذلك أنّهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الشّيا، وربّما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأتّ لهم ذلك فخرجت بين الضاد والظاء)) (198).

وناقش أبو حيان قضية الضاد الضعيفة في شيء من التفصيل في كتابه (ارتشاف الضرب) فقال وهو يتحدث عن الحروف الفرعية المستقبحة: ((وضاد ضعيفة، وقال الفارسي إذا قلت ضربة ولم تشبع مخرجها ولا اعتمدت عليه، ولكن تخفف وتحتلس فيضعف إطباقها، وقال ابن

196 الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 306.

197 ينظر: الكتاب 4/432.

198 الأصوات اللغوية، ص 52

حروف هي المحرّفة من مخرجها يميناً وشمالاً كما ذكر سييويه، وقال مبرمان: يقربون الثاء من الضاد وذلك في لغة قوم ليس في أصل حروفهم الضاد، فإذا تكلفوها ضعف نطقهم بها، وكذا قال ابن عصفور ومثل بقولهم: (في إثر ذلك، إضر ذلك) والذي يظهر أنّ الضاد الضعيفة هي التي تقرب من الثاء، عكس ما قال مبرمان وابن عصفور فنقول: (في اضرّب زيداً اثرّب زيداً بين الضاد والثاء)⁽¹⁹⁹⁾. فالضاد الضعيفة هي الضاد التي لم تستوف صفات الضاد العربية التي وصفها أبو حيان ومن تقدّمه بدون تحديد؛ لأنّ ((ما يبدو أنّ هذا المصطلح (الضاد الضعيفة) لم يعد يطلق على صوت محدّد، فإذا كان سييويه قد أطلقه على صوت محدّد، فإنّنا نجد العلماء بعده يستخدمونه للإشارة إلى أكثر من صوت، وذلك على حسب ما تؤوّل إليه الضاد سواء أكان ذلك الصوت طاء أم بين الضاد والظاء أم بين الضاد والثاء))⁽²⁰⁰⁾.

199 ارتشاف الضرب من لسان العرب 9/1، وينظر: المتع في التصريف: لابن عصفور 666/2.

200 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 280.

ويبدو أنّ المشكلة أقدم من ذلك، إذ وردت أخبار تشير إلى أنّ الخلط بين الضاد والظاء يرجع إلى عصر صدر الإسلام⁽²⁰¹⁾، حيث ذكر ابن الجزري في كتابه (التمهيد) : ((إنّ من العرب من يجعل الضاد ظاءً مطلقاً في جميع كلامهم))⁽²⁰²⁾، ويظهر أنّ الضاد كانت عصيّة النطق على أهالي الأقطار التي فتحها العرب أو حتّى على بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة مما يفسّر تلك التسمية القديمة (لغة الضاد)، كما يظهر أنّ النطق القديم بالضاد كان أحد خصائص لهجة قرش))⁽²⁰³⁾، وقد أدلى علماء التجويد بدلوهم وفسّروا الكثير من الظواهر المتعلّقة بنطق الضاد وصعوبتها واختلاطها بغيرها من الحروف، فنجد مكّي بن أبي طالب يؤكّد في كتابه (الرعاية) على قضيتين: الأولى صعوبة نطق الضاد، والثانية اختلاطها بالظاء، إذ يقول: ((والضاد يشبه لفظها لفظ الظاء لأنّها من حروف الإطباق ومن الحروف المستعلية ومن الحروف المجهورة، ولولا اختلاف المخرجين وما في الضاد من الاستطالة لكان لفظهما واحداً ولم يختلفا في السمع، ولا بد له (القارئ) من التحفّظ بلفظ الضاد حيث

201 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 266 في الهامش (35)، (فقد ذكر أبو العلاء الهمداني العطار في (التمهيد) أنّ إعرابياً خلط بين الضاد والظاء عند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين نطق (الظبي) بالضاد فاعترض عليه عمر (رضي الله عنه)).

202 التمهيد في علم التجويد: لابن الجزري، ص 43.

203 الأصوات اللغوية، ص 49.

وقعت، فهو أمر يقصر فيه أكثر من رأيت من القراء والأئمة لصعوبة لم يدرّب فيه...))⁽²⁰⁴⁾. وصرّح ابن الجزري في كتابه (النشر) بأنّ ((الضاد انفراد بالاستطالة، وليس من الحروف ما يعسر على اللسان مثله فإنّ ألسنة الناس فيه مختلفة وقلّ من يُحسنه، فمنهم من يخرجّه ظاء، ومنهم من يخرجّه بالذال، ومنهم من يجعله لاماً مفخّمة، ومنهم من يشمه الزاي))⁽²⁰⁵⁾.

نخلص من ذلك أنّ الضاد صوت صعب الأداء، لذلك أخذت ألسنة الناطقين به تنحرف في نطقه إلى أصوات أخرى ((ويمكن للدارس أن يلاحظ اتّجاهين في معالجة مشكلة الضاد، الأول يتمثّل في العناية بالألفاظ التي تنطق بالضاد والظاء، والاشتغال بحصرها، وتأليف الرسائل في ذلك، وهي مؤلّفات تشبه المعاجم الصغيرة التي تعنى بقسم من ألفاظ اللغة، وهذا الاتّجاه هو الذي استأثر بجهود اللغويين والنحاة... والاتّجاه الثاني في معالجة مشكلة الضاد يتمثّل بدراسة الخصائص النطقية لصوت الضاد، والانحرافات التي تلحقه على ألسنة الناطقين وتوضيح الصورة الصحيحة لنطقه))⁽²⁰⁶⁾.

204 الرعاية، ص 158 - 159.

205 النشر في القراءات العشر: لابن الجزري 1/219 - 220.

206 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 267.

ولم يفت أبا حيان أن سلك الاتجاه الأول للعناية بالألفاظ التي تنطق بالضاد والظاء، فله رسالة كأنها معجم عنيت بموضوع الضاد والظاء، وربما كان أسلوبه في معالجة الموضوع جديداً لم يسبق إليه، وذلك بمحاولته وضع القواعد والقوانين والأحكام للتفريق بين ما جاء بالضاد والظاء، فقال: ((...)) فما له قانون اكتفيت بذكر قانونه عن حصر أفراده، وما لا قانون له أتيت بجميعها ونهت على ما قيل بالطاء والظاء معاً، وعلى ما قيل بهما وبالطاء، وعلى ما قيل بالطاء والظاء، واحترزت عما شابه الظائي في اللفظ وهو بالضاد فذكرته بقانون - إن كان له - وإلا فبحصر أفراده...))⁽²⁰⁷⁾.

فثلاً يتحدث عن حرف الجيم فيقول: ((هذا الحرف مما يضبط بالقانون، وذلك أن الجيم أما ان تجتمع معها في الكلمة راء أو هاء أو ياء، أو لا تجتمع. فإن اجتمعت فالكلمة ضادية، نحو: الجريض: وهو الريق الذي يغص به عند الموت، والإجهاض: وهو الإخراج، والجيض وهو الحيد في القتال، وإن لم تجتمع فالكلمة ظائية، كالجظ: وهو الجماع، والسيء الخلق...))⁽²⁰⁸⁾. وهدف هذا المؤلف كما نعلم هو التمييز بين الصوتين

207 الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء: أبو حيان الأندلسي، ص 105-106.

208 الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء: أبو حيان الأندلسي، ص 109.

(الضاد والظاء) ولكن اهتمّ بالجانب الكتابي ولم يتعرّض للتمييز المنطقي بينهما.

ثالثاً: الأصوات المتوسطة

مصطلح التوسط من مصطلحات أبي حيان، قال: ((ومتوسطة بين الشدة والرخاوة ويجمعها (ولينا عمر))⁽²⁰⁹⁾. ولم نجد إشارة لهذا المصطلح عند من تقدّمه من علماء العربية، غير أننا نجد إشارة إلى مصطلح البينية بدلاً من المتوسطة، فقد قال سيبويه بعد ذكر الأصوات الشديدة والرخوة: ((وأما العين فبين الرخاوة والشديدة))⁽²¹⁰⁾، أمّا ابن جني فقد نصّ بشكل صريح على أنّ كل ما عدا الشديدة و الرخوة، فهو من التي بين الشدة والرخاوة، فقال: ((والحروف انقسام إلى الشدة والرخاوة وما بينهما، فالشديدة ثمانية أحرف... والحروف التي بين الشدة والرخاوة ثمانية أيضاً... وما سوى هذه الحروف وما قبلها هي رخوة))⁽²¹¹⁾.

ويبدو أن مصطلح المتوسطة لم يكن مستخدماً في عصر سيبويه وابن جني لذلك ظلّت العبارة (بين الشدة والرخاوة) هي المستعملة حتى القرن

209 ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1.

210 الكتاب 4/435.

211 سر صناعة الاعراب 1/69-70.

السابع إلى أن ظهر مصطلح المتوسطة عند أبي حيّان وكان البديل (البينية) . لذلك يمكننا القول إنّ أقدم من استخدم مصطلح المتوسطة هو أبو حيّان في كتابه (ارتشاف الضرب من لسان العرب)، نخلو المؤلفات العربية التي سبقت مؤلفه من هذا المصطلح⁽²¹²⁾.

ومصطلح التوسط أو البينية كما ذهب إليه ابن جني⁽²¹³⁾ به حاجة إلى مناقشة، فهل يعني مصطلح التوسط أو (البينية) الجمع بين الشدة والرخاوة؟

والذي يبدو لي من خلال التجربة الحسيّة أنّ أغلب هذه الأصوات الموصوفة بالتوسط قد انتفت عنها الصفتان صفة الشدة وصفة الرخاوة، فهي بذلك لا شديدة ولا رخوة.

((ويبدو أنّ علماء العرب قد أطلقوا لفظ بين الشدة والرخاوة - أو المتوسطة - على الأصوات التي لا ينطبق عليها وصف الشدة أو وصف الرخاوة))⁽²¹⁴⁾ والذي نميل إليه تسمية هذه الأصوات (لا شديدة ولا رخوة) لأنّ الحالتين المتعارضتين منتفيتان متخارجتان، وقد جمع أبو حيّان هذه الأصوات كما ذكرنا في عبارة (ولينّا عمر)، وسنستعرض

212 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 141.

213 ينظر: سر صناعة الاعراب 69/1.

214 الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 317.

أصوات هذه العبارة لثنتين مدى صحّة ما ذهب إليه أبو حيان في أنّها -
على حدّ تعبيره - متوسطة.

1- الألف والواو والياء

فالألف تحدث عندما يكون اللسان في حالة استلقاء في قاع الفم
براحة تامة فلا انفجار ولا احتكاك، فكيف يحدث وقد عدم ركني
المخرج؟

يحيينا على هذا السؤال د. حسام النعيمي فيقول: ((إنّ الألف عند
المحدثين نفس مجهور أو هواء مجهور وموضع الجهر هو الوتران الصوتيان،
فالألف تولد بالصفة على هذا لا بالمخرج))⁽²¹⁵⁾.

أمّا الواو والياء فإن كانتا مدتين مثل (الياء في قتيل و الواو في
رسول) فهما مصوتان ينطبق عليهما حكم المصوتات، وإن كانتا غير مدتين
مثل (الياء في بيت والواو في قوم) ((كان النفس معهما ضعيفاً وكان
من العسير جريان الصوت بهما عند الوقف، كما أنّ الهواء لا يحبس عند
النطق بهما فهما إذن بين الشدّة والرخاوة))⁽²¹⁶⁾ أي ليسا شديدين ولا
رخوي. والواو والياء اللتان ذكرهما أبو حيان هما غير المدّتين كما ورد في

215 أصوات العربية بين التحول والثبات، ص 18.

216 علم اللغة : للسعران، ص 197.

تسلسل حروف المعجم، وإذا وافقنا أبا حيّان في هذين الصوتين (الواو والياء) غير المدّتين فلا نستطيع أن نوافقهما في الألف لأنّها حركة طويلة أصلاً.

2- اللام

صوت اللام من أصوات اللثة، إذ ((يتم النطق به برفع اللسان حتى يتّصل باللثة ورفع الطبقة حتى يتّصل بالجدار الخلفي للحلق فيسد المجرى الأنفي ... ومعنى الجانبية في نطق هذا الصوت أنّ أحد جانبي اللسان أو كليهما يدع الفرصة للهواء ليمرّ بينه وبين الأضراس في الوقت الذي يمتنع فيه مروره على وسط اللسان لحيلولة طرف اللسان المتّصل باللثة دون ذلك))⁽²¹⁷⁾ وبهذا فقد فاتته التضييق كما فاتته الغلق والانفجار فانتفت عنه الصفتان الانفجار والاحتكاك.

3- الميم والنون

ويختلفان عن بقيّة الأصوات بأنّ المجرى الذي يتّخذ الهواء الخارج هو التجويف الأنفي الذي أخرجهما عن الأصوات الشديدة ؛ ذلك لأنّ خروج الهواء بعد انفراج العضوين المتّصلين يكون من موضعهما وهذا في

217 مناهج البحث في اللغة، ص 105.

سائر الأصوات الشديدة، ((فاليم صوت أنفي مجهور ينطق بأن تنطبق الشفتان تماماً فيحبس الهواء ويخفض الطبقة ليتمكن الهواء من الخروج عن طريق الأنف))⁽²¹⁸⁾.

وأما النون ((فهو صوت أنفي يتم نطقه بجعل طرف اللسان متصلاً باللثة مع خفض الطبقة ليفتح المجرى الأنفي))⁽²¹⁹⁾ وبهذا لم يتحقق فيهما شروط الشدة والرخاوة فهما إذن ليسا شديدين ولا رخوين.

4- الراء

((ويتم نطقه بأن يتحرك اللسان مسترخياً في طريق الهواء الخارج من الرئتين فيرفرف اللسان ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة، وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري))⁽²²⁰⁾. فهذا التردد فوت على الراء أن يكون شديداً، كما فوت عليه أن يكون رخواً ((فلولا انحراف اللسان باللام وتردده في الراء ما جرى بهما النفس فهما بين الشدة والرخاوة))⁽²²¹⁾. وعدم جريان النفس لا يكون إلا بالإغلاق التام فالانفراج، بحيث يكتسب الشدة، ولا هو بالتضييق بحيث يكتسب

218 المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ص 34

219 نفسه، ص 49.

220 نفسه، ص 48

221 الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 317.

الرخاوة، فهو لا شديد ولا رخو، وهذا معنى لفظ بين الشدة والرخاوة ((ويبدو أنّ العلماء العرب قد أطلقوا لفظ بين الشدة والرخاوة على الأصوات التي لا ينطبق عليها وصف الشدة أو وصف الرخاوة))⁽²²²⁾، وهذا الذي يبدو كذلك من مصطلح المتوسطة عند أبي حيّان.

5- العين

صوت العين عند أبي حيّان ومن تقدّمه بين الشدة والرخاوة⁽²²³⁾ وهو عند المحدثين رخو (احتكاكي)⁽²²⁴⁾، والضابط الذي وضعه أبو حيّان ومن تقدّمه للرخاوة هو جريان الصوت عند الوقف⁽²²⁵⁾، وعلى أساس ذلك حاول د. حسام النعيمي أن يعطي دليلاً على صحة وصف العين بأنها متوسطة فقال: والعين مما ((يمكن أن يجري معها عند الوقف، إلا أنّ في ذلك مشقة و كلفة، ويمكن معرفة ذلك بنطقها في كلمة (ارجع) مثلاً ومقارنتها بصوتي الهمزة والحاء في كلمتي (ارجئ و ارح) إذ يمكن أن نحس بوقفة الهمزة الأخيرة في (ارجئ) أو شدتها أو

222 نفسه.

223 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1، والكّاب 435/4، وسر صناعة الاعراب 1/70، 69.

224 ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص 102، والمدخل إلى علم اللغة، ص 82، والأصوات اللغوية، ص 25.

225 ينظر: ص 43 - 44 من هذا الكّاب

انفجارها كما عبّروا، ولا يمكن إجراء الصوت بها، ونحس بسهولة جريان الصوت في حاء (ارجح) الاحتكاكية أو الرخوة، أمّا عين (ارجع) فيمكن أن يجري النفس بها لكن ليس بسهولة جريه في الحاء، فهي بين الهمزة الشديدة والحاء الرخوة، ولذا عبّروا عنها بأنّها بين الشدّة والرخاوة⁽²²⁶⁾.

رابعاً: الجمع بين الصفات

قد انتهج أبو حيان مسلكاً في معالجة الأصوات لم يسبق أن سلكه من تقدّمه بحسب اطلاعي وهو منهج اقتفاه المحدثون في الجمع بين صفات متعدّدة على صوت واحد يستنبطونه من عمل جداول لصفات الأصوات ومخارجها . والذي فعله أبو حيان أنّه عند معالجة الأصوات الشديدة ذكر الجهور منها والمهموس، يقول: ((والمجھورة الشديدة يجمعها (طبق أجد)⁽²²⁷⁾، وقال في موضع آخر: ((والمجھورة الرخوة يجمعها (غض طزدن))⁽²²⁸⁾. أمّا المهموسة الرخوة فقال عنها: ((والمهموسة كلها غير التاء والكاف رخوة ويجمعها (سفه شخص حث))⁽²²⁹⁾. وقد تتساءل

226 الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 317.

227 ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1.

228 نفسه.

229 نفسه.

لماذا ترك أبو حيّان المهموسة الشديدة؟ وهو سؤال وجيه، غير أنّ أبا حيّان قد استغنى عن ذكرها بشكل مستقل، ويدل على قوله: والمهموسة كلها رخوة ماعدا التاء والكاف فهما شديدان وهما مهموسان من دون سائر الأصوات الشديدة فكلّها مجهورة على وفق ضابطهم باستثناء صوتي التاء والكاف.

خامساً: الإطباق والانفتاح والاستعلاء والانخفاض

الإطباق والانفتاح صفتان متقابلتان مثل الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، يميّز من خلالها عدد من الأصوات المتّحدة المخرج، وإن لم يستخدم مصطلح (الانفتاح) لأنّه عبّر بمصطلح (الانخفاض) بدلا عنه وجعله كذلك المقابل للأصوات المستعلية، فقال: ((والمطبقة الصاد والضاد، والمستعلية هذه والغين والحاء والقاف يجمعها (ضغط خص قظ) وما عداها منخفضة، وبعضهم يقول مستفلة))⁽²³⁰⁾.

وتابع أبو حيّان بشأن صفتي الإطباق والانفتاح ما جاء به سيبويه وهو يتحدّث عن صفات الحروف: ((ومنها المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة فالصاد وضاد والطاء والظاء، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنّك لا تطبق لشيء منهن لسانك، وترفعه إلى الحنك

230 ارتشاف الضرب من لسان العرب 11-10/1.

الأعلى))⁽²³¹⁾، واكتفى أبو حيّان بتحديد الأصوات المطبقة والمنخفضة دون التفصيل في بيان كل منهما، كأنما تحديده لهذه الأصوات هو الدليل إلى مفهومها، ألا أنّ سيّويه أشار إلى مفهوم الإطباق بشكل مباشر، قال: ((وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن، انطبق لسانك من مواضعهن على ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك ألى موضع الحروف، فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان وقد بين ذلك بحصر الصوت))⁽²³²⁾. وكذلك ذكر ابن جني أنّ الحروف المطبقة أربعة وقال: ((والإطباق أن ترفه لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له))⁽²³³⁾.

يتضح مما تقدّم إنّ معنى الإطباق عند القدامى هو انطباق ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى، وقد وصف بعض المحدثين هذا التحديد والوصف بأنه بعيد عن الوضوح⁽²³⁴⁾. ولو وازننا بين كلام القدماء - ومن ضمنهم أبي حيّان لأنّه موافق لهم - وبين المحدثين الذين يقولون عن

231 الكتاب 4/436.

232 نفسه.

233 سر صناعة الاعراب 1/70.

234 ينظر: دروس في علم الأصوات العربية، ص 36.

الصوت المطبق : ((هو الذي يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه عند النطق به))⁽²³⁵⁾ لوجدنا تقارباً بين كلام القدماء وكلام المحدثين سوى أن القدماء لم يذكروا بشكل صريح ما ذكره المحدثون من تقعر اللسان عند النطق بهذه الأصوات .

يقول المستشرق الألماني أ. شادة عن كلام سيوييه : ((وهذا التعريف من الوضوح بحيث يستغني عن التفسير وما أصوب قول سيوييه: (أنّ هذه الأربعة لها موضعان من اللسان)، فإنّ الناطق بالصاد مثلاً لا يكتفي بوضع طرف لسانه على لثته كما يفعل في السين، ولكن في نفس الوقت يقرب الجزء الأخير من لسانه إلى ما يحاذيه من الحنك وإن كان لا يمسه))⁽²³⁶⁾ .

أمّا الاستعلاء والانخفاض أو التسفل بحسب عبارة سيوييه فهما صفتان متقابلتان أيضاً، وقد ذكر أبو حيّان أنّ الأصوات المستعلية سبعة، أربعة منها أصوات الإطباق، والثلاثة الباقية (الخاء والغين والقاف)، أمّا سوى ذلك من الأصوات فهو منخفض⁽²³⁷⁾ . واكتفى أيضاً أبو حيّان

235 الأصوات اللغوية، ص 47، وينظر: علم اللغة : للسعران، ص 168.

236 علم الأصوات عند سيوييه وعندنا: أ. شادة (مستشرق ألماني) صحيفة الجامعة المصرية السنة الثانية 1931م، العدد الخامس ص14.

237 ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1-11.

بذكر الأصوات المستعلية ومقابلها الأصوات المنخفضة دون الإشارة إلى مفهوم الاستعلاء، ويبدو أنه اكتفى بما تدل عليه الكلمة من الارتفاع نحو الحنك الأعلى، قال ابن جني: ((ومعنى الاستعلاء أن نتصعد في الحنك الأعلى))⁽²³⁸⁾. وثمة سؤال يطرح نفسه هو: ما الذي جعل أبا حيان ومن سبقه من علماء العربية يصفون الأصوات الثلاثة (القاف والغين والحاء) بالاستعلاء؟

يجيبنا عن ذلك الدكتور حسام النعيمي بقوله: ((يبدو أن اتصال أقصى اللسان بأدنى الحلق أو بأقصى الحنك اللين (اللهة) هو الذي جعلهم يصفون هذه الثلاثة (الحاء والغين والقاف) بالاستعلاء وهو وصف دقيق كما أرى لأن أقصى اللسان لا يسهم في إخراج أي صوت قبل هذه الثلاثة. إذا قيل الحاء والغين، والحاء والعين، وخروجهما لا شأن لأقصى اللسان به، وأقصى الحنك اللين (اللهة) لا يسهم في إخراج أي صوت بعدها، أي بعد القاف والكاف ولا شأن بأقصى الحنك اللين في إخراجه، وإنما هو من أقصى الحنك الصلب))⁽²³⁹⁾.

238 سر صناعة الاعراب 71/1 ن وينظر: الكتاب 4/128-129، والمقتضب: للهيرد 225/1.

239 الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 319.

والذي عليه الدراسة الحديثة أنّ الاستعلاء هو ((أن يستعلي أقصى اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى))⁽²⁴⁰⁾، ولا شأن لطرف اللسان في إخراج أصوات الاستعلاء⁽²⁴¹⁾ وهذا ينطبق على الأصوات (الخاء والغين والقاف) وذلك لا يختلف عما جاء به أبو حيّان ومن تقدّمه سوى أنّهم ضمّوا أصوات الاطباق إلى هذه الثلاثة . وقد فسّر الدكتور النعيمي ذلك بقوله: ((يمكن أن نتصوّر أنّهم فعلوا ذلك لأنّ ارتفاع أقصى اللسان فيها نحو أقصى الحنك وعدم اتّصاله بجزء منه لا يكون في إخراج أي حرف منه، فهي بهذا المعنى من حروف الاستعلاء))⁽²⁴²⁾.

سادساً: الدلاقة والإصمات

قال أبو حيّان : ((والذلق الطرف من كل شيء، والفاء والباء والميم في حين خروجها من الشفة لا عمل للسان فيها، وثلاثة في حيز اللام والراء والنون من طرف اللسان على مقدم الحنك الأعلى، ولا توجد كلمة خماسيّة ولا سداسيّة بناؤها من الحروف المصمتة إلا ما يندر، من ذلك (عسجد وعسطوس والدّهدة والزهزقة)، فلا يحسن بناء

240 نقلاً عن المصطلح الصوتي، ص 87.

241 ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 319

242 الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 319.

الرباعي الأصول ولا الخماسي إلّا ويكون بعض حروف الذلاقة فيها، وذلك نحو: (جعفر و سفرجل))⁽²⁴³⁾. وتسمية الذلاقة هي بحسب المخرج، فالذلق طرف اللسان؛ ((لأنّ الذلاقة أي السرعة في النطق إنّما هي بطرف أسلة اللسان والشفيتين وهما مدرجتا هذه الحروف الستة لأنّ ثلاثة منها ذلقة وهي اللام والراء والنون، وثلاثة شفوية هي الباء والفاء والميم))⁽²⁴⁴⁾.

والذي يصدق عليه وصف الذلقية هي أصوات (اللام والراء والنون) إذا أردنا الوصف بحسب المخرج وهذا هو أصل التسمية ؛ لأنّ طرف اللسان يشترك في إنتاجها، ويبدو أنّ أصواتاً تتصف بسمات ذلقية وإن لم تكن من مخرجها ولا دخل لطرف اللسان في إنتاجها وقد أضافها أبو حيان ومن تقدّمه إلى الذلاقة، وهي: (الباء والفاء والميم) فقد نظر أبو حيان إلى هذه الأصوات من ناحية الصفة وليس المخرج وهذا واضح من نصّه لأنّ هذه الأصوات الستة تشترك بكونها ((أحسن الحروف امتزاجاً بغيرها ولا تجد رباعياً ونحاسياً شذ عن شيء منها لسهولتها))⁽²⁴⁵⁾.

243 ارتشاف الضرب من لسان العرب 12/1.

244 مجموعة شروح الاثافية 342/1.

245 مجموعة شروح الاثافية 342/1، 343، وينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب

12/1.

وقد ذكر أبو حيان أن أصوات الذلاقة عند مكّي ثلاثة، هي: (الراء واللام والنون)⁽²⁴⁶⁾، وقد اعتدّ مكّي بالوصف بحسب المخرج وترك ما يمكن أن يعدّ ذلقياً لاتّصافه بسمات الذلّقيّة، وهذا ما عليه المحدثون، فعندهم أصوات الذلاقة هي (اللام والراء والنون)، أمّا وجه الشبه بين أفراد هذه المجموعة كما يراه المحدثون فهو أنّها من قرب مخارجها تشترك في نسبة وضوحها الصوتي وأنّها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع ولهذا أشبهت من هذه الناحية أصوات اللين)⁽²⁴⁷⁾.

أمّا الأصوات المصمتة فهي جميع الأصوات ماعدا (اللام والراء والنون)، و(الفاء والباء والميم)، قال أبو حيان: ((وما سوى حروف الذلاقة مصمت وهو عند الخليل تسعة عشر حرفاً، أخرج الهمزة وحرفي العلة فلم تقسم إلى الذلاقة والإصمات إلّا الحروف الصّحاح))⁽²⁴⁸⁾.

فالأصوات المصمتة هي جميع الأصوات ماعدا (اللام والراء والنون)، و(الفاء والباء والميم)، وهذه الستة التي سمّاها أبو حيان ومن تقدّمه أصوات الذلاقة، وهي عند الخليل كما أورد أبو حيان تسعة عشر حرفاً أخرج الهمزة وحرفي العلة (الواو والياء)، إذ لا تقسم إلى الذلاقة

246 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 12/1، والرعاية 110-111.

247 الأصوات اللغوية، ص 63.

248 ارتشاف الضرب من لسان العرب 12/1.

والإصمات إلا أصوات الصحاح. ونجد ابن دريد يضيف أصوات العلة الثلاثة إلى المصمتة، فتصير اثنين وعشرين، في حين هي عند الخليل كما أورد أبو حيان تسعة عشر بإخراج المعتلة من التقسيم. ويقصد ابن دريد أيضاً بالمعتلة (الواو والياء والهمزة) ⁽²⁴⁹⁾، أمّا الألف فلم يعدّها من أيّ القسمين، وقال: ((أمّا الحرف التاسع والعشرون فجرس بلا صرف، يريد أنّه ساكلاً يتصرّف في الإعراب، وهو الألف الساكنة)) ⁽²⁵⁰⁾. وأصل هذه العبارة الأخيرة وارد في كلام الخليل الذي نقله الأزهري، وهو: ((روي عن ابن المظفر عن الخليل بن أحمد أنّه قال: الحروف التي بني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً، لكل حرف منها صرف جرس. أمّا الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف، وأمّا الصرف فهو حركة الحرف... فأما الألف اللينة فلا صرف لها، إنّما هي جرس مدّة بعد فتحة)) ⁽²⁵¹⁾.

249 ينظر: جمهرة اللغة 6/1-7.

250 نفسه 7/1.

251 تهذيب اللغة : للأزهري 50/1-51.

المبحث الثالث

تصنيف الأصوات بحسب الصفات غير المتضادة

إنَّ أشهر صفات الأصوات التي تحدّث عنها أبو حيان والداخله فيما يعرف بالصفات غير المتضادة هي القلقلة، والصفير، والغنة، والانحراف والتكرير، والاستطالة، والتفشي، وبعض هذه الصفات يشترك فيها عدد من الأصوات مثل الثلاثة الأولى، وبعضها يخصّ صوتاً بعينه مثل الأصوات الأربعة الأخيرة، فالانحراف للـم، والتكرير للـراء، والاستطالة للضاد، والتفشي للشين.

أولاً : القلقلة

قال أبو حيان : ((والقلقلة يجمعها (قطب جد)، والجمهور على أنَّ الباء متقلقلة دون التاء، وذهب بعض أهل النحو والأداء إلى أنَّ التاء دون الباء، وقد ذكر سيبويه التاء في المتقلقلة وهي في المهموسة وقد ذكر لها نفخاً))⁽²⁵²⁾.

ويبدو أنَّ الجامع بين هذه الأصوات على حد ما ذكره أبو حيان الشدة والجر فعند نطقها ساكنة أو الوقف عليها يتردد صوت يشبه

252 ارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1.

الحركة، ويتّضح من نصّه كذلك أنّ هناك من يرى في أصوات القلقلّة نفسها عدم تناسب في مستوى القلقلّة فضلاً عن إدخال التاء والتاء، وقد يكون الهمس فيهما قلّ من درجة القلقلّة فيهما على الرغم من أنّ المشهور من حروف القلقلّة هو (قطب جد) فلا دخل للتاء والتاء فيهما، وقد ذكر أبو حيّان أنّ سيبويه وضع صوت التاء ضمن أصوات القلقلّة ولم أعثر في كتاب سيبويه على ما نسبته أبو حيّان له من أنّ التاء ضمن أصوات القلقلّة، فهو يحدّد هذه الأصوات بقول: ((واعلم أنّ من الحروف حروفاً مشرّبة ضغطت مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صوت ونيا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلّة... وذلك القاف والجيم والطاء والذال والباء، والدليل على ذلك أنّك تقول: (الحذق) فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصوت لشدة ضغط الحرف، وبعض العرب أشدّ صوتاً، كأنهم الذين يرمون الحركة)) (253).

غير أنّ الطاء والقاف وإن كانا على ما ذكره أبو حيّان ومن تقدّمه مجهورين، إلا أنّهما في نطق العربية الفصيحة المعاصرة مهموسان . فما المسوّغ إذن أن يحافظا على قلقلتهما وقد فقدتا شرطاً من شرطي القلقلّة؟

253 الكتاب 174/4، وقد ذكر سيبويه التاء في المهموسة، ينظر: 434/4، في حين أنّ

أصوات القلقلّة كلها مجهورة شديدة والتاء لا شديدة ولا مجهورة.

الإجابة عن ذلك هو أنّ ((كون الصوتين شديدين (انفجاريين) فيتبعهما عند الوقف صوت مثل صوت الكاف، لكنّه معهما لفخامة الطاء بالإطباق وشدة انفصال العضوين في نطق القاف مع كونه مستعليًا)) (254).

أما الهمزة فيبرز لنا سؤال بخصوصها، فقد اجتمع فيها على وصف أبي حيّان الشدة والجهر، فلماذا لم تُذكر ضمن أصوات القلقة؟

لم أعر على إجابة عند أبي حيّان لذلك، لكن عثرت على إجابة عند أحد علماء التجويد وهو محمد المرعشي إذ يقول: ((ثم اعلم أنّ الهمزة وإن اجتمعت فيها الشدة والجهر، لكن الجمهور أخرجوها من حروف القلقة كما في بعض الرسائل، ولعل سبب ذلك ما في (الرعاية) من أنّ الهمزة كالتهويع وكالسعلة فجرت عادة العلماء بإخراجها بلطافة ورفق وعدم تكلف في ضغط مخرجها لئلا يظهر صوت يشبه التهويع والسعلة، أقول فيخفي حينئذٍ شدتها ويعدم قلقلتها)) (255).

وقد عالج الدكتور إبراهيم أنيس ظاهرة القلقة ضمن طول الصوت اللغوي فقال: ((... ولهذا أطالوا الأصوات الشديدة المجهورة ليظهرها

254 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 305.

255 نقلا عن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 305.

جهرها ويحولوا بينها وبين أن تصبح مهموسة، ولا سيما إذا كانت مشكلة بالسكون . وهذه الظاهرة هي التي سمّاها القدماء بالقلقلة، فقلقلة الباء المشكلة بالسكون ليست إلا إطالة لها مع إضافة صوت لين قصير جداً يشبه الكسرة . وأصوات القلقلّة كما رواها القدماء هي القاف والطاء والباء والجيم والدال))⁽²⁵⁶⁾. فهناك صوت إضافي بعد أصوات القلقلّة لإطالتها وهو صوت لين قصير يعني (حركة) كما هو واضح من النص ((ومن هذا نرى أنّ الصوت الإضافي في حالة حروف القلقلّة يشبه الحركة))⁽²⁵⁷⁾.

وقد شاع بين الدارسين اليوم مصطلح القلقلّة الصغرى والقلقلّة الكبرى، وميّزوا بينهما، فإذا كان الحرف في وسط الكلمة كانت القلقلّة صغرى، وإذا كان الحرف في آخر الكلمة، كانت كبرى أي أشدّ وأقوى⁽²⁵⁸⁾.

256 الأصوات اللغوية، ص 156-157.

257 علم اللغة : للسعران، ص 176.

258 ينظر: دروس في علم أصوات العربية، ص 38، وقواعد التلاوة وعلم التجويد: فرج

توفيق الوليد، ص 40، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 309، وفن

التجويد: عزت عبيد دعاس، ص 72 هامش رقم (1).

ثانياً: الصفير

قال أبو حيّان : ((والصفريّة، الصاد والسين والزاي))⁽²⁵⁹⁾.
فاكتفى أبو حيّان بذكر أصوات الصفير دون التوضيح للمقصود بكلمة
الصفير التي تعرّض لها علماء التجويد قبله بالتوضيح، فقال مكي:
((وحقيقة الصفير أنّه اللفظ الذي يخرج بقوة مع الريح من طرف
اللسان مما بين الثنايا تسمع له حسّاً ظاهراً في السماء))⁽²⁶⁰⁾.

وتعرّض أبو حيّان لصفة الصفير بالإشارة إلى أصواتها يدل على إدراكه
للخصائص الدقيقة للأصوات في حين لم يتعرّض سيبويه لهذه الصفة،
وكذلك ابن جني، ولا أدري من هو أوّل من ذكرها . غير أنني وجدت
لها إشارة عند المبرد في (المقتضب)⁽²⁶¹⁾.

وتعرّض علماء الأصوات المحدثون لهذه الصفة بالتوضيح والإشارة إلى
أصواتها، فقالت ماريو باي : ((ويوصف الصوتان (س ، ز) غالباً بأنّهما

259 ارتشاف الضرب من لسان العرب 12/1، وقول أبي حيّان الصفريّة نسبة إلى الصفير
وهو فاعيل والياء زائدة، فيكون على زنة فعلي بحذف الياء وإثباتها لحن، وما ذهب إليه أبو
حيّان هو الصحيح، ومن قال صفيريّة فقد لحن.

260 الرعاية، ص 186.

261 ينظر: المقتضب 193/1، قال : (ومن طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا حروف

(الصفير...))

صفيريان لما يصحبهما من صفير أو أزيز، وهما في الحقيقة صوتان من النوع الاحتكاكي))⁽²⁶²⁾.

وقال الدكتور أحمد مختار عمر: ((وسميت صفيرية لقوة الاحتكاك معها، والسبب في قوة الاحتكاك هو أن نفس المقدار من الهواء مع الشاء يجب أن يمر مع السين خلال منفذ أضيق))⁽²⁶³⁾.

ثالثاً: الغنة

تقدّم أنّ النون يعتمد لها في اللسان طرفه وفوق الثنايا، ولكن خروج الهواء ليس من معتمد الفم فيكسب صفة الغنة . وهي عند أبي حيان نونان، قال: ((المخرج السادس عشر مخرجاً للخيشوم وهو للنون الساكنة الخفيفة المخففة التي لم يبق منها إلا الغنة، وأمّا الساكنة سكوناً خالصاً كالنون في (يضرين) فسيبويه بين أنّ مخرجها من مخرج النون المتحركة))⁽²⁶⁴⁾. فالنون الأولى (الخفيفة المخففة) في المخرج في الفم ولم يبق منها إلا الصفة وهي الغنة، وهذه النون في تصوّري هي المتأثرة بما جاورها، والنون الثانية هي التي لم تتأثر فتبقى مخرجاً وصفةً، فهي تشبه

262 أسس علم اللغة: ماريو باي، ص 85.

263 دراسة الصوت اللغوي، ص 98.

264 ارتشاف الضرب من لسان العرب 7/1.

من هذه الناحية النون المتحرّكة التي لم تخضع لأحكام النون الساكنة والتنوين من إظهار أو إخفاء أو إدغام وقلب على ما سيأتي تفصيلها.

والميم يشارك صوت النون في الغنة وإن كان معتمد مخرجها في الشّفة، لكن خروج الهواء من الأنف أيضاً، وقد اعتمد أبو حيّان قول سيبويه في تحديد صوتي الغنة، قال: ((قال سيبويه إلّا أنّ النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيها غنة))⁽²⁶⁵⁾.

ويبدو أنّ الغنة صفة انفرادية في النون والميم، مخرجها الخيشوم، وهذا متفق عند أبي حيّان وعند من تقدّمه من علماء العربية والتجويد⁽²⁶⁶⁾. وقد استخدم علماء الأصوات المحدثون لوصف النون والميم كلمة (الأنفية)⁽²⁶⁷⁾، في حين استخدم بعضهم الآخر كلمة (الغناء وأغن)⁽²⁶⁸⁾ وهي كلمة سبق أن استخدمها بعض علماء التجويد⁽²⁶⁹⁾.

ولم يكن هناك جديد في كلام المحدثين عن صفة الغنة وحرفها (النون والميم) سوى إشارتهم إلى انخفاض الحنك اللين واللهاة في أثناء

265 ارتشاف الضرب من لسان العرب 10/1، وينظر: الكتاب 4/435.

266 ينظر: الكتاب 4/435، المقتضب 1/194، وجمهرة اللغة 7/1، وارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1، والكشف عن وجوه القراءات السبع: مكي القيسي 1/164.

267 ينظر: علم اللغة العام - الأصوات - ص 167، دراسة الصوت اللغوي، ص 20.

268 علم اللغة : للسعران، ص 184.

269 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 314.

نطق الأصوات الأنفية، إذ يقولون: ((وتشكّون الأصوات الأنفية بأن يحبس الهواء حبساً تاماً في الفم، ولكن يخفض الحنك اللين ويتمكّن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف))⁽²⁷⁰⁾.

رابعاً: التكرير

قال أبو حيّان : ((والمكرر الراء، قال سيبويه وغيره، وهو حر شديد يجري فيه الصوت لتكراره وانحرافه إلى اللام فصار كالرخو ولو لم يكرّر لم يجر الصوت فيه))⁽²⁷¹⁾.

وكان سيبويه قد قرّر هذه الصفة للراء واعتمدها أبو حيّان، وهذا الوصف ((واضح لا يحتاج إلى مزيد يشبه وصفه، مادّلت عليه التجارب الحديثة))⁽²⁷²⁾. والتكرير - أو يقال له التكرار أيضاً⁽²⁷³⁾ - هو ((ارتعاد طرف اللسان بالراء))⁽²⁷⁴⁾ صفة انفرد بها صوت الراء، واختلف علماء التجويد في صفة التكرير هذه هل هي لازمة للراء أم لا؟

270 علم اللغة : للسعران، ص 184، ينظر: المدخل إلى علم اللغة، ص 43، وعلم اللغة العام - الأصوات - ص 167.

271 ارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1، وينظر: الكتاب 4/435.

272 الأصوات اللغوية، ص 118.

273 ينظر: المقتضب 212/1.

274 الرعاية، ص 170.

وقد تعرّض لهذا الاختلاف أبو حيّان، فقد ذكر أنّ ظاهر كلام سيبويه أنّ التكرير صفة ذاتية للراء وإنّ بعض علماء التجويد قد وافق ظاهر كلام سيبويه وهو أبو الحسن شريح بن محمد الرعيني (ت 539هـ)، وأيد أبو حيّان ما ذهب إليه شريح، وذكر قوله: ((وقد ذهب قوم من أهل الأداء إلى أنّ الراء لا تكرير فيها مع تشديدها، ولا تعلم وجهه ولا أرى أحداً من المحققين بالعربية ذكر أنّ تكريرها يسقط عنها جملة))⁽²⁷⁵⁾.
وبالبعض الآخر من علماء التجويد ذهب إلى إخفاء تكريرها البتّة، وهو مذهب مكي بن أبي طالب، قال أبو حيّان: ((وبالتكرير قرأنا بشرقي الأندلس، وبعدم التكرير البتّة قرأنا على شيوخ غرناطة، وهو مذهب مكي))⁽²⁷⁶⁾.

وقد وصف علماء الأصوات المحدثون الراء بالتكرار أيضاً⁽²⁷⁷⁾، ولكن من غير ((أن يثيروا إلى قضية إخفاء التكرير))⁽²⁷⁸⁾.

275 ارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1.

276 ارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1، وقد صرح مكي بمذهبه هذا في كتابه

الرعاية، ص 170، قال: (فوجب على القارئ أن يخفي تكريرها ولا يظهره ومتى ما أظهره فقد جعل من الحرف المشدّد حروفاً ومن الخفّف حرفين)).

277 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 66، وعلم اللغة: للسعران، ص 187.

278 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 317.

خامساً: الانحراف

قال أبو حيان : ((والمنحرف اللام، وزاد الكوفيون وتبعهم مكي (الراء))⁽²⁷⁹⁾. وهي صفة يميّز بها صوت اللام. وكان أبو حيان مسبقاً في طرح هذه الصفة، فقد قال سيبويه وهو يتحدث عن صفات الحروف : ((ومنها المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام... وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيتي مستدقّ اللسان فوق ذلك))⁽²⁸⁰⁾. وهناك من وصف صوت الراء بأنه منحرف، ونسب ذلك أبو حيان إلى الكوفيين وبعض من علماء التجويد وهو مكي بن أبي طالب الذي قال: ((حرفا الانحراف هما اللام والراء))⁽²⁸¹⁾. وعدّ أبو حيان ذلك زيادة لأنّ الانحراف صفة خاصّة باللام لا يشاركه فيها غيرها.

أمّا المحدثون فلم يختلفوا مع أبي حيان ومن تقدّمه في وصف اللام سوى أنّ بعضهم استخدم مصطلح الجانبي⁽²⁸²⁾ بدل المنحرف، وبعضهم

279 ارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1.

280 الكتاب 4/435، وينظر: المقتضب 1/193 و 213.

281 الرعاية، ص 107.

282 ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص 270.

حافظ على المصطلح القديم⁽²⁸³⁾. يقول الدكتور أنيس عن وصف اللام بالانحراف أنّه على الرغم من ((اتّصال طرف اللسان بأصول الثنايا معها نجد أنّ النفس يتسرّب من جانبي الفم إلى الخارج، فكأنّما قد انحرف عن طريقه، ولا بأس إذن في مثل هذه التسمية لدى سيبيويه وإن كان المحدثون قد وصفوا اللام بأنّها جانبية))⁽²⁸⁴⁾.

أمّا بخصوص زيادة الكوفيين وبعض من علماء التجويد على ما أورده أبو حيّان من وصف الراء بالانحراف، فالدرس الحديث يؤيّد أبا حيّان فيما يفهم من رفضه لاشتراك الراء مع اللام في صفة الانحراف، فالصوت المنحرف يتكوّن ((بوضع عقبة في وسط المجرى الهوائي مع ترك منفذ للهواء عن طريق أحد جانبي العقبة أو عن جانبيها، ومن هنا كانت تسميتها بالمنحرف أو (الجانبية)...)⁽²⁸⁵⁾ وهذا الوصف لا ينطبق على الراء لذلك لم يصف المحدثون صوت الراء بالانحراف.

283 ينظر: علم اللغة : للسعران، ص 185.

284 الأصوات اللغوية، ص 118.

285 علم اللغة : للسعران، ص 185.

سادساً: التفشي

استخدم أبو حيان كلمة التفشي في وصف الشين فقال: ((والتفشي: الشين باتفاق، والفاء والضاد باختلاف))⁽²⁸⁶⁾. ولم ينفرد أبو حيان باستخدام هذا المصطلح لوصف الشين، بل سبق لذلك، فقد وردت صفة التفشي لوصف الشين عند سيبويه ومن تبعه من العلماء العرب الذين تقدّموا أبا حيان⁽²⁸⁷⁾.

بيد أنّ أبا حيان لم يقدّم تعريفاً لمعنى التفشي واكتفى بذكر الصوت الذي يمتاز بهذه الصفة، لكنّ علماء التجويد الذين سبقوه حاولوا تقديم تعريف لمعنى التفشي لأنّ مؤلفاتهم كانت خالصة لمعالجة الأصوات وصفاتها ومخارجها، وتوضيح المصطلحات الخاصة بها، فقد قال مكي: ((ومعنى التفشي هو كثرة انتشار الريح بين اللسان والحنك، وإبساطه في الخروج عند النطق بها))⁽²⁸⁸⁾. وهذا لا يبعد عمّا يقرّره الدرس الصوتي الحديث، فقال الدكتور أنيس: ((لأنّ هواء النفس معها لا يقتصر في تسرّبه إلى الخارج على مخرجها أي من الفراغ الذي بين العضوين المتصلين في حالة الشين، بل يتوزّع بين جنبات

286 ارتشاف الضرب من لسان العرب 12/1.

287 ينظر: الكتاب 4/448، والمقتضب 1/211 و214.

288 الرعاية، ص 109.

الفم))⁽²⁸⁹⁾. فصفة التفشي متفق عليها كما ذكر أبو حيّان بأنّها صفة تلازم الشين، لكنّه أردف قائلاً: ((والفاء والضاد باختلاف)) يعني هذا أنّ قسمًا من العلماء عدّ صوتي الفاء والضاد متفشين، وآخرون يسلبون عنهما هذه الصفة ويجعلونها خالصة لصوت الشين. فالمبرّد جعل الضاد دون الفاء تمتاز بصفة التفشي⁽²⁹⁰⁾، وذهب قسم آخر أبعد من ذلك، فقد وصفوا الضاد والفاء والثاء بالتفشي إضافة إلى الشين⁽²⁹¹⁾. فصفة التفشي كما يبدو من الاختلاف الحاصل بشأن الأصوات الثلاثة (الفاء والضاد والثاء) تنحصر بصوت الشين من خلال الاتفاق الحاصل على ذلك. أمّا دارسو الأصوات العربية المحدثون فقد أهمل الكثير منهم ذكر هذه الصفة⁽²⁹²⁾.

سابعاً: الاستطالة

انفردت الضاد عند أبي حيّان بهذه الصفة، فقال: ((والمستطيل الضاد))⁽²⁹³⁾. وقبل أبي حيّان وصف سيويه الضاد بهذه الصفة

289 الأصوات اللغوية، ص 119.

290 المقتضب 211/1 و 214.

291 ينظر: الرعاية، ص 110 و 201.

292 ذكرها جان كانتينو في كتابه دروس في علم أصوات العربية، ص 38.

293 ارتشاف الضرب من لسان العرب 12/1.

(294)، غير أنّ الضاد عند سيبويه تستقل بهذه الصفة ؛ لأنه وصف الشين بالاستطالة في بعض المواضع فقال : ((الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بخرج اللام، والشين كذلك حتى اتصلت بخرج الطاء)) (295). في حين أنّ بعضاً من علماء التجويد صرح بأنّ الاستطالة لا يوصف بها إلاّ الضاد فقالوا: ((والمستطيل حرف واحد هو الضاد)) (296). ويبدو أنّ أبا حيان أخذ عنهم ذلك ورفض الاستطالة في الشين، وقصرها على صوت الضاد.

ولم يتعرّض دارسو الأصوات المحدثون لهذه الصفة ؛ لأنّ صوت الضاد القديم الموصوف بهذه الصفة غير متحقّق اليوم في النطق، وهذا أيضاً يبعدنا عن التصرّح الواضح والتام لتلك الصفة.

ثامناً: صفات أخرى

أورد أبو حيان ضمن ما سميّناه بالصفات غير المتضادة صفاتاً غير مشهورة شهرة ما تقدّم من الصفات. يقول في وصف الألف: ((والهاوي الألف)) (297). وهي صفة وردت عند سيبويه إذ قال:

294 ينظر: الكتاب 432/4 و 446 و 470.

295 الكتاب 457/4 و 466.

296 التحديد في الإتيان والتجويد، ص 110، وينظر: الرعاية، ص 109.

297 ارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1.

((ومنها الهاوي وهو حرف لين اتّسع لهواء الصوت مخرجه أشدّ من اتّسع مخرج الياء والواو)).

فهو عند الجمهور أشدّ امتداداً من الواو والياء، وعليه ((فكأنّ اتّسع مجرى الصوت فيه وامتداده في الفم جعلهم يرونه كالذي يهوي في الفضاء لا يستند اللسان معه إلى شيء ولا يتحرّك نحو شيء، ولا يحتك الهواء معه بشيء، وهو يختلف عن الواو والياء، لأنّك قد تضم شفّتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك))⁽²⁹⁸⁾.

وقد أورد أبو حيّان كذلك صفة (المهتوت) وهي الصفات التي اختلف العلماء في الأصوات التي توصف بها، فذكر مكي الصوت المهتوف وعزا هذه الصفة للهمزة وقال: ((وسميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوّع، فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد، والتهف الصوت الشديد)) ثم قال: ((إنّ بعض العلماء ذكر موضع المهتوف بتأين))⁽²⁹⁹⁾.

298 الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 324.

299 الرعاية، ص 112.

وكان ابن جني قد قال: ((ومن الحروف المهتوت، وهو للهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء))⁽³⁰⁰⁾. وذكر الزمخشري في المفصل أنّ المهتوت هو صوت التاء، وتابعه في ذلك شراح المفصل⁽³⁰¹⁾.

ورجح الجاربردي أنّ صفة المهتوت تعزى لصوت الهاء وقال: ((إنّ ما ذكر في المفصل من أنّ المهتوت التاء كأنّه غلط من الناسخ))⁽³⁰²⁾. أمّا أبو حيّان فقد رجح أنّ المهتوت هو الهمزة فقال: ((والمهتوت الهمزة...))⁽³⁰³⁾.

ولم يفت أبو حيّان أن يتعرّض لمصطلح الهت والهتاف لبيان معنى كل منهما، فقال: ((والهت عصر الصوت، والهت أيضاً الحطم والكسر، وبعضهم يقول فيها المهتوف بالفاء والهتف الصوت بالقوة))⁽³⁰⁴⁾.

300 سر صناعة الاعراب 74/1.

301 ينظر: شرح المفصل 128/10، والإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب 490/2، والممتع في التصريف 676/2.

302 شرح الشافية للجاربردي، ص 250، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 325.

303 ارتشاف الضرب من لسان العرب 12-11/1.

304 ارتشاف الضرب من لسان العرب 12/1 وجاء في لسان العرب (مادة هتف):
التهتف الصوتي الجافي العالي، وقيل الصوت الشديد، وجاء أيضاً في (مادة هت): الهت شبه العصر للصوت.

ويبدو أنّ أصل تسمية الهمزة بالمهتوت ترجع إلى ما قاله الخليل عن الهمزة : ((وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفِّه عنها لانت...))⁽³⁰⁵⁾.

كما أورد أبو حيّان أبو حيّان صفة أخرى هي المشربة، فيقول: ((والمشربة الزاي والطاء والذال والضاد والراء))⁽³⁰⁶⁾. ولعلّ تسميتها بالمشربة أنّه فيها اختصاصاً إضافياً غير موجود في بقية الأصوات، فهي يسمع معها عند الوقف عليها كالنفخ.

وقد خصها أبو حيّان وحدها بالإشراب، في حين ابن جني أضاف إليها أصوات القلقة، مع توضيح الفارق بينهما وهو أنّ أصوات (الزاي والطاء والضاد والراء والذال) لم تحفّز وتضغط عن مواضعها كأصوات القلقة⁽³⁰⁷⁾. ويبدو أنّ تسمية أبي حيّان لهذه المجموعة من الأصوات بالمشربة كونها قد أشربت عند الوقف عليها النفخ الذي ذكره ابن جني.

305 العين 52/1.

306 ارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1.

307 ينظر: سر صناعة الإعراب 72/1، والدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني، ص

320.

المبحث الرابع

صفات أصوات المدّ واللين

أولاً: التمهيد في المصطلح

استخدم أبو حيّان مصطلحي المدّ واللين للتعبير عن مجموعة من الأصوات هي: (الألف والواو والياء) فقال: ((واللينّة الألف والواو والمضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها يجمعها (واي) وأمكنهن في المد عند الجمهور الألف خلافاً لأبي بكر الصقلي في زعمه أنّ أمكنهنّ في المد الواو ثم الياء ثم الألف))³⁰⁸. وهذان المصطلحان شائعان عند منتقدّيه من علمائنا العرب، قال سيبويه: ((وهذه الحروف غير مهموسات وهي حروف لين ومخارجها متّسعة لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمدّ للصوت ...))³⁰⁹.

وسمّيت هذه الأصوات بالمدّ واللين لأنّ مدّ الصوت لا يكون في شيء إلاّ فيهنّ، ولأنّهنّ يخرجن في اللفظ في لينٍ من غير كلفة على اللسان³¹⁰. ويبدو أنّ مصطلح (اللين) عند أبي حيّان ومن تقدّمه يعني

308 ارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1.

309 الكتاب 176/4.

310 ينظر: الرعاية، ص 101.

(السهولة) أي : ((أنّ الهواء يمرّ في أثناء حدوثها ليناً سهلاً من غير إعاقة (أو تضيق))³¹¹ ، وهذا الفهم يختلف عن الفهم الذي طرحه اللغويون المتأخرون من أنّها تعني بيان صفة (الضعف) لأنّها أشدّ الأصوات تأثراً بما يكتنفها من أصوات فتخضع من جرّاء ذلك للتغيير والسقوط والانقلاب³¹².

أمّا مصطلح (المدّ) فيعني أنّ هذه الأصوات الثلاثة تمتاز بصفة المدّية، لكنّ أبا حيان نصّ على أنّ هنالك اختلافاً في درجة هذا المدّ بين الألف من جهة والواو والياء من جهة أخرى، فالألف عنده أكثر التصاقاً بالمدّ منها لأنّها أمكن في هواء الفم عند خروجها، وهذا ما أكّدته الدراسة الصوتية الحديثة³¹³.

عليه فإنّ صفة المدّ تميّز هذه الأصوات في درجات متفاوتة، وهذا ما أقرّه دارسو الأصوات المحدثون، فقال د. غالب المطليبي: ((ذلك أنّ من صفاتها إمكان مدّ الصوت بها جرّاء خروج الهواء حرّاً إلى خارج الفم من غير حبس أو تضيق مما جعل اللغويين المحدثين يعرفونها بأنّها

311 دراسة في أصوات المدّ العربية: د. غالب المطليبي، ص 17.

312 ينظر: نفسه.

313 دراسة في أصوات المدّ العربية، ص 18، وينظر: علم اللغة العام، ص 75.

يمكن الغناء بها))³¹⁴. إذن فمصطلح أصوات المد واللين قد استقرّ عند اللغويين العرب وكذلك علماء التجويد الدلالة على الألف والواو والياء: ((وإن كان ذلك لا يمنع ن الإشارة بهذا المصطلح إلى الحركات بسبب أنّ اللغويين العرب عدّوا هذه الحركات أبعاضاً لأصوات الألف والواو والياء))³¹⁵.

وإلى جانب هذا المصطلح توجد مصطلحات أخرى للتعبير عن هذه المجموعة من الأصوات، كل مصطلح يوضّح خاصية من خصائص هذه الأصوات، فمن ذلك مصطلحا (الجوفية والهوائية) وهما من مصطلحات الخليل بن أحمد الفراهيدي، فقد قال: ((في العربية تسعة وعشرون حرفاً : منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياء و مدراج، وأربعة أحرف جوف، وهي : الواو والياء والألف اللينة والهمزة. سميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا في مدارج الحلق، ولا في مدارج اللهاة، وإنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف))⁽³¹⁶⁾.

314 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 117.

315 نفسه ص 17، ينظر: الكتاب 242/4، والمقتضب 211/1، والرعاية، ص 101،

وارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1.

316 العين 57/1.

ومن تلك المصطلحات أيضاً (المصوَّته)، وقد ورد ذلك المصطلح عند المبرد (ت: 285هـ) فقال: ((فمن حروف البدل حرف المدّ واللين والمصوَّته وهي الألف والواو والياء))⁽³¹⁷⁾. وقد نقل د. غانم الحمد عن عبد الوهاب القرطبي قوله عن سبب تسمية هذه الأصوات بالمصوَّته: ((وإنما سميت مصوَّته لأنّ النطق بهنّ بصوت أكثر من تصويته بغيرهنّ؛ لاّتساع مخارجهنّ وامتداد الصوت بهنّ))⁽³¹⁸⁾.

إضافة إلى ذلك هنالك مصطلح رجّحه بعض الباحثين المعاصرين ليعبر به عن أصوات المدّ واللين وهو مصطلح (الذائب)، فقال: ((وهذه حروف المدّ واللين، سميت بذلك لأنّها تذوب وتلين وتمتد، وما عداها جامد؛ لأنّه لا يلين ولا يذوب ولا يمتد))⁽³¹⁹⁾.

ثانياً: عدد أصوات المدّ واللين والعلاقة بينهما

مهما يكن المصطلح المستخدم في التعبير عن هذه المجموعة من الأصوات، فإنّ أبا حيان ومن تقدّمه يقرّرون أنّها ثلاثة أصوات: الألف والواو والياء المسبوقين بحركة من جنسهم. وكان جمهور العلماء يربطون بين

317 المقتضب 61/1، وكذلك وصفها ابن جني و تبعه ابن سينا، ينظر: الخصائص 125/3، وأسباب حدوث الحروف 42-43.

318 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 344

319 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 343.

هذه الأصوات الثلاثة وبين الحركات الثلاث : الضمة والكسرة والفتحة، كما نصّ على ذلك أبو حيّان : ((والجمهور على أنّ الفتحة من الألف، والضمة من الواو، والكسرة من الياء...))⁽³²⁰⁾. وأصل هذه الفكرة في الربط بين حروف المد والحركات ترجع إلى سيبويه الذي قال: ((وإنّما الحركات من الألف والياء والواو))⁽³²¹⁾.

وقد فصل ابن جني في ذلك فقال: ((أعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والواو والياء، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والضمة والكسرة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو...))⁽³²²⁾؛ لأنّنا عندما نشبع حركة من الحركات نجد أنّنا أنشأنا صوتاً من أصوات المدّ يجانس الحركة المشبعة، قال أبو حيّان في كلامه عن الفتحة والألف : ((حكى الفراء أنّهم يقولون: (أكلت لحماً شاة)، يريدون لحم شاة فمطلوا الفتحة حتى نشأت عنها ألف، كما قالوا في الوقف: (قالا)،

320 ارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1.

321 الكتاب 101/4، وينظر: المقتضب 211/1.

322 سر صناعة الإعراب 19/1-27.

يريدون : قال، ثم مطلوا الفتحة في القوافي ونحوها في مواضع الروية والتثبّت. ومن ذلك من الشعر قول الشاعر⁽³²³⁾:

يَنْبَاحُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ زِيَّافَةٍ مِثْلَ الْغَنِيِّ الْمَقْرَمِ

يريد: ينبع، فمطل..⁽³²⁴⁾. وقال ابن جني: ((ربّما العرب احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف الكسرة فيتولّد من بعدها ياء، وتشبع الضمّة يتولّد من بعدها واو))⁽³²⁵⁾. ((والسبب في مطل الحركات السابقة أنّ النّبر وقع فيها على المقطع الأخير، ويسمّى نبر العلوّ، ونبر هذا المقطع يقتضي إطالة الحركة حتى يبرز الصوت))⁽³²⁶⁾.

ومن خلال ما تقدّم نستطيع أن نقول إنّ الحركات (أصوات المدّ القصيرة) و أصوات المد الطويلة (أ، و، ي) من طائفة واحدة ولكن

323 هو عنترّة العبسي، ينظر: ديزان عنترّة بشرح عبد المنعم عبد الرؤوف سلي، ص

204، وطبقات ابن سلام، ص 128.

324 البحر المحيط 50/3، وينظر: سر صناعة الاعراب 27/1.

325 سر صناعة الاعراب 27/1.

326 شواهد أبي حيّان في تفسيره: د. إبراهيم صبري السيد في هامش ص 195، وينظر:

اللهجات العربية: د. علم الدين جندي 673/2.

تختلف عنها في الكمية والزمن، فالواو مثلاً عبارة عن ضمّتين، والألف عبارة عن تحتين، والياء عبارة عن كسرتين⁽³²⁷⁾.

وطرح أبو حيّان ثلاثة مذاهب حول الاختلاف في حروف المدّ واللين والحركات الثلاث أيّهما مأخوذ من الآخر، فالمذهب الأول: مذهب الجمهور وهو الحروف قبل الحركات، والمذهب الثاني: الحركات قبل الحروف، أمّا المذهب الثالث: فهو ليس الحركات مأخوذة من الحروف ولا الحروف مأخوذة من الحركات⁽³²⁸⁾.

والذي يبدو أنّ أبا حيّان مع المذهب الأول؛ لأنّه عدّ هذا المذهب مذهب الجمهور. وقد ناقش أمر هذا الاختلاف مكي بن أبي طالب، فعقد باباً استغرق عدّة صفحات وطرح المذاهب الثلاثة التي ذكرها أبو حيّان، وذهب مع المذهب الثالث، وقال عنه: ((وهو قولٌ صحيح إن شاء الله))⁽³²⁹⁾. ففكرة تحديد الأصل والفرع ليست ضروريةً هنا، فيكفي أن ندرك ونلمس ذلك الترابط وتلك العلاقة التي تجمع بين أصوات المدّ واللين الطويلة والقصيرة⁽³³⁰⁾.

327 المحيط في أصوات العربية للأنطاكي 37/1.

328 ارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1.

329 الرعاية، ص 81-84.

330 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 347.

ثالثاً: الواو والياء بين الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة

قال أبو حيّان: ((اللينة الألف والواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها، مجعها (واي) وأمكنهنّ عند الجمهور في المدّ الألف))⁽³³¹⁾.

يتبين لنا من النصّ أنّ لصوتي الواو والياء حالتين : حالة كونهما صوتي مدّ، إذا تضمّنتا الشرط الساق، وحالة أخرى عندما يفقدان الشرط لحقا بالصحيح. وبهذا يتفق أبو حيّان مع من تقدّمه من علماء العربية وعلماء التجويد في أن يكون قبل الواو والياء حركة من جنسهما، وأن يكونا ساكنين لكي يعدّا من أصوات المدّ مثل الألف⁽³³²⁾.

وأساس هذا التفريق نجده عند سيبويه، فهو يقول عن الياء: ((لما تحرّكت خرجت من أن تكون حرف لين أو صارت مثل غير المعتلّ))⁽³³³⁾.

331 ارتشاف الضرب من لسان العرب 11/1.

332 ينظر: الكتاب 202/2 و221، و442/4، والمقتضب 210/1 - 211، وسر صناعة

الاعراب 31/1، والرعاية، ص 101.

333 الكتاب 193/4. وقال ابن جنيّ في سر صناعة الاعراب 22/1: ((أنّ الياء والواو لما تحرّكتا قويّتا بالحركة فلحقّتا بالحروف الصّحاح)).

وخصّص كثير من علماء التجويد مصطلح (حروف المد واللين) للواو والياء إذا كانت حركة ما قبلها من جنسها، ومصطلح (حروف اللين) للواو والياء إذا كان غير ذلك.. قال مكّي: ((حروف المد واللين، وهي ثلاثة أحرف: الألف والواو الساكنة التي قبلها ضمة والياء الساكنة التي قبلها كسرة))⁽³³⁴⁾، وقال عن أصوات اللين: ((حرفا اللين: وهما الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء الساكنة التي قبلها فتحة))⁽³³⁵⁾.

وما أقرّه أبو حيّان من كون صورتَي الواو والياء لهما حالتان: حالة كونهما صوتي مدّ، وأخرى عندما يلحقان بالصاح، أمرٌ أكّده الدراسة الحديثة، يقول الدكتور أنيس: ((هناك صوتان بين الأصوات اللغوية يستحقان أن يعالجا علاجاً خاصاً؛ لأنّ موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه من أصوات اللين، ومع هذا فقد دلّت التجارب الدقيقة على أنّنا نسمع لهما نوعاً ضعيفاً من الخفيف، وهذان الصوتان هما ما اصطلاح علماء العربية على تسميتهما بالياء والواو في مثل: (بَيْتٌ وَيَوْمٌ) ... فالياء والواو ذات طبيعة مزدوجة))⁽³³⁶⁾.

334 الرعاية، ص 101.

335 نفسه.

336 الأصوات اللغوية، ص 42 - 43.

وكان قسم من دارسي الأصوات العربية المحدثين قد أخذوا على علماء العربية قولهم أنّ أصوات المدّ ساكنة، وأنّها مسبقة بحركات تجانسها على اعتبار أنّ أصوات المدّ هي من الجانب الصوتي حركات طويلة فلا يمكن أن توصف بالسكون ولا أن تكون مسبقة بحركات من جنسها كما ورد عند د. أنيس قوله : ((لكن القدماء قد ضلّوا الطريق السوي حين ظنّوا أنّ هناك فتحة على التاء في (كتاب) وكسرة تحت الراء في (كريم) وضمة فوق القاف في (يقول) !!، والحقيقة أنّ هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع... ويظهر أنّ الكتابة العربية في صورتها المألوفة من وضع فتحة على التاء في (كتاب)، وكسرة تحت الراء في (كريم)، وضمة فوق القاف في (يقول) قد جعلت القدماء يتوهمون وجود حركات قصيرة في مثل هذه المواضع)) (337).

نفهم من ذلك أنّ علماء العربية توهموا بطريقة الكتابة العربية التي تضع حركة قبل صوت المدّ وسكوناً فوقها من أجل الجانب الكتابي لا الصوتي المحض. ((وإذا نظرنا إلى هذه القضية من وجهة نظر الكتابة، وجدنا ما يسوّغ رسم علامات الحركات قبل حروف المدّ مع وضع علامة السكون عليها، مثل (بَاع - نَبَعَ - نَقُول) ؛ وذلك لأنّ رموز الألف

337 الأصوات اللغوية، ص 39، وينظر: دراسات في علم اللغة: د. كمال محمد بشر 201/1-

والواو والياء تمثل في الكتابة ستة أصوات... فرسم تلك العلامات أعني الحركات قبل المد، والسكون فوقها بمثابة علامة تمييزية لتحديد دلالة تلك الرموز⁽³³⁸⁾. فعلى أن لا نقطع القول أن علماء العربية القدامى قد أخطأوا حين جعلوا وجود حركات قبل أصوات المد تجانسها ؛ لأنه يمكن أن يكون لهذه الحركات مسوِّغ في أنها تمثل أوائل حروف المد التالية لها ويؤذن بتمامها⁽³³⁹⁾.

كما أن هنالك ((ظواهر لغوية وصوتية تؤيد وجهة نظر علماء العربية، فالفعل (ادْعُو) مثلاً ينتهي بحرف مد (ضمة طويلة)، وفي نظر الدارسين المحدثين أننا لا نحتاج إلى أي علامة كتابية توضع على العين أو الواو، في حين يجب في مذهب علماء العربية أن توضع ضمة على العين وسكون على الواو (ادْعُو)، وإذا جاء هذا الفعل في مثل هذا السياق (لن ادْعُو) فسوف نحتاج حينئذٍ إلى أن نضع ضمة فوق العين وفتحة فوق الواو، ولا نستطيع أن نستغني عن الضمة قبل الواو حينئذٍ ولا عن الفتحة على الواو، وكذلك الحال في الفعل (نَرْمِي - لن نَرْمِي). فلزوم الحركة قبل رمز الواو والياء في الحالة الثانية للفعل يسوِّغ بوجود حركة قبل حرف المد

338 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 381.

339 ينظر: التفكير الصوتي عند العرب: هنري فليش/ مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة

1968، ج 23، ص 79.

تمثّل الجزء الأول منه، في حين يمثّل رمز الواو والياء الجزء الثاني من حرف المدّ باعتباره حركة طويلة مؤلّفة من حركتين)⁽³⁴⁰⁾.

340 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 382.

الفصل الثاني

دراسة الأصوات العربية عند أبي حيّان متصلة

المبحث الأول

الإدغام من كلمتين

أولاً: الإدغام لغةً واصطلاحاً

قال أبو حيان: ((الإدغام في اللغة هو الإدخال))⁽³⁴¹⁾، فيقال: أدغمت اللجام في فم الدابة، أي أدخلته فيها⁽³⁴²⁾. وذكر الزمخشري أنّ ((من المجاز: أدغم الحرف في الحرف))⁽³⁴³⁾. وفي الاصطلاح هو الإتيان بحرفين، ساكن فمتحرك من مخرج واحد بلا فصل، فيختفي الساكن عند المتحرك. وفي الأصل في الإدغام إنه تقريب صوت من صوت⁽³⁴⁴⁾، ومعناه إنه لا حركة بين المثلين تفصل بينهما، وإنما يعتمد بهما اللسان اعتماداً واحدة، لأنّ المخرج واحد. وقد كان وصف سيبويه للإدغام قولاً فصلاً تابعه فيه علماء العربية - ومنهم أبو حيان - وهو أقرب إلى وصف حقيقة الظاهرة بأنّ الإدغام وصل صوت متحرك

341 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/163.

342 تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهري 5/1920، ولسان العرب: ابن منظور، مادة (دغم).

343 أساس البلاغة: للزمخشري، ص 274، وينظر: شرح التصريح على التوضيح: للشيخ خالد الأزهرى 2/398.

344 ينظر: الخصائص: ابن جني 2/141.

دون سكتة أو وقفة؛ وذلك ليرتفع اللسان بينهما رفعة واحدة . يقول سيبويه: ((وهذا باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه))⁽³⁴⁵⁾، وهذا ما ذهب إليه أبو حيان حين عرّف الإدغام اصطلاحاً بقوله: ((رفع اللسان بالحرفين دفعة واحدة والوضع بهما موضعاً واحداً))⁽³⁴⁶⁾. وفي هذا تأثر صوت ساكن بصوت مجاور متحرك مماثل له أو مقارب، وقد رتب ابن يعيش في شرح المفصل في كلام المبرد حين يقول: ((وصل حرف ساكن بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما حركة أو وقف فيصيران كحرف يرتفع اللسان عنهما رفعة شديدة واحدة))⁽³⁴⁷⁾. وهذا ما أكّده دارسو الأصوات المحدثون، فيقول د. أنيس: ((والشرط الأساسي لتحقيق تأثر الصوت بما يجاوره أن يكون التقائهما مباشراً بحيث لا يفصل بينهما أي فاصل، ولو كان هذا الفاصل حركة قصيرة، ولا يتم هذا إلا حين يكون الصوت الأول مشكلاً بالسكون))⁽³⁴⁸⁾.

345 الكتاب 4/437.

346 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/163.

347 شرح المفصل 10/130، ينظر: المقتضب 1/197.

348 الأصوات اللغوية 183.

ثانياً: مجاورة الأصوات

الأصوات إذا تجاورت تعرّضت لصفات للتغيير الجزئي أو الكلي إذا نطق بها متصلة، وذلك بحسب طبيعة الصوت وما يجاوره، فالمجاورة لها التأثير والتأثر بين الأصوات، والغرض من الإدغام وتقريب الأصوات بعضها من بعض هو طلب السهولة على المتكلم وإرادة التخفيف؛ لأنّ اللسان يفرّ إلى الأخف ويطلبه⁽³⁴⁹⁾، وفي الدرس الصوتي الحديث، يعدّ الإدغام أقصى درجات التأثير إذ يفنى الصوت في مجاوره، فلا يترك له أثراً⁽³⁵⁰⁾، على أن يكون الصوت مطابقاً كل المطابقة للصوت المجاور المؤثر فيماثلته كل المماثلة فيستحقّ حكم الإدغام، وهذا التماثل هو شرط أساسي لحدوث الإدغام، وهذه الظاهرة - أعني ظاهرة السهولة والخفة - وهي لون من ألوان التطور الصوتي في العربية، قال د. أنيس: ((والغرض من مثل هذا التأثير هو التقريب بين الصوتين المتجاورين ما أمكن تيسيراً لعملية النطق واقتصاداً في الجهد العضلي))⁽³⁵¹⁾. وهذا المفهوم قريب مما ذكره د. أحمد مختار عمر من الميل إلى تخفيض النشاط

349 ينظر: الكتاب 335/4، ومعاني القرآن للقرّاء 254/2، والسبعة في القراءات: لابن

مجاهد، ص 125، وارتشاف الضرب من لان العرب 163/1، والنشر 214/1،

والأصوات اللغوية، ص 235.

350 الأصوات اللغوية، ص 182.

351 المصدر نفسه، ص 184.

العضلي والعقلي، وأضاف : ((ويتجاذب المرء حينئذٍ عاملان هما عامل الحد الأدنى من الجهد وعامل الحد الأعلى من التمييز))⁽³⁵²⁾.

ثالثاً: إدغام المتماثلين والمتقاربين

قسّم أبو حيّان الإدغام بالنظر إلى مقدار التشابه بين الأصوات إلى (إدغام المتماثلين، وإدغام المتقاربين)، ونجد أنّ أصول هذا التقسيم ترجع إلى علماء العربية وعلماء التجويد المتقدّمين⁽³⁵³⁾، غير أنّ المتأخّرين ((استخدموا مصطلح (المتجانسين) وجعلوا له ولمصطلح (المتقاربين) دلالة محدّدة، في حين نلح عند المتقدّمين أنّ مصطلح المتقاربين يؤدّي دور المصطلحين معاً))⁽³⁵⁴⁾. ويبدو أنّ أبا حيّان وإن كان من المتأخّرين، غير أنّه نهج منهج المتقدّمين واكتفى بذكر مصطلح المتماثل المتقارب دون المتجانس.

1- إدغام المتماثلين

قال أبو حيّان : ((إن تحرّك المثلان غير همزتين جاز الإظهار وهو لغة الحجاز والإدغام ما لم يلي ساكناً غير لين أو ليناً مدغماً، وفي هذا

352 دراسة الصوت اللغوي، ص 331.

353 ينظر: الكتاب 4/473، والكشف 1/135.

354 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 397.

صوّر⁽³⁵⁵⁾، فجعل أبو حيّان صورها بأن يكون ما قبل الأول متحرّك وما بعد المثل الثاني متحرّكاً نحو (جَعَلَ لَكَ)، والثانية أن يكون ما قبل المثل الأول متحرّكاً وما بعدها المثل الثاني ساكناً، نحو (يُرد داود)، والثالثة أن يكون ما قبل المثل الأول ساكناً وما بعد الثاني ساكناً، نحو (قام مالك)⁽³⁵⁶⁾، والرابعة أن يكون ما قبل المثل الأول ساكناً وما بعدها الثاني متحرّكاً، نحو (قال له). فقد وضع أبو حيّان قاعدةً عامة في إدغام المثليين كما هو واضح من النص، أمّا إذا كان المثلان المتحرّكان همزتين ((نحو قرأ أبوك، فالإدغام لغةً رديئة))⁽³⁵⁷⁾ وهي ناجمة عن صعوبة وعسر وكلفة النطق بالهمزة، فكيف يكون الأمر إذا كان النطق بصورة مدغمة، فالهمزة ((صوت حنجري ينتج عن انطباق الوترين الصوتيين... انطباقاً كاملاً شديداً بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقاً فينجبس داخل الحنجرة ثم يسمح له بالخروج على صورة انفجار))⁽³⁵⁸⁾.

355 ارتشاف الضرب من لسان العرب 331/1، ينظر: الممتع في التصريف 631/2،

والتدريب في تمثيل التقريب: لأبي حيّان، ص 226 وما بعدها.

356 امتنع (قام مالك) لأنهم إذا أسكنوا الأول اتقى ساكناً، ومن أجازته حملة على الجمع

:ساكنين أو القاء الحركة قبله، ينظر: الكتاب 422/4، والأصول: لبن السراج 411/3.

357 ارتشاف الضرب من لسان العرب 332/1.

358 القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: د. عبد الصبور شاهين، ص 24.

وقول أبي حيّان حين مثّل للأولى بـ (جَعَلَ لَكَ) في حسن الإدغام وهو إدغام تام في المثلين المتحرّكين بعد أن سَكَنَ الحرف الأول ليتحقّق شرط الإدغام، وليس وراء حذف الحركة في (جَعَلَ لَكَ) الإدغام بقدر ما وراء التخفيف من تتابع مقاطع متحرّكة، وهذا ما أكّده المحدثون من ((أنّ اللسان العربي ينفر من توالي أربعة مقاطع متحرّكة فيما هو كالكمة))⁽³⁵⁹⁾، قال الفراء: ((فما ثقل على اللسان إظهاره فأدغم، وما سهل لك فيه الإظهار فأظهر ولا تدغم))⁽³⁶⁰⁾.

ومثّل أبو حيّان للصورة الثانية بـ (يَرِدُ داودَ) و (وولي ياسين) و (قضوَ واقد)⁽³⁶¹⁾ فخرج صوتا (الواو والياء) من حيز الأصوات الصائتة إلى حيز الأصوات الصحيحة فأدغما ؛ لأنّهما ليسا بصوتي مدّ كالألّف، وإنّما هما بمنزلة قولك : (أحمد داود واذهب بنا) ؛ لأنّ الواو والياء لما تحرّكا قويتا بالحركة فلحقّتا بالأصوات الصحيحة. إذن فالإدغام في الواو والياء يحدث حين يكون الصوتان في موقع يعدّان فيه من الأصوات الصحيحة .

359 الأصوات اللغوية، ص 163.

360 معاني القرآن للفراء 2/354، ينظر: الكشف 1/134.

361 وذلك لأنّك إنّما ترفع لسانك من موضع هما فيه سواء، وليس بهما حاجز.

ومثّل أبو حيّان للصورة الثالثة بـ (قام مالك و آي ياسين و واو واقد)
ممن أجاز الجمع بين ساكنين⁽³⁶²⁾.

وللصورة الرابعة مثّل أبو حيّان بـ (قال له و آي يزيد و واو ودود)،
فالإدغام يقوّي هذه الأصوات.

أمّا إذا كان قبل المثل الأول ساكناً غير لين، قال أبو حيّان : ((وإن
ولي ساكناً غير لين فقالوا: لا يجوز الإدغام، وجاءت حروف قرأها أبو
عمر بالإدغام، نحو: ﴿الرُّعْبَ بِمَا﴾⁽³⁶³⁾ آل عمران/ الآية 151، و ﴿
وَالْبَحْرَ رَهَوًّا﴾ الدخان/ الآية 24، و ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ﴾ الشورى/ الآية
22، قال سيبويه: (إن شئت أخفيت وكان بزنته متحرّكاً، فإنما قوله
تعالى: ﴿فَنِعْمًا هِيَ﴾ البقرة/ الآية 271، فالإدغام على لغة من يقول نِعَمَ
بكسر العين وهي لغة هذيل لا على لغة من قال نعم بسكون العين،
فالإدغام فيه من باب ما قبل المثل الأول متحرك))⁽³⁶⁴⁾.

لم يطلق أبو حيّان حكماً قاطعاً في هذا الشرط كما فعل في الهمزتين
المجتمعتين عند الإدغام، فاكتمى بعبارة قالوا، ثم أردف بعد ذلك

362 ينظر: الكتاب 4/422، الأصول 3/411، ارتشاف الضرب من لسان العرب
332/1.

363 قرأت بالإدغام الكبير، ينظر: معجم القراءات القرآنية 2/74.

364 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/332، ينظر: الكتاب 4/438، 440.

بقراءات تؤيد الإدغام. يكشف هذا عن موقف أبي حيّان الأيبجي تجاه القراءات الصحيحة حتى ولو خالفت قاعدة النحاة. ونقل إجازة بعض النحاة لذلك الإدغام فيكون بذلك منفذاً لما ورد من قراءة القراء بالإدغام إذا ولي المثل الأول ساكناً غير لين.

أما من أجاز الإدغام في ذلك فقد حُمل على وجهين كما ذكر أبو حيّان فقال : ((وقد أجاز القراء الإدغام إذا كان قبله ساكن صحيح على وجهين أحدهما : الجمع بين ساكنين كما روي عن أبي عمرو و القراء، والثاني إلقاء الحركة من الأول على الساكن قبله فتقول في مثل : ﴿البَحْرَ رَهْواً﴾ الدخان / الآية 24 بنقل حركة الراء إلى الحاء فيسكن الراء ويدغمها في الراء))⁽³⁶⁵⁾.

ونقل أبو حيّان عن كتاب التعريف لأبي العلاء المعري قوله: ((الإدغام في مثل : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾⁽³⁶⁶⁾ البقرة / الآية 185، مما قبل الحرف الأول ساكن لا يجوز عند البصريين، وأجازه الكوفيون، وقال قوم أنّ العرب إذا أدغمت مثل هذا نقلت إلى الحرف الساكن حركة الحرف المدغم مختلصة، فتقول: (شَهْرُ رمضان)، والعلّة في منع الإدغام عند أهل البصرة لثلا يجتمع ساكنان. أمّا إذا كان ساكناً ليناً لا

365 ارتشاف الضرب من لسان العرب 332/1، 333.

366 قرأت بالإدغام عن أبي عمرو والحسن، ينظر: معجم القراءات القرآنية 143/1.

خلاف بجواز الإدغام . قال أبو حيّان : ((فلو كان ساكناً ليناً نحو: (ثوب بكر وجيب بكر) جاز الإدغام، قال سيبويه⁽³⁶⁷⁾ البيان في ثوب بكر أحسن منه في الألف . ومع جواز الإدغام فليس هو في (جيب بكر) كهو في (طيب بكر) ولا في (المال لك))⁽³⁶⁸⁾.

أمّا إذا كان المثل الأول مدغماً فقال أبو حيّان : ((وإذا كان مدغماً نحو (عدوّ واقد) و (وليّ يزيد، وعزّ زهير) فلا يجوز الإدغام، وشذّ قراءة من قرأ ﴿مَسَّ سَقَر﴾⁽³⁶⁹⁾ القمر/ الآية 48 بالإدغام))⁽³⁷⁰⁾. وعقب أبو حيّان بأنّه لو سكّن المثل الأول وجب الإدغام، نحو: (اضرب بكرّاً، واخشى ياسر، أو اخشوا واقد).

ويمتنع الإدغام في حرف المد واللين، قال أبو حيّان : ((فإن كان حرف مد ولين نحو يغزو واقد، ويرمي يزيد فلا إدغام))⁽³⁷¹⁾.

367 ينظر: الكتاب 4/440.

368 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/333، قال سيبويه في الكتاب 4/440: (وتقول : هذا ثوب بكر، والبيان أحسن منه في الألف لأنّ حركة ما قبله ليس منه فيكون بمنزلة الألف، وكذلك : هذا جيب بكر. ألا ترى أنك تقول: اخشوا واقدّاً فتدغم، أخشى ياسراً، وتجره مجرى غير الواو والياء).

369 قرأت بالإدغام أو بحذف السين، عن أبي عمرو ومحبوب، ينظر: معجم القراءات القرآنية 7/41، البحر المحيط 8/183.

370 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/333، ينظر: الكتاب 4/440-441.

371 المصدر نفسه.

ويمكن أن نضع قاعدة عامة للإدغام نتلخص بما يلي:

1- إنّ أصل الإدغام يكون في حرفين المثلين لإرادة التخفيف على اللسان.

2- شرط الإدغام أن يتماثل فيه الحرفان ذاتاً وصفة.

3- إنّ الإدغام يعتمد على تأثر الأول بالثاني وهو ما أطلق عليه المحدثون مصطلح التأثر الرجعي⁽³⁷²⁾، وإذا أدغمت المثلين المتحركين عملت شيئين، أسكنت الأول وأدغمته في الثاني. وإن كان الأول ساكناً قبل الإدغام عملت شيئاً واحداً هو الإدغام.

4- إنّ مفهوم الإدغام عند أبي حيّان هو تجاوز صوتين صحيحين متماثلين أو متقاربين، الأول ساكناً والثاني متحركاً، والنطق بهما مرة واحدة.

2- إدغام المتقاربين

عقد أبو حيّان فصلاً للإدغام في المتقاربين، قال: ((المتقاربان أن تحرك ما قبل الأول أو سكن ليناً مثل الثاني وأدغم جوازاً نحو: أصحب مطراً، وباب مطر، فإن سكن غير لين فلا يدغم، نحو: حرب مالك . وقد أدغم الفراء من غير لين، نحو قوله تعالى: ﴿وَالْحَرْثِ ذَلِكَ﴾ آل

عمران/ الآية 14، وكذا إن كان همزة نحو: (قرأ هارون)، أو ضاداً نحو: (نهض الطالب))⁽³⁷³⁾.

والذي يبدو من هذا النص أن أبا حيّان وضع قاعدة عامة لإدغام المتقاربين وهو أن يتحرك ما قبل الصوت الأول أو يسكن ليناً، ومثل ذلك بـ(اصحب مطراً، باب مطر) والذي يبرر إدغام الباء في الميم من الناحية الصوتية أن مخرج كل منهما الشفتين وهذا ما اقرّه الدرس الصوتي الحديث، إذ أنه ((لا فرق بين الباء والميم إلّا في أنّ الهواء مع الأولى يتّخذ مجراه من الفم، ومع الثانية يتّخذ مجراه من الأنف، فعملية الإدغام هنا مجرد انتقال الصوت الأول من بين أصوات الفم إلى نظيره بين أصوات الأنف))⁽³⁷⁴⁾ فتماثلت الباء في الميم بمماثلة رجعية⁽³⁷⁵⁾، أمّا إذا سکن الصوت وهو غير لين فلا يحدث الإدغام. ومثّل لذلك أبو حيّان بـ ﴿وَالْحَرْثِ ذَلِكَ﴾ آل عمران/ الآية 14، وذلك يخالف القاعدة التي أقرها أبو حيّان.

373 ارتشاف الضرب من لسان العرب 333/1، وينظر: النهر الماد: لأبي حيّان 224/6،

والتدريب في تمثيل التقريب، ص 234.

374 المدخل إلى علم الأصوات: د. صلاح الدين صالح، ص 105.

375 الأصوات اللغوية، ص 189.

إضافة إلى ذلك ذكر أبو حيان أنه إذا كان الصوت همزة نحو: (قرأ هارون) أو ضاداً نحو: (نهض طالب) لا يحدث إدغام. أما بخصوص الهمزة وإدغامها في الهاء فقد ثبت صحة ما جاء به أبو حيان من خلال ما أكدّه الدرس الصوتي الحديث، فيقول د. أنيس: ((والأمثلة القرآنية للإدغام، حيث نستعرضها صوتاً صوتاً باحثين عما يمكن أن يدغم فيه كل صوت، نلاحظ أنّها قد خلت من إدغام أصوات الحلق في مجانسها أو مقاربها، إلّا مثلاً واحداً أباح الإدغام فيه كثير من القراء وهو إدغام الحاء في العين))⁽³⁷⁶⁾. والهمزة صوت حلقي كما هو معلوم، وهو أقصى الأصوات سفولاً، فالصوت الأقرب إلى الفم يؤثر في الأبعد، لذلك الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله. أمّا صوت الضاد فهو الأقوى ؛ لأنه خالط باستطالته الثنية وهي مع ذا مطبقة فقد تمتعت بالاستطالة والإطباق . وهذه القاعدة تمثل أن لا يكون المدغم أضعف من المدغم فيه ؛ لأن الأضعف لا يستطيع حمل الأقوى⁽³⁷⁷⁾، وأسباب القوة معروفة من جهر وشدة وصفير وتفشي وغنة وتكرير وتفخيم واستطالة وقلقلة، وأسباب الضعف معروفة من همس ورخاوة واستفال وانفتاح ولين.

376 الأصوات اللغوية، ص 188.

377 الرعاية، ص 181.

فالإدغام يهدف إلى المماثلة في تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق، فحينما يؤثر صوت في آخر، فإن الأضعف بموقعه في المقطع أو بامتداده النطقي هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر مع توفير الجهد بتجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها، وقد عبر عنها الدرس الصوتي الحديث بقانون الأقوى وقانون الجهد الأقل⁽³⁷⁸⁾. ويقول الدكتور أنيس: ((خلت الأمثلة القرآنية من إدغام أصوات الإطباق في غيرها من الأصوات، إلا مثلاً واحداً أباح إدغامه كثير من القراء، وهو حين تلتقي الضاد مع الشين))⁽³⁷⁹⁾، وقد ذكر أبو حيان هذا المثل القرآني، غير أنه أضاف مثلاً قرآنياً آخر، قال: ((روي عن أبي عمرو إدغامها في الذال، نحو: ﴿الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾⁽³⁸⁰⁾ سورة الملك / الآية 15، وفي الشين، نحو: ﴿لِبَعْضِ شَانِهِمْ﴾⁽³⁸¹⁾ سورة النور / الآية 62))⁽³⁸²⁾.

ويبدو أن السبب في عدم ورود أمثلة قرآنية لأصوات الإطباق المدغمة في غيرها هو قلة شيوع هذه الأصوات في اللغة مما يجعلها أقل

378 ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص 319.

379 الأصوات اللغوية، ص 188.

380 لم ترد حالة الإدغام في هذه الآية في معجم القراءات القرآنية.

381 ينظر: معجم القراءات القرآنية 4/270.

382 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/334.

تعرّضاً لظاهرة الفناء في غيرها، هذا إلى أنّ هذه الأصوات تحتاج إلى جهد عضلي كبير في النطق بها مما يستلزم لفنائها من الكلام أن يمرّ الصوت في أكثر من مرحلة قبل الفناء في غيره⁽³⁸³⁾. كذلك إذا كان الصوت الأول (فاءً) فلم يجوز أبو حيان الإدغام، قال: ((وقد قرأ الكسائي ﴿نَحْسِفُ بِهِمْ﴾⁽³⁸⁴⁾ سبأ / الآية 9، بالإدغام وهو مما انفرد به))⁽³⁸⁵⁾. في حين أنّ باقي القراء أظهروها⁽³⁸⁶⁾. كذلك لم يجوز أبو حيان⁽³⁸⁷⁾ إدغام الميم في مقاربها الباء، نحو: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾⁽³⁸⁸⁾ الأنعام / الآية 53، ومما يؤيد ذلك أن لم يرد في الأمثلة القرآنية مثل هذا الإدغام⁽³⁸⁹⁾، لكن روت القراءات أنّه يجوز إدغام الباء في الميم، قال أبو حيان في النهر المادّ: ((وأدغم بعض القراء الباء

383 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 188.

384 قرأت بالإدغام عن الكسائي وهو مما انفرد به، ينظر: معجم القراءات القرآنية 5/145.

385 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/334.

386 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 200.

387 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/334.

388 قرأت تبالإدغام الكبير، ينظر: معجم القراءات القرآنية 2/272.

389 ينظر: الأصوات اللغوية، من ص 187 الى ص 202.

في الميم في ﴿ اَرْكَبْ مَعَنَا ﴾⁽³⁹⁰⁾ هود/ الآية 42، لاشتراكهما في
أنهما من حروف الشفة))⁽³⁹¹⁾.

كما تحدّث أبو حيان عن إدغام الرّاء في اللام، فنقل رأي
البصريين وعلى رأسهم الخليل، ورأي الكوفيين وعلى رأسهم الكسائي
فقال⁽³⁹²⁾: ((فأمّا إدغام الرّاء في اللام نحو: ﴿ فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾
الإنسان/ الآية 24، فذهب الخليل وسيبويه⁽³⁹³⁾ جمهور البصريين إلى
أنّه لا يجوز، وأجاز ذلك أبو عمرو وقرأ به رواية وسماً، ويعقوب،
وأجازة الكسائي والفرّاء وأبو جعفر الرّؤاسي وحكوه عن العرب)) .
فصوت الرّاء لا يدغم في الأمثلة القرآنية إلّا في صوت اللام، والذي
يبرر الإدغام هو قرب المخرج مع اتحادهما في الصفة، حيث إنّ كلّاً

390 وردت عند صاحب المعجم بإظهار الباء وهي قراءة لـ (ابن عامر، حمزة، نافع،
عاصم، ابن كثير، ورش، خلف، خلاد، قالون، البزي، أبو جعفر، قبل، ابن شنبوذ،
شعبة، حفص)، وقال صاحب المعجم: ((النسب لكثير من هؤلاء الإدغام وقد
اضطربت الروايات في النسبة اضطراباً شديداً كما تدل النقول الواردة في النشر والغيث))،
ينظر: معجم القراءات 113/3-114، والنشر 11/2-12.
391 النهر الماد من البحر 224/6، وينظر: الأصوات اللغوية، ص 189.
392 ارتشاف الضرب من لسان العرب 334/1، وينظر: التدريب في تمثيل التقريب، ص
233.

393 ينظر: الكتاب 448/4، يقول مكّي في الكشف 135/1-136: ((... والذي يقيح
الإدغام فيه لقوّة الأول وضعف الثاني نحو إدغام الرّاء في اللام...)).

منهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة (أي لا شديد ولا رخو) كذلك لأن صوت الراء في نظر المحدثين من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، فهي بذلك أشبهت اللام والنون والميم التي تعد حلقة وصل بين أصوات اللين والأصوات الساكنة⁽³⁹⁴⁾.

وأشار أبو حيان إلى إدغام الباء في الفاء والميم فقال: ((وتدغم الباء في الفاء والميم نحو: اضرب فاجراً أو اضرب مطراً))⁽³⁹⁵⁾، وقد روت كتب القراءات إجازة هذا الإدغام⁽³⁹⁶⁾، أما الدرس الصوتي الحديث فقد أدغم الباء في الميم وذلك أن مخرج كل منهما الشفتان ((وإنه لا فرق بين الباء والميم إلا في أن الهواء مع الأولى يتخذ مجراه من الفم، ومع الثانية يتخذ مجراه من الأنف، فعملية الإدغام هنا مجرد انتقال الصوت الأول من بين أصوات الفم إلى نظير له بين أصوات الأنف))⁽³⁹⁷⁾.

أما إدغام الباء في الفاء فهو ((أقلّ شيوعاً، لأنه يستلزم أولاً قلب الباء وهي مجهورة إلى نظيره المهموس وهو الصوت الشائع في اللغات

394 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 198-199.

395 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/334.

396 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 189.

397 نفسه.

الأورية والذي يرمز إليه بالرمز (P) وهو صوت شديد انفجاري مخرجه الشفتان، وإذا لم ينحبس معه النفس

وأصابته صفة الرخاوة بأن يسمع له صفير، إنقلب إلى صوت قريب الشبه جداً بالفاء؛ لأنها رخوة مهموسة، وبهذا يتم الإدغام⁽³⁹⁸⁾.

أشار أبو حيّان كذلك إلى إدغام الهاء في الحاء، والحاء في الهاء ونقل كلام سيبويه عن إدغام الحاء في الهاء، والهاء في العين، والعين في الهاء، فقال: ((والهاء في الحاء نحو: أحبه حاتم والبيان أحسن، والحاء في الهاء إلا أنه يصير الهاء حاءً فنقول في أمدح هلاًلاً: أمدح حلالاً. وقال سيبويه: لا يدغم الحاء في الهاء ولا تدغم الهاء في العين ولا العين في الهاء، فلو اجتمعاً قلباً جائز تقول في: أحبه عتبه اقطع هلالاً : أحبح حتبه واقطع حلالاً))⁽³⁹⁹⁾.

يتبين من النص أنّ أبا حيّان ذكر إدغام الحاء في الهاء، لكنه أردف قائلاً أنّ البيان أحسن، فيما أنّ الهاء أدخل في الخلق، والحاء أشدّ خروجاً في الخلق إلى الفم، فلذلك أدغمت الهاء في الحاء، في حين أشار إلى أنّه لا تدغم الحاء في الهاء إلا أن يصير الهاء حاء؛ لأنّ الإدغام

398 الأصوات اللغوية، ص 189-190.

399 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/334-335، وينظر: الكتاب 4/449.

يقع فيما قرب من الفم، فالحرف الأقرب إلى الفم يؤثر في الأبعد، ولأنّ الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله. كذلك أعلن أبو حيّان من خلال استشهاده بنص سيوييه أنّه لا تدغم كذلك الهاء في العين، ولا العين في الهاء إلّا إذا اجتمعا قلباً فالإدغام جائز، نحو: أحبه عتبه واقطع هلاًّلاً، تصبح: أحبح حتبه واقطح حلالاً⁽⁴⁰⁰⁾. وكما هو معلوم إنّ أصوات الهاء والحاء والعين حلقية لذلك يقول الدكتور أنيس: ((الإدغام جائز الوقوع في كل صوت من أصوات اللغة العربية، غير أنّه نادر من أصوات الحلق؛ لأنّها ليست بأصل الإدغام))⁽⁴⁰¹⁾. لذلك خلت الأمثلة القرآنية من إدغام أصوات الحلق في مجانسها أو مقاربيها إلّا قليلاً⁽⁴⁰²⁾. كذلك نرى أبا حيّان لم يجوز سوى إدغام الهاء في الحاء، مع ذلك رجع البيان بأنّه أحسن من الإدغام. أمّا إدغام الحاء في الهاء، والعين في الهاء، والهاء في العين فقرّر أبو حيّان أنّه لا يجوز حصول الإدغام بينهما إلّا إذا اجتمعا قلباً.

وذكر أبو حيّان إدغام الجيم مع الشين والتاء فقال: ((وتدغم الجيم في الشين، نحو: ﴿كَزَّجَ أَخْرَجَ شَطَأُهُ﴾ الفتح/ الآية 29، وقراءة أبي

400 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/334-335.

401 الأصوات اللغوية، ص 187.

402 نفسه، ص 188.

عمرو ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرِجُ ﴾⁽⁴⁰³⁾ المعارج / الآية 2-3، ولم يذكر
 سيبويه إدغام الجيم في التاء إنما ذكر في الشين، وتأول بعضهم قراءة أبي
 عمرو على إنه إخفاء، وذكر صاحب الكتاب إن الشين تدغم في الجيم،
 نحو: (عَطِشَ جُحْدَرِي)⁽⁴⁰⁴⁾. فإن قوة الصوت هي التي أثرت في
 الإدغام أولاً، ولموقعية الصوت في أحيائها، وذلك لانحدار هذه
 الأصوات نحو الفم من الخارج إلى الداخل أي بعدها، أو قربها في
 أصوات الفم واللسان وما فيه زيادة صوت يدغم فيه الأقل ثانياً. فإدغام
 الجيم في الشين يتطلب أن تفقد الجيم جهرها فتزداد رخاوتها لتماثل الشين
 في المخرج، والهمس والرخاوة حتى يتم الإدغام. فقد جاز الإدغام
 كذلك لأن تفشي الشين يقربها منها وهو من نوع الإدغام الكبير⁽⁴⁰⁵⁾،
 وفي قراءة أبي عمرو (المعارج تعرج) الإدغام قد حصل من همس الجيم
 أولاً ؛ لأن التاء صوت مهموس هم ينتقل مخرج الجيم نحو الثنايا، مع
 انحباس النفس انحباساً كاملاً لتصبح في شدة التاء فيتم الإدغام⁽⁴⁰⁶⁾
 وهو إدغام كبير.

403 قرأت بالإدغام الكبير، ينظر: معجم القراءات القرآنية 449/7.

404 ارتشاف الضرب من لسان العرب 335/1، ينظر: الكتاب 449/4.

405 الأصوات اللغوية، ص 195.

406 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 195، دراسة الصوت اللغوي، ص 34.

ولم يصرّح سيبويه بإدغام الجيم في التاء كما أورد أبو حيّان، لذلك تأوّل بعض من يتّبع سيبويه قراءة أبي عمرو على أنّه إخفاء وليس إدغام، ولم يأخذ أبو حيّان بذلك كما يبدو لأنّ أبا حيّان له مبدأ ثابت إتّجاه القراءات الصحيحة الرواية فجعلها سنة متّبعة وإن خالفت أقوال البصريين ورواياتهم⁽⁴⁰⁷⁾.

كما أورد أبو حيّان قول سيبويه في إدغام الشين في الجيم، نحو: (عَطِشَ جحدري)، فيبدو الأمثلة القرآنية قد خلت من هذا الإدغام لذلك لن يورد سيبويه مثلاً قرآنياً لذلك، وهذا ما أيّده الدكتور أنيس إذ يقول: ((ومّا يستحق الذكر أنّ الأمثلة القرآنية قد خلت أيضاً من ذكر (الزاي والشين) مدغمتين في غيرهما من الأصوات، وليس لهذا ما يبرّره من الناحية الصوتية سوى مجرد المصادفة))⁽⁴⁰⁸⁾.

وأشار أبو حيّان إلى الحروف الخارجة من طرف اللسان والثنايا وهي (الطاء والذال والتاء و الظاء و التاء والذال وأدغمها في الجيم والضاد والسين) الخارجة من وسط اللسان، فقال: ((وتدغم الطاء والذال والتاء والظاء والتاء والذال في الجيم والضاد والسين، نحو: (جعفر وضمرة وسالم بعد ضبط وبعد سكت ووعظ وأخذ ولبث)، ولم يحفظ

407 ارتشاف الضرب من لسان العرب 339/1.

408 الأصوات اللغوية 189.

سيبويه إدغام هذه الستة في الجيم، ولكن ذكر ذلك أبو سعيد⁽⁴⁰⁹⁾، وغيره. وبعض العرب يقي الإطباق في الطاء والظاء وهو الأولى، وبعضهم يذهب وإذهابه مع الدال أقوى منه مع التاء، قال سيبويه⁽⁴¹⁰⁾: كلّ عربي يعني إبقاء الإطباق وتركه ولا يظهر من كلامه الأولوية في إبقاء الإطباق⁽⁴¹¹⁾.

عرض أبو حيّان لقراءة أبي عمرو في إدغام الحاء في العين، فقال: ((وقع التكافؤ بين الحاء والعين فأدغمت الحاء في العين لقراءة أبي عمرو ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾⁽⁴¹²⁾ آل عمران/ الآية 185، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ البقرة/ الآية 229، ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى﴾ آل عمران/ الآية 45. قال أبو عمرو: ومن العرب من يدغم الحاء في العين، ومنع سيبويه وأبو علي من إدغام الحاء في العين، وتأول بعضهم الإدغام على أنّ المراد به الإخفاء، ويجوز أن تقلب العين إلى الحاء فنقول في امدح

409 أبو سعيد السيرافي المتوفى (368هـ)

410 ينظر: الكتاب 4/460.

411 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/335.

412 قرأت بالإدغام الكبير عن أبي عمرو ويعقوب، ينظر: معجم القراءات القرآنية

92/2.

عرفة: امدح حرفة، وأدغمت العين في الحاء، نحو: (اقطع حبلك) قال سيبويه: الإدغام والبيان حسنان⁽⁴¹³⁾.

فالذي يبدو ممّا وردت في قراءة أبي عمرو من إدغام صوت الحاء في العين في الآيات القرآنية التي تضمّنّها النص، غير جائز عند سيبويه وأبي علي الفارسي⁽⁴¹⁴⁾، بل وخرج بعضهم الإدغام الوارد في قراءة أبي عمرو أنّ المراد به الإخفاء، ((والقوانين الصوتية تبرّر هذا الإدغام؛ لأنّه لا فرق بين الحاء والعين إلّا في أنّ الأولى مهموسة، والثانية نظيرها المجهور))⁽⁴¹⁵⁾. لذلك جوز أبو حيّان قلب العين إلى حاء، فتقول في امدح عرفة: امدح حرفة⁽⁴¹⁶⁾ حتى يتم الإدغام (ح+ع=حّ). قال سيبويه: ((ولم تدغم الحاء في العين في قولك: امدح عرفة؛ لأنّ الحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الحاء مع العين، وهي مثلها في الهمس والرخاوة مع قرب المخرجين فأجريت مجرى الميم مع الياء، فجعلتها بمنزلة الهاء، كما

413 ارتشاف الضرب من لسان العرب 336/1، وينظر: الكتاب 451/4، والإيضاح

العضدي: لأبي علي الفارسي 277/2، والتدريب في تمثيل التقريب، ص 231.

414 الإيضاح العضدي 277/2.

415 الأصوات اللغوية، ص 188.

416 ارتشاف الضرب من لسان العرب 336/1.

جعلت الميم بمنزلة النون مع الباء))⁽⁴¹⁷⁾. ثم نقل أبو حيّان قول سيبويه في إدغام العين في الحاء بأنّ الإدغام والبيان حسنان⁽⁴¹⁸⁾.

وذكر أبو حيّان إدغام العين والحاء في الغين والحاء، ونقل مذهب سيبويه والجمهور بأنّه لا يجوز، ولا يجوز في (أمدح غالباً، وأمدح خلفاً، وأسمع غالباً، وأسمع خلفاً) إلّا الإظهار. غير أنّ بعض النحويين ذهبوا إلى جواز ذلك وزعموا أنّه مستقيم في اللغة، جائز في القياس⁽⁴¹⁹⁾. ويبدو ممّا ذكره أبو حيّان بأنّه ليس مع إدغام العين والحاء في الغين والحاء؛ لأنّ صوتي العين والحاء مخرجهما من وسط الحلق، في حين أنّ الغين والحاء من أدنى الحلق إلى الفم.

ويحسن إدغام الغين في الخاء، والحاء في الغين؛ لأنّهما قربا من حروف الفم، وهما من مخرج واحد هو أدنى الحلق إلى الفم. وصوت الغين مجهور، والحاء مهموس، وقد اشتركا في الرخاوة. وكما صرح أبو حيّان بحسن الإدغام، كذلك صرح بحسن البيان، في حين صرح سيبويه بأنّ البيان في (أسلخ غنمك) أحسن.

417 الكتاب 4/451.

418 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/336، وينظر: الكتاب 4/451.

419 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/336، وينظر: الكتاب 4/451.

قال أبو حيّان في التدريب: ((إن جامعَت "خاء" (ادمغ خلفاً) و(اسلخ غنماً)، فالخيار- أي بين البيان والإدغام - مطلقاً، أي: كيف اجتمعتا))⁽⁴²⁰⁾.

وقد نقل ابن يعيش قول المبرد وعلّل بالإدغام، وقرب الخاء إلى الفم فقال: ((الإدغام أحقّ من البيان، والبيان حسن، وفي الجملة هو أحسن من إدغام الخاء في الغين نحو: (اسلخ غنمك)؛ لأنّ الخاء أقرب إلى الفم، وعلى كل حال هو جائز لأنّ هذين الحرفين آخر مخارج (الحلق))⁽⁴²¹⁾.

ومثّل أبو حيّان لإدغام القاف والكاف بـ (الحق كنده، وامسك قصفاً)⁽⁴²²⁾. فالقاف وفق المنهج الصوتي الحديث أعمق قليلاً في أقصى الحنك، فلا فرق لذلك بينها وبين الكاف، والكاف أيسر نطقاً من القاف من ناحيتي مخرجها وعدم تدخل مؤنّخر اللسان - بحركة ثانويّة - في أثناء نطقها. والقاف مخرجها متطرّف من ناحية، ونطقها يصحب بحركة ثانويّة لمؤنّخر اللسان، من ناحية أخرى، مما يكسبه بعض القيمة التفخيميّة⁽⁴²³⁾.

420 التدريب في تمثيل التقريب، ص 231.

421 شرح المفصل 10/137.

422 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/336.

423 دراسة الصوت اللغوي، ص 341، والأصوات اللغوية، ص 200.

ونقل أبو حيان عن أبي العباس فقال: ((قال أبو العباس: الإدغام أحسن، وقال غيره البيان في الكاف عند القاف أحسن من إدغام الكاف فيها))⁽⁴²⁴⁾.

وذكر أبو حيان الأصوات الصفيّية ومثّل لها ب: (سالم وزاهد وصابر) من أنّها تدغم بعد (فخص وأوجز وحبس) وقال فيها: ((قيل والإدغام فيهنّ أحسن من الإظهار، وإبقاء إطباق الصاد أحسن من إذهاب وإذهابه مع السين أحسن من ذهابه فيها مع الزاي))⁽⁴²⁵⁾، وهذه الأصوات مخرجها من طرف اللسان حيث التقائه بالثنايا السفلى أو العليا، ويحدث كذلك عند النطق بهذه الأصوات صفيّاً تختلف الأصوات الثلاثة في نسبة وضوحه⁽⁴²⁶⁾.

إذن فهذه الأصوات تخرج من مخرج واحد، وإنّ ما فرّق بينها صفات مميزة هي الهمس في السين، والجهري في الزاي، والإطباق في الصاد.

424 ارتشاف الضرب من لسان العرب 336/1.

425 نفسه 337/1، لأنّ الزاي مرقّق مجهور السين مرقّق مهموس، والصاد مفتخّم مهموس.

426 ينظر: الأصوات اللغويّة، ص 74 الى 76، ودراسة الصوت اللغوي ص 98.

وذكر أبو حيان⁽⁴²⁷⁾ إدغام السين في الشين، ومثل له بقوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾⁽⁴²⁸⁾ مريم/ الآية 4، فقد تمّ الإدغام هنا بـ ((انتقال مخرج السين إلى وسط الحنك، وبهذا تشبه الشين همساً ورخاوة))⁽⁴²⁹⁾.

وذكر أبو حيان أصوات الطاء والذال والتاء والظاء والذال والشاء، فقال: ((ويدغم كل واحد منهنّ في الخمسة، نحو: (دارم، وتميم، وظالم، وذنّب، وثابت) بعد (اربط)، ونحو: (طالب، والأمثلة الأربعة المذكورة) بعد (ابعد)، أو بعد (اسكت) أو بعد (عظ)، و(انبذ)، و(ابعث) . وتُبين الثلاث الأول قبل الثلاث التي تليها أحسن من تبينها إذا وقع بعضها قبل بعض))⁽⁴³⁰⁾. فقد أطلق الدرس الصوتي الحديث على هذه المجموعة من الأصوات (المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج)، فوجه الشبه بين كل هذه الأصوات هو أنّ مخارجها

427 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 337/1.

428 قرأت بالإدغام الكبير عن أبي عمرو، ينظر: معجم القراءات القرآنية 30/4.

429 الأصوات اللغوية، ص 199.

430 ارتشاف الضرب من لسان العرب 337/1. أي: أنّ الحرف الأول إذا أدرج في الثاني مخرجاً وصفةً، فالإدغام تام، وإن أدرج الحرف الأول في الثاني مخرجاً لا صفةً، فالإدغام ناقص، والصفة باقية من الحرف الأول فتكون أمّا بغنة، وأمّا بإطباق، نحو: (إدغام الطاء في التاء، وأمّا في استعلاء وذلك في إدغام القاف في الكاف مثلاً . فقد نظر العلماء إلى مقدار التشابه بين الأصوات التي يحصل فيها الإدغام).

تكاد تنحصر بين أوّل اللسان (بما فيه طرفه) والثنايا العليا (بما فيها أصولها)، على أنّ رغم تقارب مخارجها، تفرّق بينها صفات صوتيّة متباينة⁽⁴³¹⁾، فمن الممكن إذن حصول الإدغام للتقارب بين هذه الأصوات من حيث المخارج.

وذكر أبو حيان أنّ الثلاثة الأولى - ويقصد بها الأصوات الشديدة وهي الطاء والذال والتاء - أولى بالبيان من الأصوات الثلاثة الأخرى الرخوة وهي الظاء والذال والتاء. كما ذكر أبو حيان أنّ هذه الأصوات الستة تدغم في الأصوات الصفيريّة، وقد مثّل لها فقال: ((وتدغم الستة في الصفيريّة، نحو: (صابر وزاهد وسالم) بعد (ضبط) و بعد (نعت) و(وعظ) و (نبذ) و(بعث)))⁽⁴³²⁾. والذي يبرّر هذا الإدغام اشتراك الأصوات الصفيريّة (السين والزاي والصاد) في المخرج مع الذال والطاء والتاء لأنّها اسنانيّة لثويّة، ومع الذال والطاء والتاء لأنّها أسنانيّة قريبة منها في المخرج.

431 الأصوات اللغويّة، ص 46.

432 ارتشاف الضرب من لسان العرب 337/1.

وقد جاء في كتاب الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس أمثلة قرآنية للإدغام تخصّ أصوات (الطاء والذال والتاء والظاء والذال والتاء)، وكذلك إدغامها في الأصوات الصفيّة⁽⁴³³⁾.

أمّا ما يخصّ إدغام اللام فقد قال أبو حيّان: ((وتدغم اللام في التسعة (يعني الطاء والذال والتاء والظاء والذال والتاء والأصوات الصفيّة)، وفي (الضاد والشين والراء)، فإن كانت اللام للتعريف أو للمح الصفة أو زائدة نحو: (الدهقان والصعق والزيد)، وجب الإدغام على ما حفظه البصريون، وقال الكسائي: سمعت العرب تظهر لام التعريف عند هذه الحروف إلّا عند اللام والراء والنون، فنقول: الصامت، وإن كان اللام لغير ما ذكر جاز الإدغام. ويقوى الإدغام في الراء نحو: هل رأيت؟ قال سيبويه: والإظهار لغة لأهل الحجاز عربيّة))⁽⁴³⁴⁾.

نفهم من ذلك أنّ اللام أمّا حرف تعريف أو لا. فإذا لم يكن حرف تعريف فحدث اتفاق على إدغامها بالراء، نحو: قوله تعالى ﴿قُلْ

433 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 190 إلى 198.

434 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/337.

رَبِّ ﴿⁽⁴³⁵⁾ المؤمنون/ الآية 93. أما إدغامها في غير ذلك فمختلف فيه، قال د. غانم: ((فالقراء اتفقوا على إدغامها في الراء نحو: ﴿ قُلْ رَبِّ ﴾ إلا حفصاً فإنه يسكت على اللام ومن ثم فات الإدغام، واختلفوا في إدغام (هل وبل) في ثمانية أحرف هي: التاء والثاء والزاي والسين والضاد والطاء والظاء والنون، وقد اختار عاصم الإظهار في الجميع)) ⁽⁴³⁶⁾. وإذا كانت اللام للتعريف أو للمح الصفة أو زائدة فإدغامها واجب في الطاء والتاء والذال والظاء والثاء وفي الأصوات الصغرى وفي الضاد والنون والشين والراء، ((لذلك فإن معظم القراء قرأوا ما وقع من ذلك الإدغام . ويضعف الإدغام في النون، نحو: ﴿ هَلْ نَدُكُمُ ﴾ ⁽⁴³⁷⁾ سبأ/ الآية 7، ولذلك أجمع القراء الستة غير الكسائي على الإدغام، ومثال ذلك (طبع و دنى وتلف وظلم وذهب وثبت وصبر وسمع وزين وضرب وشهد ونأى ورتى)، وقال سيبويه: الإدغام مع الشين والصاد أضعف)) ⁽⁴³⁸⁾.

435 قد ورد إدغام اللام في الراء إدغاماً كبيراً عند جميع القراء فلم يستثنى صاحب المعجم حفصاً من ذلك في جميع الآيات التي جاءت اللام فيها مجاورة للراء، ينظر معجم القراءات القرآنية 211/4 و 223.

436 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 115 - 116.

437 قرأت بالإدغام عن الكسائي وابن محيصن، ينظر: معجم القراءات القرآنية 144/5.

438 ارتشاف الضرب من لسان العرب 337/1، وينظر: الكتاب 466/4.

وقد علّل علماء العربية أنّ مخرج اللام من مخرج هذه الأصوات مع أنّ هذه الأصوات أقوى من اللام، ليس فيها ما ينقص عن قوة اللام إلا التاء، فكأنّ في إدغامها فيهنّ قوة لها⁽⁴³⁹⁾. وقد برّر الدكتور أنيس إدغام اللام في كل هذه الأصوات بأن ((اللام أكثر الأصوات الساكنة شيوعاً في اللغة العربية، ولا شك أنّ الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر عرضة للتطور اللغوي من غيرها. هذه إلى أنّ جميع الأصوات التي تدغم فيها اللام تدرج تحت تلك المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخرج التي سبق شرحها ما عدا الشين))⁽⁴⁴⁰⁾.

وقال د. أحمد مختار عمر: ((تحوّل اللام إلى مماثل لما بعدها حين يتقارب المخرجان، وتحتفظ بشخصيتها حين يتباعد المخرجان، فاللام تقع في المخرج الخامس من الأمام وهو اللثة، ولهذا فهي تدغم في الأصوات الساكنة القريبة المماثلة لها في المخرج، ويشمل ذلك الأصوات (ذ، ث، ظ، د، ت، ط، ز، س، ص، ض، ن، ر، ش). ولا تدغم في الأصوات الساكنة البعيدة عنها في المخرج، ويشمل ذلك الأصوات

439 الكشف 1/141، وينظر: المقتضب 2/207، والخصائص 1/54،

440 الأصوات اللغوية، ص 202.

(ب، م، ف، ك، خ، ع، غ، ق، ح، هـ، ء، ويضاف إليها
الجيم)))⁽⁴⁴¹⁾.

رابعاً: أحكام النون الساكنة

ذهب أبو حيّان إلى جعل أحكام النون الساكنة إذا وقعت قبل غيرها من الأصوات أربعة أحكام هي: (الإظهار، الإدغام، الإخفاء، القلب)، وهذا هو الاتجاه الغالب عند دارسي الأحكام الصوتية المتعلقة بالنون الساكنة عند المجاورة⁽⁴⁴²⁾.

1- الإظهار

معنى الإظهار هو أن يكون مخرج النون الساكنة من الفم وذلك بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة ويجري الصوت غنة في الخيشوم على نحو ما مرّ بنا من تحديد مخرج النون⁽⁴⁴³⁾. إنّما تظهر النون إذا جاء بعدها أحد أصوات الحلق الستة (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء)، قال أبو حيّان: ((والنون الساكنة تظهر عند حروف الحلق من كلمة أو كلمتين))⁽⁴⁴⁴⁾.

441 دراسة الصوت اللغوي، ص 334.

442 ينظر: التحديد في الإتيان والتجويد، ص 113 إلى 117، والإقناع 247/1.

443 ينظر: ص 26 - 27 من هذا الكتاب، والكتاب 254/4.

444 ارتشاف الضرب من لسان العرب 338/1.

فحقيقة الإظهار هو أن ينطق بالنون على حدها، ثم ينطق بأصوات الإظهار من غير فصل بينها وبين حقيقتها، فلا يسكت على صوت النون ولا يقطعها عن أصوات الإظهار؛ لأنّ الإظهار هو لغة البيان، وكان سيبويه قد ذكر إظهار النون الساكنة عند أصوات الحلق الستة، وعلّل ذلك ببعدها عن مخرج النون لذلك لا يحدث تأثير بالمجاورة، حيث يقع الإدغام في أكثر الكلام لتقارب مخارج الأصوات فيما بينها، فلما تباعدت المخارج وتباينت، وجب الإظهار⁽⁴⁴⁵⁾. وذهب علماء التجويد المذهب نفسه في تفسير ظاهرة عدم تأثر النون الساكنة عند مجيء أصوات الحلق بعدها⁴⁴⁶.

ويلعلّ الدكتور أنيس بقوله: ((ولعلّ السر في إظهار النون ولام التعريف مع أصوات الحلق أنّ هذه الأصوات غير مستعدة بطبيعتها لفناء الأصوات فيها))⁽⁴⁴⁷⁾.

تعرض أبو حيان لمسألة التفاضل في الإظهار في النون الساكنة فقد قال: ((الإظهار متفاضل، فأشدّه وأسرعه وأمكنه عند الهمزة ثم

445 ينظر: الكتاب 4/454، والمقتضب 1/216، والشرح المفصل 10/143، وجمع

الهوامع 2/230، حاشية الصبان 4/354.

446 ينظر: الرعاية، ص 236 إلى 237، والتحديد في الإنشاق والتجويد، ص 113.

447 الأصوات اللغوية، ص 187.

الحاء ثم العين، وأضعفه عند الخاء والغين⁽⁴⁴⁸⁾. يتبين من ذلك أنه كلما بعد مخرج الحرف عن مخرج النون الساكنة كان التبيين أمكن و أظهر، وكلما قرب كان العكس ((فتظهر النون الساكنة والتنوين عند الهمزة والهاء إظهاراً بيناً يقال له أعلى، وعند العين والحاء إظهاراً أوسط، وعند الغين والحاء إظهاراً أدنى))⁽⁴⁴⁹⁾. إليك أمثلة قرآنية لإظهار النون الساكنة عند أصوات الحلق في الجدول الآتي:

الإظهار في كلمتين	الإظهار في كلمة	الحرف	
﴿مَنْ آمَنَ﴾ البقرة/62	﴿وَيَأْتُونَ﴾ الأنعام/26	ء	إظهار أعلى
﴿مَنْ هَاجَرَ﴾ الحشر/9	﴿وَيَنْهَوْنَ﴾ آل عمران/104	هـ	
﴿مَنْ عَمِلَ﴾ الأنعام/54	﴿أَنْعَمْتَ﴾ الفاتحة/7	ع	إظهار أوسط
﴿مَنْ حَادَّ﴾ المجادلة/22	﴿وَتَحْتُونَ﴾ الأعراف/74	ح	
﴿مِنْ خَيْلٍ﴾ الحشر/6	﴿وَالْمَنْخَقَةُ﴾ المائدة/3	خ	إظهار أدنى
﴿مِنْ غِلٍّ﴾ الأعراف/43	﴿فَسَيَنْغِضُونَ﴾ الإسراء/51	غ	

448 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/338.

449 فن التجويد، ص 25 في هامش رقم (1).

2- الإدغام

ماعدا أصوات الحلق الستة التي تظهر النون الساكنة عندها، نجد أنه إذا وقعت قبل بقيّة الأصوات يلحقها نوع من التأثير بسبب المجاورة. قال أبو حيّان: ((وتدغم النون الساكنة في الراء واللام بغنة وبغير غنة. وقال أبو سعيد الأجود: إبقاء الصوت غنة، ودعوى أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي الإجماع على ذهاب الغنة منها عندهما باطلة، وتدغم في الميم بغنة، واختلفوا في الغنة، فقليل هي الميم المبدلة من النون المدغمة في الميم، وهو مذهب المحققين، واختيار ابن الباذش. وقيل هي النون، وهو مذهب ابن كيسان وابن المنادي وابن مجاهد في أحد قوليّه، واختيار مكي بن أبي طالب. وتدغم في الواو والياء بغنة وبغير غنة فيما هو بكلمتين، فأما في كلمة تلبس في المضاعف فالإظهار، نحو: (دنيا و صنوان وبنيان)، فإذا أبقيت الغنة عند الواو والياء فذهب عبد الباقي بن حسن صاحب السيرافي وأبو الحسن علي بن بشير الأنطاكي صاحب الزجاجي إلى أنّ ذلك إخفاء وليس بإدغام، وهو قول الخذاق والأكثر من أهل الأداء، واختاره عثمان الصيرفي)) (450).

450 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/338-339.

نفهم من ذلك أنّ النون الساكنة إذا انتهت بها الكلمة و وقع في أول كلمة تليها أحد هذه الأصوات (الراء، اللام، الميم، الواو، الياء) تدغم بحرف الإدغام فيصيران حرف واحد مشدد من جنس الثاني. وهنالم من يضيف إلى تلك الأصوات صوت (النون) وهو الغالب بما يبدو عند أكثر علماء العربية والتجويد، وقد جمعها بعضهم بعبارة (يرملون)⁽⁴⁵¹⁾. غير أنّ ما ذهب إليه أبو حيان من عدّها خمسة أصوات لم يكن جديداً، فهناك من سبقه إلى ذلك من علماء العربية والتجويد⁽⁴⁵²⁾.

ويعطي الداني تسويغاً منطقياً فيما أراه لسبب إسقاط النون من أصوات الإدغام بقوله: ((والقرّاء يزيدون حرفاً سادساً وهو النون، نحو ﴿مِنْ نُورٍ﴾ النور/40 و﴿يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ الغاشية/8 ولا معنى لذكرها معهن لأنها إذا التقت بمثلها لم يكن غير إدغامها كسائر المثليين))⁽⁴⁵³⁾. وهذا ما يمكن أن يفهم من سبب إسقاط أبو حيان صوت النون من (يرملون).

وقد أشار الدرس الصوتي الحديث إلى أنّ النون الساكنة المتطرّفة إلى صوت مائل للصوت التالي لها فتصيران حرفين من جنس واحد

451 ينظر: الرعاية ص237، والحجة في القراءات السبع ص44، وشرح الشافية3/273، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص434.

452 ينظر: الكتاب4/452-453، والمقتضب221/1، والتحديد في الإتيان والتجويد، ص114.

453 التحديد في الإتيان والتجويد، ص114.

أولهما ساكن يلفظان حرفاً مشدّداً مع الأصوات المتوسطة التي يجمعها قولك (يرملون)⁽⁴⁵⁴⁾.

وذكر أبو حيّان أنّ الإدغام قد يحصل بغنة وبغير غنة، قال الدكتور أنيس: ((والقرّاء عادةً يقسمون الإدغام إلى إدغام ناقص فيه لا يتم فناء أحد الصوتين بل يترك الصوت بعد فنائه أثراً يشعر به كما هو الحال في الإدغام مع الغنة، والقرّاء يكادون يجمعون على أنّ هذا لا يكون إلاّ حين تلتقي النون المشكلة بالسكون بالياء أو الواو... فإذا لم نلاحظ أثراً للصوت بعد فنائه سمّوه إدغاماً كاملاً أو فناءً كاملاً))⁽⁴⁵⁵⁾. وقال أيضاً عن فناء النون عند الواو والياء: ((والحالة الوحيدة التي يسمح فيها بمرور الهواء من الأنف والفم معاً هي عند جمهور القرّاء حين تلتقي النون بكل من الياء والواو، كذلك الصوت الأنفي الذي نسمعه في قراءة أمثال: (مَنْ يَقُول - مَنْ وَال) ليس نوناً بل هي ياء أنفميّة أو واو أنفميّة سمح عند النطق بها أن يمرّ الهواء من كل من الأنف والفم))⁽⁴⁵⁶⁾.

454 ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص 334.

455 الأصوات اللغوية، ص 186-187.

456 الأصوات اللغوية، ص 72.

أمّا إذا وقعت بعد النون الساكنة ميماً فقال الدكتور أنيس: ((أمّا إذا ولي النون ميم فالنون هنا تفنى فناءً تاماً في الميم، فهو إدغام كامل لا ريب في هذا، والغنة في هذه الحالة هي غنة الميم المشددة))⁽⁴⁵⁷⁾.

وأشار أبو حيّان كذلك إلى أنّ الإدغام لا يحدث إلّا في كلمتين، أمّا إذا جاءت النون وأحد أصوات الإدغام في كلمة واحدة كـ (دنيا) فيمتنع الإدغام خشية اللبس بالمضاعف. وكان سيبويه قد نصّ على أنّ النون إذا وقعت قبل أصوات الإدغام في كلمة واحدة وجب إظهارها، وكذلك علماء التجويد⁽⁴⁵⁸⁾.

وقدّم علماء التجويد تعليلاً لإدغام النون الساكنة في أصوات الإدغام انحسر في التقارب في المخارج أو المشابهة في الصفات، قال الداني: ((وإنّما أدغمت النون والتنوين بهذه الحروف للقرب الذي بينهما وبينهنّ، والتشاكل والمشابهة، فأدغما في الراء واللام لقرب مخرجهما على

457 الأصوات اللغوية، ص 73.

458 ينظر: الكتاب 4/455، والمقتضب 1/220، قال الداني في التحديد في الإتيان والتجويد، ص 116-117: ((هذا الذي ذكرناه من الإدغام في حروف (لم يرو) إنّما يكون ذلك إذا كانت النون معهن من كلمتين، فإن كانت معهن من كلمة لم يجر الإدغام، نحو {قَنَوَانُ} الأنعام/99، و{صِنَوَانُ} الرعد/4، و{بَنِيَانَهُ} التوبة/109، و{الدُّنْيَا} البقرة/85، وكذا شاة زئما وما أشبهه وذلك مخافة أن يشتبه ذلك إذا أدغم بالمضاعف الذي على مثال فعال، نحو: صَوَّان وحيَّان وشاة جمَّاء، فعدل عن الإدغام لذلك)).

طرف اللسان، وقد قيل أنهم من مخرج واحد، فأدغما في الميم للمشاركة التي بينهما وبينها في الغنة حتى كأنك تسمع النون كالميم والميم كالنون لنداوة صوتهما. وأدغما في الواو للمؤاخاة التي بين الواو والميم في المخرج، إذ كانا يخرجان من بين الشفتين، وأيضاً فإن المد الذي في الواو بمثابة الغنة التي في الميم. وأدغما في الياء لمؤاخاتها الواو في المد واللين، ولقربها أيضاً من الراء، لكنه ليس يخرج من طرف اللسان أقرب إلى الراء من الياء، لذلك يجعل الألف الراء ياءً⁽⁴⁵⁹⁾.

وقد اتفق أهل الأداء دون النحويين على أن تدغم النون في اللام والراء من غير غنة، ويسمى الإدغام الكامل، أما بقية الأصوات التي يجمعها (يومن) تدغم النون فيها بغنة، ويسمى الإدغام الناقص⁽⁴⁶⁰⁾.

علينا أن ننبّه بأن صوت الميم تدغم فيه النون إدغماً كاملاً، ولكنه أدرج ضمن ما يدعى بالإدغام الناقص لوجود الغنة، وحتى لا يحصل التباس في تقسيم الإدغام إلى إدغام بدون غنة وإدغام بغنة، لأن المتعارف عليه إذا وجدت الغنة سمي الإدغام ناقصاً، والغنة التي تخرج

459 التحديد في الإتقان والتجويد، ص 114-115.

460 ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد، ص 114-116، الكشف 162/1، وفن

التجويد، ص 27 و29.

أثناء إدغام النون في الميم هي غنة الميم كما أكد ذلك الدكتور إبراهيم أنيس سالفاً.

واليك الأمثلة القرآنية التي توضّح الإدغام بنوعيه من خلال الجدول الآتي:

إدغام بغنة		إدغام بغير غنة	
ي	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ ﴾ الزلزلة/8	ل	﴿ مِنْ لَدُنْكَ ﴾ آل عمران/8
و	﴿ مِنْ وَالٍ ﴾ الرعد/11	ر	﴿ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ البقرة/5
م	﴿ مِنْ مَاءٍ ﴾ المرسلات/20		
ن	﴿ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ القصص/46		

3- القلب

ذكر أبو حيّان أنّ النون تُقلب ميماً عند ملاقاتها الباء، فقال: ((وتقلب النون ميماً عند الباء))⁽⁴⁶¹⁾، وهذا ما قرّره علماء العربية منذ سيبويه الذي قال: ((وتقلب النون مع الباء ميماً))⁽⁴⁶²⁾.

461 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/338.

462 الكتاب 4/453، وينظر: المقتضب 1/218.

وتحدّث علماء التجويد بشيء من التفصيل عن ذلك، قال الداني:
((والحالة الثالثة أن يقلب ميماً من غير إدغام وذلك إذا لقيا الباء، نحو:
﴿أَنْ بَوْرِكَ﴾ النحل/8، و ﴿أَنْبِثْهُمْ﴾ البقرة/33، وما أشبهه، وإنما
قلبا ميماً عندها خاصّة من أجل مؤاخاة الميم للنون في الغنة، ومشاركتها
للواء في المخرج، فقلبا ميماً من أجل ذلك))⁽⁴⁶³⁾.

ولم يبعد دارسو الأصوات المحدثون عن ذلك، فقد قال الدكتور
أنيس: ((إذا جاورت النون الباء مجاورة مباشرة، لاحظنا أنّ النون تتأثّر
بالباء فتقلب إلى صوت أنفي شبيه بالباء في المخرج، وهذا الصوت هو
الميم. أي أنّ النون تفقد مخرجها، ولكن لا تفقد صفتها الأنفية))⁽⁴⁶⁴⁾.
فقلبت النون إلى صوت وسط بينها وبين الباء وهو الميم، إذ أنّه من مخرج
الباء نفسه ويحمل صفة النون (الغنة) نفسها.

وأورد أبو حيان تسمية بعض العلماء لقلب النون عن الباء ميماً
إبدالاً⁽⁴⁶⁵⁾، قال: ((وتقلب ميماً عند الباء، وبعضهم يعبر بالإبدال،
وقيل وهو إجماع من العرب وزعم الفراء أنّ النون عند الباء مخففة كما
تخفى عند غيرها من حروف الفم ويؤوّل قوله على أنّه

463 التحديد في الإتيان والتجويد، ص 117.

464 الأصوات اللغوية، ص 73.

465 الإقناع 1/257.

سمى البدل إخفاء، وقد أخذ بظاهر عبارته قوم⁽⁴⁶⁶⁾. فيما يبدو من النص أن أبا حيان غير موافق لمذهب الفراء حين عدّ النون عند الباء مخفأة، وأخذ بتأويل قوله بأنه سمي البدل إخفاء⁽⁴⁶⁷⁾.

يقع القلب في كلمة، ويقع في كلمتين⁽⁴⁶⁸⁾. وإليك الأمثلة القرآنية على ذلك:

القلب في كلمة		القلب في كلمتين	
﴿أَنْبِئْهُمْ﴾ البقرة/33	تقرأ عند القلب (أَمْبِئْهُمْ)	﴿أَنْ بُورِكَ﴾ النمل / 8	تقرأ عند القلب (أَمْبُورِكَ)

4- الإخفاء

إذا وقعت النون الساكنة قبل بقية حروف المعجم، كان حكمها الإخفاء. أشار أبو حيان لذلك بقوله: ((وتخفى مع باقي الحروف وهي خمسة عشر حرفاً))⁽⁴⁶⁹⁾. فالحروف الخمسة عشر هي جميع الحروف ماعدا حروف الإظهار والإدغام والقلب، وهي:

466 ارتشاف الضرب من لسان العرب 338/1.

467 ينظر: الإقناع 258/1، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 444 - 445 .

468 ينظر: فنّ التجويد، ص 30.

469 ارتشاف الضرب من لسان العرب 339/1.

(ت، ث، ج، د، ذ، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ف، ق، ك)

فاستعمالهم للإخفاء طلباً للنفخة كاستعمال الإدغم، غير أنه أشمل، إذ يخفى ما لا يجوز إدغامه، ولا يدغم إلا ما لا يجوز إخفاؤه⁽⁴⁷⁰⁾.

كان سيبويه قد ذكر حكم أخفاء النون الساكنة فقال: ((وتكون النون مع سائر حروف الفم خفياً مخرجه من الخياشيم...))⁽⁴⁷¹⁾.

وحقيقة الإخفاء هي وجوب الغن في النون الساكنة بصفة تكون بين الإظهار والإدغام، قال أبو حيّان: ((والإخفاء حال بين الإظهار والإدغام، ويزيد الإخفاء فيما قرب من تلك الحروف إلى النون، وينقص فيما بعد منها))⁽⁴⁷²⁾.

وعن سبب إخفاء النون الساكنة وكذلك التنوين عند هذه الأصوات هو: ((أنهما لم يقربا منهنّ قريبا من حروف الإدغام، فيجب إدغامهما فيهنّ من أجل القرب، ولم يبعدا منهنّ كبعدهما من حروف الإظهار، فيجب إظهارهما عندهنّ من أجل البعد، فلما عدم القرب

470 ينظر: شرح المفصل 145/10.

471 الكتاب 4/454، وينظر: المقتضب 1/215.

472 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/339.

الموجب للإدغام والبعد الموجب للإظهار أعطينا حكماً متوسطاً بين الإدغام والإظهار وهو الإخفاء⁽⁴⁷³⁾.

وأتفق المحدثون من دارسي الأصوات العربية مع أبي حيان ومن تقدّمه من علماء العربية والتجويد في تجلية حقيقة ظاهرة الإخفاء، ولم تكن عندهم أي زيادة على ما قيل في ذلك، قال الدكتور أنيس: ((الدرجة التي تلي إظهار النون هي مصطلحة القدماء على تسميته بالإخفاء، ويكون هذا مع خمسة عشر صوتاً عند جمهور القراء، هي: (القاف، الكاف، ...) وليس ما سمّوه بالإخفاء إلا محاولة الإبقاء على النون وذلك بإطالتها مما أدّى إلى ما نسمّيه بالغنة، هذا إلا أننا نلاحظ مع ما يسمّونه بالإخفاء ميل النون إلى مخرج الصوت المجاور لها))⁽⁴⁷⁴⁾.

ونخصّ الدكتور أحمد مختار عمر النص السابق بقوله وهو يتكلّم عن النون المخفّاة : ((فهي تطول وتثقل إلى مخرج الصوت الذي بعده))⁽⁴⁷⁵⁾.

وإليك الأمثلة القرآنية⁽⁴⁷⁶⁾ الآتية الدالة على الإخفاء:

473 فن التجويد، ص 34.

474 الأصوات اللغوية، ص 70 - 71 .

475 دراسة الصوت اللغوي، ص 334.

476 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 448.

الآية	الحرف
﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ﴾ الأنعام/93	إخفاء النون مع القاف
﴿وَلَتَنْ شِئْنَا﴾ الإسراء/86	إخفاء النون مع الشين
﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ النمل/90	إخفاء النون مع الجيم
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ فاطر/10	إخفاء النون مع الكاف
﴿وَمَنْ ظَلَّ﴾ يونس/108	إخفاء النون مع الضاد
﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ الحجر/26	إخفاء النون مع الصاد
﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ التوبة/91	إخفاء النون مع السين
﴿مَالِكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ إبراهيم/44	إخفاء النون مع الزاي
﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ﴾ التوبة/66	إخفاء النون مع الطاء
﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ فصلت/49	إخفاء النون مع الدال
﴿أَنْ تَبُوءَ لِلْقَوْمِ مَكًّا﴾ يونس/87	إخفاء النون مع التاء
﴿وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ سبا/22	إخفاء النون مع الظاء
﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ ص/8	إخفاء النون مع الذال
﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ البقرة/25	إخفاء النون مع الثاء
﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾ الأنبياء/59	إخفاء النون مع الفاء

المبحث الثاني

الوقف

أولاً: معنى الوقف

قال أبو حيّان : ((الوقف قطع النطق عند إخراج آخر اللفظة، وهو اختياري، وهو غير الوقف الذي يكون استثنائاً وإنكاراً و تذكراً وترثماً))⁽⁴⁷⁷⁾. ويبدو من النص أنّ الوقف عند أبي حيّان نوعان: اختياري - وهو المقصود - ونوع آخر لا يمكن تسميته اضطراري؛ ذلك لأنّ الأخير لو استمرّ بالكلام دون التوقّف لأخذ الشهيق، عندها سيتحوّل الكلام إلى غمغمة غير مفهومة ثمّ الانقطاع الكامل. وفي لحظة الانقطاع هذه يستقبل الشهيق حيث تتوسّع مجاري التنفّس لاستقبال الهواء. أمّا ما ذكر من الوقف الذي يكون استثنائاً وإنكاراً و تذكراً وترثماً، فهو من باب الاختيار، والغريب أنّ التذكّر هو مدُّ للحركة القصيرة. وما ذكره أبو حيّان نصّ عليه المحدثون، قال تمام حسن عن الوقف والابتداء أو السكون والحركة بالمعنى الواسع للحركة بغض النظر عن موجبات الوقف اختيارية كانت أو إجبارية : ((فالحركة مظهر من مظاهر الاستمرار في الأداء والصمت الذي يأتي عن تمام المعنى جزئياً أو كلياً أو عن انقطاع النفس

477 ارتشاف الضرب من لسان العرب 392/1.

أو لأي سبب يدعو إلى قصد الوقف يعتبر عكس الحركة تماماً، فبينه وبين الحركة تنافر)) (478).

ثانياً: أنواع الوقف

قال أبو حيان عن الوقف الإجباري أنه : ((غالباً ما تلزمه تغيرات أما في الحركة بحذف وهو السكون أو بروم أو إشمام، وأما في الكلمة بزيادة عليها إما بتضعيف وإما بهاء السكت، أو ينقص بحذف حرف العلة أو بقلب آخر للكلمة إلى حرف علة، وبإبدال حرف صحيح منه)) (479).

نستنتج من هذا القول أن عملية التوقف عن الكلام اختيارياً تصبحها تغيرات صوتية متنوعة تحدث تغيراً في مقاطع الكلمة العربية، وهذه التغيرات هي نقل وحذف وإسكان، ويتبعها التضعيف والروم والإشمام والبدل. وقد بين السيرافي أن أوجه الوقف عند سيبويه خمسة: الوقف بالسكون الروم، والإشمام، والتضعيف، والنقل، وزادت كتب القراءات على ما سبق الوقف بالحذف والوقف بالإبدال (480).

478 العربية معناها ومبناها : د. تمام حسان، ص 271

479 ارتشاف الضرب من لسان العرب 392/1.

480 ينظر: شواهد أبي حيان في تفسيره ، باب الوقف

كذلك أضاف أبو حيان الوقفين المذكورين في كتب القراءات إلى أوجه الوقف فأصبحت عنده سبعة. أمّا الوقف بالسكون فهو حذف الحركة من الساكن الموقوف عليه، وهو الأصل في الوقف. والنقل هو تحويل الحركة إلى الساكن قبله، وهذا النوع قليل⁽⁴⁸¹⁾. والتضعيف زيادة ساكن من جنس الساكن الموجود في الكلمة، وهو قليل كَقِلَّة الوقف بالنقل⁽⁴⁸²⁾ والإشمام، كما يقول أبو حيان: ((هو الإشارة بضم الشفتين إلى الحركة المحذوفة من غير صوت ويدركه البصير لا الأعمى))⁽⁴⁸³⁾، ((والغرض به الفرق بين الساكن والمسكن))⁽⁴⁸⁴⁾، وأمّا الروم فهو مصوّت إلّا أنّه ضعيف لأنّك ((تأتي بالحركة مع إضعاف صوتها، والغرض به هو الغرض بالإشمام))⁽⁴⁸⁵⁾.

والبدل هو إبدال الساكن بالساكن مع حذف حركته، والحذف هو كحذف ألف الضمير الغائبة. وهذا لا يخرج عن أمرين، أمّا الزيادة في بُنية الكلمة - وهذا معناه في علم اللغة الحديث زيادة في مقاطع الكلمة - وأمّا النقصان وهذا معناه اليوم نقصان في مقاطع الكلمة.

481 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 399/1.

482 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 398/1.

483 ارتشاف الضرب من لسان العرب 397/1

484 حاشية الصبان على شرح الأشموني 209/4.

485 حاشية الصبان على شرح الأشموني 209/4.

ولكي نعرف كيف يكون التغيير في مقاطع الكلمة العربية نتيجة الوقف،
تحتّم علينا استعراض أنواع المقاطع العربية، قال الدكتور أنيس: ((وأنواع
النسج العربية خمسة فقط هي:

- | | |
|---|--------|
| 1- صوت ساكن + صوت لين قصير. | Open |
| 2- صوت ساكن + صوت لين طويل. | |
| 3- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن. | Closed |
| 4- صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن. | |
| 5- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان)) (486) | |

فالمقطع الأول كما في (ذ) من (ذَهَبَ) وهو لا يكون إلا مفتوحاً
(س ح) (487)، ويسمى المقطع القصير. أمّا المقطع الثاني مثل (مّا)
(س ح) (488) ويسمى مقطعاً متوسطاً مفتوحاً. أمّا المقطع الثالث مثل
(مَنْ) (س ح س) ويسمى مقطعاً متوسطاً مغلقاً. أمّا المقطع الرابع مثل

486 الأصوات اللغوية، ص 163.

487 يقصد بالرمز (س) الصوت الساكن، وبالرمز (ح) الحركة.

488 يقصد بالرمز (ح) حركة طويلة.

(شَاب) في الوقف (س ح س) وهو مقطع طويل. وأمّا المقطع الخامس وهو المقطع المديد مثل (نَحْر) (س ح س س) وهو لا يكون إلا في الوقف، وهو مغلق⁽⁴⁸⁹⁾.

ثالثاً: النقص والزيادة

لما كان النقص والزيادة في حالة الوقف يقعان على المصوّت في المقطع الأخير، وهذا يؤدي في أغلب الأحوال إلى تأثر في النسيج المقطعي للكلمة، لذا سنورد نماذج لحالي النقص والزيادة عند أبي حيّان في ضوء ما تحدّثه من تغير في المقطع العربي.

1- النقص

هو في الكلمات التي تنتهي بمقطع قصير (س ح) نحذف الحركة (ح) ويبقى الساكن (س). فإذا كان المقطع الذي يسبق الأخير قصيراً مثله، تحوّل إلى مغلق متوسط، قال أبو حيّان : ((والوقف على المبني المتحرّك آخره إن كانت حركته مشبهة حركة الإعراب بوجه ما، فالوقف بالسكون، نحو: لا رجل، ويا يزيد، ومن قبل))⁽⁴⁹⁰⁾. فقبل الوقف كانت الكتابة المقطعية لكل من (رجل) و (زيد) و (قبل) هكذا : (س

489 ينظر: ظاهرة التنافر في العربية: رسالة ماجستير: عبد العزيز أحمد، ص 45.

490 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/405.

ح / س ح / س ح)، وعند الوقف تحوّل المقطع الذي يسبق الأخير إلى مغلق متوسط (س ح / س ح س).

أمّا إذا أريد الوقف على كلمة تنتهي بمقطع متوسط مفتوح (س ح) وهو خاص بالوقف على الضمير، قال أبو حيان: ((وجاء حذف ألف الضمير الغائب منقولاً فتحها إلى ما قبلها، سُمع ذلك في قول بعض طيّئ: والكرامة ذاتُ أكرمكم الله به. يريد "بها"، ولم يحفظ منه غير هذا لبعض العب فلا يتعدّى فيوقف على (منها و عنها، منه و عنه) ويجعل ذلك قانوناً كلياً)) (491).

نتبين من ذلك أنّه حدث حذف الألف (ح) من (بها) فانتظم بذلك الساكن (س) إلى المقطع الذي يسبق الأخير فيتحوّل إلى مقطع متوسط مغلق (س ح س).

أمّا إذا أريد الوقف على كلمة تنتهي بمقطع متوسط مغلق (س ح س) وهذا خاص بالكلمة المنونة سواءً أكانت مقصورة نحو (فتى) أم منقوصة نحو (قاضي) أم ليست كذلك نحو (زيد).

أما المقصور نحو (فتى) (س ح / س ح س) قال أبو حيّان: ((والمقصور المنون يوقف عليها بالألف))⁽⁴⁹²⁾ فالذي يحذف هنا قاعدة المقطع لا قُتته، إذ الحذف يقع على التنوين وهو ساكن (س) فيبقى المقطع الأخير بهذا الشكل (س ح)، ولا يخلو أمر المقصور هذا من حالتين: أمّا أن نلجأ إلى الإسكان فنحذف الحركة (ح) ونضمّ قاعدته إلى المقطع قبلها فتصير الكلمة (فت) (س ح س) وهذا إخلال للكلمة، والجمع بين حذفين هنا يشبه الجمع بين أعلايين، فكلاهما يؤدي إلى فناء الكلمة، وأمّا أن نمدّ الحركة القصيرة (ح) ونجعلها طويلة (حَ) فتكون الكلمة (فتى) (س ح / س حَ) وهذا الذي سلكته العربية وجاء به أبو حيّان.

أما المنقوص نحو: (قاضي) (س حَ / س ح س) فاللغة سلكت مسلكين: الأوّل هو الجمع بين حذفين للساكن (س) وهو التنوين والحركة (ح) التي قبله. ويكون الوقف على (قاضي) بهذا الشكل (س حَ س)، وإنّما جمع بين حذفين لعدم الإخلال بالكلمة. قال أبو حيّان عن المنقوص المجرور والمرفوع ((إن كان منوناً غير محذوف الفاء أو العين نحو: (قاضي) فالأجود والأكثر حذف التنوين والياء فنقول

492 ارتشاف الضرب من لسان العرب 393/1.

(قاضٍ))⁽⁴⁹³⁾، إذ نحول المقطع الذي يسبقه من (س ح) إلى مقطع طويل.

والمسلك الثاني أن يُصار إلى ما صار عليه في (فتى) عند الوقف أي بمدّ الصوت هكذا (قاضي) (س ح / س ح). والمختار عند علماء العربية كما ذكر أبو حيّان هو المسلك الأوّل.

((أما المنقوص المجرور، والمرفوع إن كان منوناً محذوف الفاء، نحو: يفّ علماً، أو العين نحو: مِر اسم فاعل من أرى وَقَفْتُ عليها بالياء قولاً واحداً))⁽⁴⁹⁴⁾ وذلك حفاظاً على الكلمة من الفناء نحو: (مُرَى) اسم الفاعل من ((أرى) يرئى، أصله مرئى على وزن مُفْعِل فاعل أعلال قاض وحذفت عينه وهي الهمزة بعد نقل حركتها، فإنه إذا وقف لزم ردّ الياء، وإلاّ لزم بقاء الاسم على أصل واحد وهو الراء وذلك إجحاف بالكلمة))⁽⁴⁹⁵⁾، لأنه يؤدّي إلى فنائها.

أما المنقوص في حالة النصب، قال أبو حيّان: ((نحو: (رأيتُ القاضي) فالوقوف بالياء، ومن قال: (رأيتُ القاضي) بسكون الياء

493 ارتشاف الضرب من لسان العرب 395/1.

494 ارتشاف الضرب من لسان العرب 395/1.

495 حاشية الصبان 208/4.

فينبغي أن يقف بالوجهين كحاليّ الرفع والجر⁽⁴⁹⁶⁾. فالكّابة المقطعية ل (القاضي) قبل الوقف هي (س ح س / س ح / س ح / س ح)، وعند الوقف يتحوّل المقطع الأخير وهو قصير مفتوح إلى متوسط مغلق فتصبح (القاضي) عند الوقف هكذا: (س ح س / س ح / س ح س)، فقد حذفت الحركة وانتظم الساكن إلى المقطع الذي يسبقه.

أمّا المنقوص المنصوب بدون (ال) التعريف، نحو: (رأيتُ قاضيًا) فتكون القضية عكس الأولى؛ لأنّه عند الوقف يحذف الساكن (س) فيبقى (س ح)، ثمّ تمدّ الحركة (ح) فيتحوّل المقطع بذلك من متوسط مغلق إلى متوسط مفتوح.

أمّا الوقوف على المنون المنتهي بقاء التأنيث فلا يتأثر المقطع عند الوقف بالحالات الإعرابية الثلاث، قال أبو حيّان: إنّ التنوين ((إن)) كان في مؤنث بالهاء والأعراف أنّه يبدّل من التاء هاء فتقول رأيت قائمه⁽⁴⁹⁷⁾. فقد حصل إبدال التاء هاء ووقف عليها، فالتأثير يكون في حذف (س ح) فتضم القاعدة الباقية إلى المقطع الذي يسبقها فيتغيّر بالضرورة هذا المقطع، فإن كان قصيراً يتحوّل إلى متوسط مغلق، نحو: (قائمة) (س ح / س ح / س ح / س ح س)، وعند الوقف يصبح:

496 ارتشاف الضرب من لسان العرب 395/1.

497 ارتشاف الضرب من لسان العرب 392/1.

(قائمه) (س ح / س ح / س ح س) . ومن حالات النقص نقل الحركة إلى الساكن قبلها، وهذه الحالة وإن لم تكن نقصاً من حيث المجموع غير أنّها تعد نقصاً للساكن الأخير، وعلى هذه المسألة يتعين الوقف.

والتغيير الذي يطرأ على المقاطع جرّاء النقل إنّما يأتي من تغيير موقع الحركة القصيرة (الفونيم) فتتأثر المقاطع، قال أبو حيان : ((ومثال النقل قولهم في قامَ عمرو: عمرو، وفي مررتُ بيكر: بيكر، ومنه : (اضربه) في اضربه وفي (ضربه) وهذا مطرد في الوقف على هاء المذكر وقبلها ساكن صحيح، نحو: أخذتُ هذا مِنْهُ)) (498).

فالفاعل (اضربه) يتكوّن من ثلاث مقاطع هي: (س ح س / س ح / س ح س) ويقتضي أن يكون (اضربه) مجزوم (س ح س / س ح س / س ح) وأنت ترى أنّ التغيير وقع في المقطعين الأخيرين، وظاهر الكتابة المقطعية يوهّم بالتبادل الموقعي بين المقطعين، والواقع أنّ تغيير موقع الحركة (الفونيم) (ضمة الهاء) إلى الساكن قبلها أدّى إلى ذلك التغيير، والنسيج المقطعي للعربية لا يقبل مثل هذا النقل دائماً، ففي كلمة مثل (الدار) (س ح س / س ح / س ح) لا يجوز نقل الحركة (كسرة

الراء) ؛ لأنه يؤدي إلى الجمع بين متضادين، إذ لا يجمع بين قمتين على قاعدة واحدة، نحو: (س ح س / س ح س / س ح س) وهذا إن جاز في الرسم الكتابي على ما افترضناه فهو مستحيل في النطق ولا تنحصر الاستحالة بالمصوتات، بل تعدّها إلى نصف المزدوج وهو شبه مصوّت وإن عدّ من السواكن، مثل: (بيّ) من (بين) (س ح س / س ح) وذلك أنّ نقل الحركة إلى الياء الساكنة يوجب إعلاها على وفق قاعدة النحاة المشهورة إذا تحرّكت الياء والواو وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفاً، وفي ذلك فناء للكلمة ؛ لأنها ستكون (بان) وشتان ما بين (بان) و (بين)، ولعلّ وراء اشتراطهم في مسألة النقل يقول أبو حيّان : ((ويجوز أن تنقل الحركة إلى الساكن قبل الحرف، وشرطه: أن لا يكون حرف علة نحو: دَار و بَيْن و يَوْم))⁽⁴⁹⁹⁾، وعكس هذه المسألة إذا أُشكِل المقطع الأخير نحو: (الظّي) (س ح س / س ح س / س ح) فلا يقال عند الوقف (الظّي) أو (الظّي) أو (الظّي) أي (س ح س / س ح ح)، وأمره كأمر الدار ؛ لأنه يجمع بين مصوّت وشبه مصوّت على صامت واحد، والصامت لا يتبعه مصوّتان، اختلفا أو اتّفقا، وهذا الأمر ممّا لا يجوز عند أبي حيّان، قال: ((... وأن لا يكون المنقول منه إلّا

حرفاً صحيحاً احترازاً من نحو : ظِي و غَزُو) (500)، وقد تأتي كلمة مثل: (بُسْر) أو (بَكْر) وهذان البناءان مما يجوز فيهما النقل، ولكن إذا وقف على الأولى وهي مجرورة (لَبْسِر) فإذا نُقِلتا الحركتين إلى الساكنين قبلهما وقعنا فيما نفر منه ذوق العرب، قال أبو حيان: ((فلا ينقل في (بُسْر) مجروراً فتقول : بُسْر، ولا في (بَكْر) مرفوعاً فتقول : بَكْر)) (501). لذلك يضطرون كما قال أبو حيان إلى ((تحريك ذلك الساكن بحركة ما قبله، يقولون (هذا البُسْر، و رأيتُ البُسْر، و مررتُ بالبُسْر)) (502)، فكلمة مثل البُسْر (س ح س / س ح س / س ح) عند الوقف عليها في حالة الجر هكذا: البُسْر (س ح س / س ح / س ح س)، وهذا تغير في المقطعين الثاني والثالث يشبه التبادل المقطعي ولكن بتغيير المصوت.

وصرح أبو حيان أنه ((لم يؤثر الوقف بالنقل عن أحد من القراء إلا ما نقل عن أبي عمرو أنه وقف ﴿وتواصوا بالصبر﴾ العصر/ الآية 3،

500 ارتشاف الضرب من لسان العرب 398/1

501 نفسه

502 نفسه

بكسر الباء، والذي يظهر في حركة النقل أنّها الحركة التي في الحرف الأخير نُقِلَتْ إلى الساكن قبله، وهو قول بعض النحاة..⁽⁵⁰³⁾.

أمّا الإشمام فهو من قبيل حذف الحركة القصيرة وإضافة حركة عضويّة للشفتين⁽⁵⁰⁴⁾، ولا أثر للحركة الثانية في البناء المقطعي للكلمة لأنّها من قبيل حذف الحركة. أمّا الروم فهو تقصير الحركة عند الوقف، وهو من باب الحذف، لذلك فإنّه لا يحدث تغيير في المقطع⁽⁵⁰⁵⁾.

2- الزيادة

يجلب الوقف أحياناً زيادة على المقطع الأخير، وفي أغلب الأحوال يحدث التغيير على المقطع الأخير. ومن نماذج الزيادة، زيادة ساكن يسمّيه علماء العربية هاء السكت، قال أبو حيّان : ((والفعل المعتلّ الآخر جزماً أو وقفاً إن كان محذوف العين نحو: لا تَرَبَّكراً و زيداً، أو محذوف الفاء نحو: (لا تَقْ زيداً، وقِ عمراً) تقف عليه بالهاء، وإن كان غير محذوفهما نحو: (لا تَغْزُ واغْزُ، ولا تَرِّمُ وارِّم) فالخيار إلحاق الهاء وتبقى الضمة على حالها))⁽⁵⁰⁶⁾، فما يستلزم من زيادة أمر

503 ارتشاف الضرب من لسان العرب 399/1.

504 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 397/1.

505 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 397/1.

506 ارتشاف الضرب من لسان العرب 404/1.

الفعل اللفيف المفروق نحو: ع من وعى، وق من وقى، قال أبو حيّان: ((وهاء السكت ليست لازمة في كل فعل يعود إلى حرف واحد نحو: قَه، وِعَه))⁽⁵⁰⁷⁾؛ لأنه ليست في العربية كلمة مكونة من مقطع قصير واحد (س ح) غير إلصاقِي إِلَّا هذا البناء في حالة الدرج، فإذا وقفت عليه على حالته (ع) (س ح) أدّى ذلك إلى التّضادّ؛ لأنّ الابتداء به يقتضي وصله بمصوّت، والوقف يقتضي حذف المصوّت فيؤتى بالهاء للوقف عليها، فيتحوّل المقطع من (س ح) إلى (س ح س). واختيرت الهاء من بين الأصوات جميعاً للسكت لأنّها صوت (رخو، مهموس، منفتح، مستفل، مرقّق، مصمت) وهي الصفات التي تمثّل جانب الضعف في الأصوات وليس في الأصوات ما توافرت فيه هذه الصفات الست إِلَّا الهاء، ولولا الاحتكاك لكانت الهاء نفساً، ومن هنا ناسبت حالة والوقف.

ومن العرب من يقف على السين والشين بعد كاف المؤنّثة، قال أبو حيّان: ((وتختصّ كاف ضمير الخطاب في المؤنث بلحاق سين عند بعض العرب نحو: (أكرمكس) وهي لغة بكر بن وائل، فإذا وصلوا حذفوا السين، وتسمى الكسكسة.. وشين عند بعضهم وهي لغة أسد وتميم، وتسمى الكشكشة، فإذا وصلوا حذفوا وذلك عوض من الهاء فلا

507 ارتشاف الضرب من لسان العرب 405/1.

يجمعان))⁽⁵⁰⁸⁾. وقد رَّحَّح الدكتور النعيمي قوَّة هذه اللهجة في القياس ؛ لأنها تميِّز المؤنث والمذكر وهذا ما تفتقر إليه اللغة السائرة، يقول : ((أما من قال بِكش وَمِنْكش فإنَّها في الوقف أقوى قياساً من اللهجة السائرة كما يبدو؛ وذلك أنَّ من قواعدهم أَمِن اللبس والوقف على المتحرِّك يكون بالسكون، فإذا وقفنا على الكاف من (مَرَرْتُ بِكَ) و (عَجَبْتُ مِنْكَ) لم يكده يعلم المخاطب أُمذكر هو أم مؤنث، فإذا ألحقنا بها الشين أو السين صار معلوماً))⁽⁵⁰⁹⁾.

وهذه الزيادة ممَّا تغلق المقطع القصير فيتحوَّل إلى متوسط مغلق، فكلمة (بِكَ) (س ح / س ح) تتحوَّل عند الوقف عند هاتين اللهجتين إلى (بِكس أو بِكش) (س ح / س ح س) .

ومن الزيادة عند الوقف مدَّ الحركة القصيرة وجعلها حركة طويلة فيتحوَّل المقطع من قصير (س ح) إلى متوسط مفتوح (س حَ) ولاسيما الفتحة إذا مدَّ بها تحوَّلت إلى الألف، قال أبو حيان⁽⁵¹⁰⁾ : ((وحكى أبو علي⁽⁵¹¹⁾ وابن جنيَّ فرقاً بين الضمة والفتحة والكسرة لأنَّ بعض العرب

508 ارتشاف الضرب من لسان العرب 604/1.

509 الدراسات اللهجية والصوتية، ص 84.

510 ارتشاف الضرب من لسان العرب 399 /1.

511 ينظر: الإيضاح العضدي 20/3.

تقول: رأيتُ الرجلَا، ولا يقولون: هذا الرجلُو، ولا مررتُ بالرجلي،
وعليه جاء ﴿الظُّنُونَا﴾ الأحزاب/ الآية 10، و﴿الرَّسُولَا﴾ الأحزاب /
الآية 67، و﴿السَّيْلَا﴾ الأحزاب/ الآية 66، بإشباع الفتحة فتولدت
(منها الألف)) . فالفتحة مُدَّ بها عند الوقف فتحوّلت إلى الألف
((وهذا الوقف على الألف معناه أن اللغة العربية أساغت الوقف على
المقطع المفتوح نبر الطول))⁽⁵¹²⁾، كما هو الحال في نحو: (الظُّنُون) (س
ح س / س ح / س ح / س ح / س ح)، وكانت قبل الإشباع أو المدّ أو
الإطلاق (الظُّنُون) (س ح س / س ح / س ح).

((ومن الإطلاق (عَرَجِي عَلَيْنَا واربعي يا فاطما) هذا الحكم على من
ينتظر الحرف))⁽⁵¹³⁾. و(فاطما) (س ح / س ح / س ح)، ويا
(فاطم) (س ح / س ح / س ح) فالزيادة بإشباع الحركة القصيرة
وعندها يتحوّل المقطع من قصير إلى متوسط مفتوح.

ومن الزيادة بالتضعيف، والتضعيف في الوقف كما قال أبو حيان
هو: ((أن يجيء بحرف ساكن من جنس الحرف الآخر ليجتمع ساكنا
فيحرك الثاني ويدغم فيه الأوّل وله شروط ...))⁽⁵¹⁴⁾.

512 الدراسات اللهجية والصوتية، ص 103.

513 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/ 407.

514 نفسه 1/ 397 وينظر: حاشية الصبّان على شرح الأشمولي 4/ 209.

والتضعيف إنما هو زيادة في المقطع الأخير بزيادة ساكن في اللفظ من جنس الساكن الموقوف عليه نحو: (مِنْ) (س ح س) عند الوقف بالزيادة تصير (س ح س س)، ولكن يجب الالتزام بشروط التضعيف في الوقف، فمن شروطه مثلاً قال أبو حيّان: ((أن لا يكون تالي ساكن نحو: (عَمْرُو، وَيَوْمَ، وَبَيْنَ))⁽⁵¹⁵⁾، فلم يضعّفوا نحو: (عَمْرُو أويوم) لثلاث يقع مقطع مديد في الدرج، قال سيبويه: ((إذا كان الحرف الذي قبل آخر حرف ساكن لم يُضَعِّفُوا نحو: عَمْرُو، وَزَيْد))⁽⁵¹⁶⁾، إذ زيد وعمر في الوقف (س ح س س) فلو ضَعَّفْنَا أضفنا ساكناً آخر للمقطع فيصبح (س ح س س س) وهذا لا يتلائم والنسج العربي، وكذلك في: يوم وبين.

وصرّح أبو حيّان بأنّ الوقف بالتضعيف ((لم يؤثر عن أحد من القراء إلا ما رواه عصمة عن عاصم أنّه وقف على ﴿مُسْتَطِر﴾⁽⁵¹⁷⁾ القمر/ الآية 53، بخلاف الإسكان والروم والإشمام)⁽⁵¹⁸⁾.

515 ارتشاف الضرب من لسان العرب 397/1.

516 الكتاب 171/4 .

517 وردت هذه القراءة بالوقف عن عاصم، عمران بن حدير، وشعبة، عصمة، أعمش،

ينظر: معجم القراءات القرآنية 7 / 41، البحر المحيط 8 / 184.

518 ارتشاف الضرب من لسان العرب 398/1.

المبحث الثالث

التقاء الساكنين

دأب منهجنا في هذا الكتاب على أن نورد رأي أبي حيّان ثم نناقشه في ضوء علم اللغة الحديث وكذلك القديم لكي نتضح الصورة كاملة، ولما لم أعر - بحسب اطلاعي - على معالجة حديثة لموضوع التقاء الساكنين، اضطررت إلى أن أورد ما جاء عند أبي حيّان ومناقشته في ضوء ما جاء عند علماء العربية ممن تقدّم أبا حيّان أو تأخّر عنه.

قال أبو حيّان عن الساكنين : ((لا يلتقيان في وصل محض إلا وأولهما حرف لين و ثانيهما مدغم متّصل لفظاً نحو: الضّالّين، وتُموّد الثوب، وتظليبيّ، أو حُكّا نحو: اضربن، واضربن))⁽⁵¹⁹⁾. فقد اشترط علماء العربية - ومنهم أبو حيّان - في اجتماع ساكنين أن يكون الأوّل حرف مدّ ولين، وأن يكون الحرف الثاني مدغماً كما مثّل أبو حيّان في كلمة (الضّالّين)، وكما في قولك (دابة و شابة) . ومثّل أبو حيّان في قوله (تُموّد الثوب) وهو بناء لما يسمّ فاعله من تمادّ الزيدان الثوب، فكان من (ماددت زيداً الثوب)، أي أنّ كلّاً منهما مدّه ثم دخلت تاء المطاوعة

519 ارتشاف الضرب من لسان العرب 341/1، وينظر: شرح الشافية 212/2.

فأسند الفعل إليهما وبقي الثوب منصوباً، وصار الفعل من قبيل الأفعال المتعدية إلى مفعول واحد وبُني للمجهول وأسند الفعل إلى الثوب ف قيل (تُمودُّ الثوب).

وقد ساغ الجمع بين ساكنين وذلك من قبل أن المدّ الذي في حروف المدّ يقوم مقام الحركة، والساكن إذا كان مدغماً يجري مجرى المتحرّك؛ لأنّ اللسان يرتفع بهما دفعة واحدة وإلا فلا بدّ من تحريك أحدهما أو حذفه⁽⁵²⁰⁾.

وتحدّث ابن الأنباري عن (شابة و دابة) فقال: ((وإذا كانت ساكنة فلا يجوز أن يقع بعدها ساكن إلا مدغماً نحو: (دابة و شابة) لأنّ الحرف المدغم بحرفين : الأول ساكن، والثاني متحرّك، إلا أنّه لما

520 ينظر: شرح المفصل 122/9، وجمع الهوامع 199/2، وشرح الشافية: للرضي 2/ 212، 220. قال الجامي في الفوائد الضيائية 406/2: ((فالنون مع الضمير البارز كالكلمة المنفصلة نحو: (اغزُنَّ وارْمُنَّ يا قوم) بحذف الواو، كما حذفت في نحو: (اغزوا الكفار) و(ارموا الغرض) وكذا (اغزِنَّ وارْمِنَّ يا امرأة) بحذف الياء، كما حذفت في (اغزي الجيش) و(ارمي الغرض). وتضمّ الواو المفتوح ما قبلها نحو: (اخشَوْن) مع المنفصلة نحو: (اخشوا الرجل). وتكسر الياء المفتوح ما قبلها كما كسرتها مع المنفصلة تقول: (اخشَيْن) ك (اخشَيْنِ الرجل)).

نبا اللسان عنهما نبوة واحدة، وصار بمنزلة حرف واحد وفيهما حركة، قد رفع المد في الألف كأنه لم يجتمع ساكنان))⁽⁵²¹⁾.

قال أبو حيان : ((وربما فر من التقائهما بجعل الألف همزة في نحو: { ولا الضالّين } الفاتحة / الآية 7، وهو لغة في تميم، وعكس، يقرأ الإعرابي منهم . وقيل لامرأة منهم: (ما أذهب أسنانك؟ فقالت: أكل الحارّ و شرب القارّ) ولا ضرورة))⁽⁵²²⁾.

وذكر ابن يعيش أنّ من العرب من يكره اجتماع الساكنين على كلّ حال، فيحرك الألف لالتقاء الساكنين فتقلب همزة، وذلك لأنّ الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يحتمل الحركة، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف إليه وهو الهمزة، فمن قرأ (ولا الضالّين) فهمز الألف وفتحها؛ لأنّه كره اجتماع الساكنين (الألف واللام الأولى) وذلك ما حكاه أبو زيد عن عمرو بن عبيد في قولهم (شأبة و دابة)⁽⁵²³⁾. فهو قلب الحرف الذي لا يمكن تحريكه إلى حرف يمكن تحريكه ثم حرك. وإنّ جعل الألف همزة مفتوحة للفرار من التقاء الساكنين، كما يحكى عن أيّوب السخيتاني في الشواذ (ولا الضالّين)،

521 الإنصاف في مسائل الخلاف 2/666.

522 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/341.

523 ينظر: شرح المفصل 9/129، 130.

وهي لغة، وقراءة من قرأ ﴿ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ الرحمن / الآية 39، بجعل الألف في (جان) همزة مفتوحة للتخلص من الساكنين⁽⁵²⁴⁾.

قال أبو حيان : ((فإن كان الأول حرف مدّ والثاني غير مدغم، وذلك من كلمتين حُذِفَ نحو: (يرمى القوم، و يغزو الناس، ويخشى الغلام)، وإن كان مدغماً فحكى أبو بكر فيه الوجهين الحذف والإثبات نحو: (إي الله لقد قام فلان، وها الله لأقومن، و غلامى الشجاع جاء)، (والمشهور الحذف))⁽⁵²⁵⁾.

وكان سيبويه قد عالج هذه المسألة في باب ما يحذف من السواكن إذا وقع بعدها ساكن، فيقول سيبويه: ((وأما حذف الواو التي قبلها حرف مضموم فقولك: يغزو القوم، ويدعو الناس . وكرهوا الكسر كما كرهوا الضمّ هناك، وكرهوا الضمّ هنا كما كرهوا الكسر في (يرمى). وأما (أخشوا القوم، و رموا الرجل، وأخشى الرجل، فإنهم لو حذفوا لالتبس الواحد بالجميع والأنثى بالذكر، وليس هنا موضع التباس، ومع هذا إن قبل هذه الواو أخفّ الحركات . وكذلك ياء أخشى وما قبل الياء منها في (يقضى) ونحوه، وما قبل الواو منها في (يدعو) ونحوه،

524 شرح الشافية 248/2-249، وينظر: مع الهوامع 199/2

525 ارتشاف 1الضرب من لسان العرب/341.

فاجتمع أنّه أثقل وأنّه لا يخاف الالتباس، فحذف، فأجريت هذه السواكن التي حرّكوا ما قبلها منها مجرّياً واحداً⁽⁵²⁶⁾.

إنّ حذف الواو كان لالتقاء الساكنين ولم يحركوها لاستثقال الكسرة فيها كما استثقلوها في الياء المكسور ما قبلها، وكذلك الضمة فلم يقولوا: يغزو الجيش ولا يغزو، كما لم يقولوا: يرمي السهم ولا يرمي، بل هو ههنا أولى لأنّ الواو أثقل من الياء⁽⁵²⁷⁾.

قال الرضي في شرح الشافية: ((وجاز (ها الله) في أحد الوجوه اجتماع الساكنين وإن لم يكن المدغم من كلمة حرف المدّ لما مرّ في شرح الكافية))⁽⁵²⁸⁾. وقد ذكر في شرح الكافية ((إذا دخلت (ها) على (الله)، ففيه أربعة أوجه: أكثرها إثبات ألف (ها)، وحذف همزة الوصل من (الله)، فيلتقي ساكنان: ألف (ها)، واللام الأولى من (الله)، وكان القياس حذف الألف؛ لأنّ مثل ذلك يغتفر في كلمة واحدة ك(الضالّين)، أمّا في كلمتين، فالواجب الحذف نحو: ذا الله، وما الله، إلّا أنّه لم يُحذف في الأغلب ههنا ليكون كالتنبيه على كون ألف (ها) من تمام (ذا)، فإنّ (هاء الله ذا) بحذف ألف ها ربّما يوهم أنّ

526 الكتاب 157/4، وينظر: شرح المفصل 123/9.

527 ينظر: شرح المفصل 123/9.

528 شرح الشافية 213/2.

الهاء عوض عن همزة (الله) كهرقت في أرقّت، وهياك في إياك⁽⁵²⁹⁾.

قال أبو حيّان : ((وإن كان الأول تنويناً، والثاني بأبن أو إبنة صفة بين علمين، حُذِفَ باتِّفاق، وبين متَّفِقين لفظاً غير علمين باختلاف نحو: (جاء زيد بن عمرو، وضلّ بن ضلّ)، وقال ابن زيدان: (زيد بن عمر، وفيه لغتان: التميمي يثبت التنوين في الأول، والألف في الثاني، والحجّازي يحذف كلاهما، انتهى))⁽⁵³⁰⁾.

والمعروف من مذاهب النحاة أنّ كلمة (ابن) إذا وقعت بين علمين ثانيهما أبو الأوّل، وكانت وصفاً لأوّلهما، وجب أمران: أحدهما حذف ألف (ابن) في الخط، وثانيهما حذف تنوين العلم الأوّل إن كان منوناً، وقيل : بجواز التنوين⁽⁵³¹⁾.

وحُذِفَ التنوين عند سيبويه لكثرة الاستعمال ولالتقاء الساكنين. وثبت التنوين في نحو: مررتُ بهند بنتُ عليّ، على مذهب من صرف

529 شرح الكافية : للرضي 312/2.

530 ارتشاف الضرب من لسان العرب 341/1.

531 ينظر: شرح الشافية 234/2، و ينظر: شرح الكافية : للرضي 402/2

لأنه فقد إحدى العلتين، وثبت عند غير سيبويه من علل الحذف لالتقاء الساكنين إذ قد فقدت العلة⁽⁵³²⁾.

وذكر الجامي في شرح الكافية حذف التنوين وجوباً من العلم حالة كونه موصوفاً بأبن، حال كون الأبن مضافاً إلى علم آخر نحو: جاءني زيد بن عمرو، وذلك لكثرة استعمال (ابن) بين علمين أحدهما موصوف به والآخر مضافاً إليه، فطلب التخفيف لفظاً بحذف التنوين من موصوفه، وخطأً بحذف الألف من (ابن)⁽⁵³³⁾.

قال أبو حيان: ((... أو النون الخفيفة والثاني ساكن مدغم أو غير مدغم، حذف التنوين والنون نحو: اضرباً الغلام، واضرباً الرجل، وإن كان نون (لَدَنَّ) والثاني لام التعريف، فالكثير حذفها نحو: مِنْ لَدُّ الصَّباح، و قلَّ إقرارها و كسرهما، وإن كان غير ذلك حرَّك الأول بالكسر نحو: اضربَنَّ الغلام، و حينئذٍ، وإيه، ومه. والثاني إن كان آخر الكلمة نحو: أين، وأمس، وحيث، وإن كان الأول تنويناً في غير ما ذكر كسر نحو: زيد الظريف جاء، فإن كان بعد الساكن مضموماً ضمّاً لازماً فنن العرب من يكسر ومنهم من يضمّ التنوين إتباعاً نحو: هذا زيد اخرج

532 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 341/1، وهو تعليق لابن الجباز في كتابه (النهاية) أورده أبو حيان.

533 ينظر: الفوائد الضيائية 401/2.

إليه، وهذا بكر العمرو، إلا إن كانت الضمة عارضة فتكسر نحو: هذا زيد ابتك، وزيد ابتك)) (534). وقد عالج سيبويه قولهم (هذا بَكْرٌ) و (مِنْ بَكْرٍ) في باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرك لكرهيتهم التقاء الساكنين (535).

وعلة جواز الضمّ لالتقاء الساكنين حين يكون ما بعد الحرف الساكن من الكلمة المبدوءة بهمزة الوصل مضموماً ضمة لازمة، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ اِخْرُجْ عَلَيْنَّ ﴾ يوسف/ الآية 31، فقد أتبعوا لثلاثا يخرجوا من كسرٍ إلى ضمٍّ بينهما حاجز غير حصين. وصعوبة الخروج من الكسر إلى الضمّ أمرٌ معروف عن اللسان العربي ؛ لذا جاز الضمّ ولم يُعدّل عن الكسر نهائياً لوجود الحاجز بين الحركتين، فلم يبلغ الثقل حدّاً يستوجب العدول النهائي عنه، وإنما اختير العدول إلى الضمّ لأنها حركة عين الفعل لذا اختيرت هذه الحركة اتباعاً، فتحدث بذلك المماثلة الصوتية التي قال بها الصوتيون المحدثون. جاء في التطور اللغوي : ((عُرِفَت المماثلة بأنها تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق

534 ارتشاف الضرب من لسان العرب 341/1-342، قال الرضي في شرح الكافية 405/2 : ((وإنما لم يُحذف الألف في (اضربان) وإن التقى ساكنان كما حذفوا الواو والياء في (اضربن) خوف اللبس بالواحد لأنّ النون إنما كُسِرَت لأجل الألف كما ذكرنا، فلو حذفت الألف لانفتحت النون مع أنّ الألف أخفّ من الواو والياء)).
535 ينظر: الكتاب 173/4.

بها في الكلمات والجمل، فتتغير مخارجها بعضها أو صفاتها، لكي تتفق في المخرج أو الصفة مع الأصوات المحيطة بها في الكلام فيحدث عند ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخرج أو في الصفات))⁽⁵³⁶⁾.

وتحدث ابن يعيش عن بناء (أين و كيف) على الفتح فقال : ((فأما قولهم (أين وكيف) فمعدول بهما عن القياس بتحريك الساكن الثاني دون الأول لمانع، وذلك إنّا لو حرّكنا الأول وهو الياء في (أين و كيف) لانقلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها على حكم التعريف، إذ الحركة تقع لازمة ولو قبلت ألفاً لزم تحريك النون لسكونها وسكون الألف قبلها، فلما كان يؤدي تحريك الأول تغيير بعد تغيير حرّكوا الثاني من أول الأمر واستغنوا بذلك عن تحريك الأول))⁽⁵³⁷⁾. قال الرضي: ((ويستثنى أيضاً نون (لَدَنَّ)، وحذفه شاذّ، ووجهه مع الشذوذ أنّه كان في معرض السقوط من دون التقاء الساكنين، ... فيجوز حذفه إذا وقع موقعاً يحسن حذف حرف المدّ فيه ؛ وذلك لأجل مشابهته للواو...))

536 التطور اللغوي مظاهره وعمله، ص22.

537 شرح المفصل 125/9. وقد عبّر عنه الرضي في شرح الشافية 247/2 بالفرار من اجتماع التماثلين الياء والكسرة.

وجواز حذفه لغير الساكنين ؛ لأنّ حذف نون (لَدَنَّ) للساكنين (شاذ) (538).

وإنّ الكسرة في (حينئذٍ) هي كسرة التقاء الساكنين (الذال وتنوين العوض) (539). قال أبو حيان : ((وقد يطرد حذف التنوين لالتقاء الساكنين في الندبة في مثل: مُعلًى باتّفاق، وفي نحو: واغلام زيده، على مذهب البصريين، وقُلّ في غير ذلك كقراءة من قرأ ﴿أَحَدُ * الله﴾ الإخلاص/ الآية 1-2، وزعم الجرمي أنّ حذف التنوين لالتقاء الساكنين مطلقاً لغة)) (540). وكان سيبويه قد علّل قراءة ﴿قُلْ هوَ اللهُ أَحَدُ * الله الصّمد﴾ الإخلاص/ الآية 1-2، أنّ التنوين ساكن وقع بعده حرف ساكن فصار بمنزلة باء (اضرب) ونحو ذلك (541).

وعرض ابن الأنباري لقراءة بعض أئمة القراء ﴿قُلْ هوَ اللهُ أَحَدُ * الله الصّمد﴾ الإخلاص/ الآية 1-2، فحذف التنوين من كلمة (أحد) وذلك لالتقاء الساكنين، وكذلك قراءة بعض القراء قوله

538 شرح الشافية : للرضي 233/2-234.

539 ينظر: شرح المفصل 30/9.

540 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/342.

541 ينظر: الكتاب 4/152، المقتصد 2/1137، وذكر الرضي في شرح الكافية 2/402:

((وقرئ في الشذوذ ﴿قُلْ هوَ اللهُ أَحَدُ * الله﴾).

تعالى: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾⁽⁵⁴²⁾ يس/ الآية 40، فحذف من (سابق) التنوين، وذلك لالتقاء الساكنين، لا للإضافة ؛ ولهذا نجد نصب كلمة (النَّهَارَ) لأنه مفعول به لـ (سابق))⁽⁵⁴³⁾. وقال أبو حيّان: ((فَأَمَّا (التَّقَّتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ)، بإثبات الألف، فنادر عند البصريين لا يقاس عليه، وجائز عند الكوفيين وقاسوا عليه))⁽⁵⁴⁴⁾. وصرّح الرضي بشذوذ هذا المثل في التقاء الساكنين، فقال: ((كان حق قوله: (وحلقتا البطان شاذ) أن يكون بعد قوله (يَرْمِي لَغَرَضَ) لأنَّ حقَّ الألف الحذف كما في (يَخْشَى الْقَوْمَ) ولم تُحذف))⁽⁵⁴⁵⁾.

قال أبو حيّان: ((والتفريع على قول الجمهور، فلا يعدل عن الكسر إلّا تخفيفاً نحو: أينَ و كيفَ، ﴿والم * الله﴾، وقراءة من قرأ: ﴿مُرِيبٌ﴾ ق/ الآية 25، بفتح التنوين، وقرأ أبو جعفر الرؤاسي ﴿الم *

542 وردت هذه القراءة عن عمار بن عقيل بن بلال بن جرير الخطفي، ينظر: معجم القراءات القرآنية 209/5، قال أبو حيّان في البحر: حذف التنوين لالتقاء الساكنين، ينظر: البحر المحيط 338/7

543 الإنصاف في مسائل الخلاف : للأنباري 659/2.

544 ارتشاف الضرب من لسان العرب 342/1.

545 شرح الشافية : للرضي 225/2، وخرّج الرضي المثل في شرح الكافية 406-405/2 على الشذوذ، ولا يجوز القياس عليه. كما ذهب السيوطي في (الهمع) بجعل إثبات الألف في قولهم (التقت حلقتا البطان) من الشذوذ. 199/2.

الله ﴿⁵⁴⁶﴾ آل عمران / الآية 1-2، بسكون الميم وقطع الهمزة، وقال أبو الحسن : الكسر هنا جائز، وقال سيبويه : أمّا (الم فلا يكسر) ﴿⁵⁴⁷﴾ . وقد علّل سيبويه فتح (أين وكيف) لكثرة ذلك في كلام العرب، وكان الفتح أخفّ عليهم . وقال سيبويه ﴿⁵⁴⁸﴾ : ((والفتح في حرفين : أحدهما قوله عز وجل :

﴿الم * الله﴾ آل عمران / الآية 1-2، لما كان من كلامهم أن يفتحوا لالتقاء الساكنين فتحوا هذا، وفرّقوا بينه وبين ما ليس بهجاء))، ويقول: ((فأمّا (الم) فلا يكسر ؛ لأنهم لم يجعلوه في ألف الوصل بمنزلة غيره، ولكنهم جعلوه كبعض ما يتحرّك لالتقاء الساكنين))، وعلّل سبب الفتح في قوله تعالى: ﴿الم * الله﴾ آل عمران / الآية 1-2، لثلاث نواحي الكسرتان والياء، لأنّ حركة الحرف السابق لهمزة الوصل تحدث إتباعاً لحركتها، فحصلت بذلك المخالفة الصوتية. وقراءة قوله تعالى: ﴿مُرِيبٍ * الذي﴾ ق / الآية 25-26، فقراءة الجماعة بكسر التنوين لالتقاء

546 ينظر: معجم القراءات القرآنية 4/2.

547 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/342-343.

548 الكتاب 4/153-154، ويظر: تعليق السيرافي وإجازة الأخفش في هامش الصفحة

الساكنين، وقد قرئ ﴿مُرِيبٌ * الذي﴾ بفتح التنوين كأنه كره توالي كسرتين، ففتح (549).

قال أبو حيّان: ((وحكى أبو بكر أن بعض العرب يقول: ادخل الدّار، وارقد اليوم، واقعد الآن، يعني باتباع حركة آخر الفعل للضمّة قبلها، قال: وهو رديء لأنه ملتبس بخطاب المذكّر. وحكى عن قوم أنّهم قالوا: يجوز الإتيان في المفتوح نحو: اصنع الخير، وقالوا: يخبره ولم تسمعه، وحكى قطرب: ﴿قَمَ الليل﴾ المزمّل / الآية 2، واضرب الرجل، يعني بالفتح مطّرداً فيما ثانياه لام التعريف، وكلّ هذا خارج عمّا جاء به الجمهور)) (550).

قال الرضي: ((وكذا قرئ في الشواذ ﴿قَمَ الليل﴾ المزمّل / الآية 2، بفتح الميم)) (551)، وقال أيضاً: ((وقرئ في الشواذ ﴿قَمَ الليل﴾، وقاس بعضهم عليه فتح المسبوق بفتحة نحو: اصنع الخير)) (552).

قال أبو حيّان: ((أو جبراً نحو: قبل وبعد، أو تباعاً نحو: منذ، أو ردّاً للأصل نحو: منذ اليوم، أو تجنباً للبس نحو: التاء والكاف في الخطاب

549 ينظر: شرح المفصل 128/9.

550 ارتشاف الضرب من لسان العرب 343/1.

551 شرح الشافية: للرضي 238/2.

552 نفسه 242/2.

نحو: أنتَ وأنتِ و ذلكَ وذاكِ، وفي نحو: اضربنَ واضربنِ، ولا تضربنَ ولا تضربنِ، أو حملاً على النظير نحو: نحنُ حملتُ على همو، فالضمة كالواو، أو إثارةً للتجانس نحو: أسحر علماً مرخماً، وتفتح نون (من) مع اللام نحو: من الغلام، و منّ اليزيد، وكثر حذفها مع اللام غير المدغمة نحو: (بلقوم) بحيث لا يكاد ينحصر وذلك من كثرة ما ورد، ويجوز عندي في سعة الكلام وليس بقليل ولا مخصوصاً بالضرورة خلافاً لزاعميها، وشذّ حذفها وبعدها اللام المدغمة في النون لكنه لما حذفت أظهرت اللام. قال المؤرج الثعلبي (553) :

المطعمينَ لدى الشتا ٤ سدائفاً ملنيب تّمرا (554)

ويعلق سيبويه فيقول: ((فلما اضطروا إلى التحريك جاءوا بالحركة التي في أصل الكلام وكانت أولى من غيرها حيث اضطرت إلى التحريك كما قلت في (مُدّ اليوم) فضمت ولم تكسر؛ لأنّ أصلها أن تكون النون معها وتضمّ)) (555). فإنّ ضمة الذال فيها نظراً إلى أنّ الأصل منذ، ثمّ تخفف فتسكن الذال فيقال فيها (مُدّ) وإذا وليها الساكن تقول: (مُدّ اليوم) فتحرّكها بالحركة التي كانت لها في الأصل.

553 ورد هذا البيت في البيان والتبيين 1/153.

554 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/343.

555 الكتاب 4/193-194.

وأما فتح (مَنْ) عند دخولها على المعرف بـ(ال) دون كسرها، فسببه كسر الحرف السابق لها، ولثقلها كانت المخالفة الصوتية⁽⁵⁵⁶⁾ التي حصلت على العدول عن أصل التقاء الساكنين إلى الفتحة لخفتها. وكذلك (مَنْ الرجل وَمِنْ الله) ففتحوا مع لام المعرفة وعدلوا عن قياس نظائره وذلك لأنه كثير في كلامهم هذا الحرف، وما فيه الألف واللام من الأسماء كثير، فكرهوا كسر النون مع كسرة الميم قبلها فتتوالى كسرتان مع الثقل فعدلوا إلى أخف الحركات وهي الفتحة⁽⁵⁵⁷⁾.

قال أبو حيان: ((وقد تُكسر نون (مِنْ) مع اللام نحو: مِنْ الغلام، وهي لغة بخرانية، فَإِنْ لقيت ساكناً غير اللام كُسرت نحو: مِنْ ابنك، وَمِنْ الظَّلَامِكِ . وقد تفتح فتقول: مِنْ ابنك. ونون (عَنْ) مكسورة مع اللام ومع غيرها نحو: عَنْ القوم، وَعَنْ ابنك. وحكى الأخفش ضمها مع اللام نحو: عَنْ القوم. وتكسر نون (لكن) قبل ألف الوصل نحو: وَلَكِنْ الناس، وَلَكِنْ ابنك، وجاء حذفها إذ ذاك في الشعر، قال العبدى:

556 معنى المخالفة الصوتية هو أن يتغير أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت آخر مختلف.

557 ينظر: شرح المفصل 131/9.

لاكِ الشقاء ولاكِ الحين ساقهما من حيث كانا إلى تلك المقادير (558)

قال سيبويه معلقاً على كسر نون (مِنْ) : ((وزعموا أنَّ أناساً من العرب يقولون: مِنْ الله، فيكسرونه ويمجرونه على القياس)) (559). والقياس عنده الفتح استخفافاً لكثرة استعمالها، وصار (مِنْ ابنك، و مِنْ امرئ) بمنزلة الشاذ. وفتح قوم فصحاء فقالوا: مِنْ ابنك، فأجروها مجرى مِنْ المسلمين (560).

وقد جاء في مفصل الزمخشري وشرحه أنَّ الكسر في قولك (مِنْ الرجل) هي لغة خبشية، وهي وإن كانت شاذة في الاستعمال، صحيحة في القياس، ووصفها (خبشية) لقلة المستعملين وثقل اجتماع الكسرتين (561).

وعن ابن الحاجب أنَّ الفتح في نون (مِنْ) مع الألف واللام في مثل: (مِنْ الرجل)، وأنَّ الكسر فيه ضعيف، عكس (مِنْ ابنك) . وأنَّ (عَنْ) على الأصل، وأنَّ (عَنْ الرجل) بالضمّ ضعيف. وقد علّل

558 ارتشاف الضرب من لسان العرب 344/1، وينظر: همع الهوامع 200/2.

559 الكتاب 154/4.

560 ينظر: الكتاب 155/4.

561 ينظر: شرح المفصل 131/9، وهمع الهوامع 199/2 - 200.

الرضي في قوله (مِنْ ابْنِكَ) ((ولم ييال بالكسرتين لقلّة الاستعمال، ونقل عن سيبويه الفتح فراراً من الكسرتين، وقد كسر أيضاً بعض العرب نون مَنْ مع لام التعريف على الأصل)) (562).

وقال أبو حيّان : ((وتُضَمُّ واو الجمع المفتوح ما قبلها نحو: اخشَوْا القوم، وقد تُكسَر نحو: اخشَوْا القوم، وعلى قياس هذا تُكسر في نحو: (اخشَوْن) ولم يحكه سيبويه. وقال أبو عمرو: وقد كسر واو الجمع فيها قوم وهم قليل، قالوا : اخشَوْن، وقد تُفتح مع اللام قرئ ﴿ اشْتَرَوْا الظَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ (563) البقرة/ الآية 16، بفتح الواو، حكاها أبو الحسن وقطرب، فإن كانت لغير الجمع جاز فيها الضمّ نحو: ﴿ لَوْ اسْتَطَعْنَا ﴾ (564) التوبة / الآية 42)) (565).

ويقول سيبويه: ((وقد قال قوم: ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ البقرة / الآية 237، جعلوها بمنزلة ما كسروا من السواكن وهي قليلة. وقد قال قوم : ﴿ لَوْ اسْتَطَعْنَا ﴾ شبهوها بواو (اخشَوْا الرجل) ونحوها،

562 شرح الشافية 2/246 - 247.

563 قرأ بها أبو السمال، أبو زيد الأنصاري، أبو الحسن، فجميعهم فتحوا الواو. ينظر:

معجم القراءات القرآنية 1/30.

564 يجوز فيها الضمّ وهي قراءة الأعمش، زيد بن علي، ينظر: معجم القراءات القرآنية

22/3، والبحر المحيط 5/46.

565 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/344.

حيث كانت ساكنة مفتوحاً ما قبلها، وهي في القلّة بمنزلة ﴿ وَلَا تَنْسُوا
الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾⁽⁵⁶⁶⁾، فقلوه (بكسر الواو) وهي قراءة يحيى بن يعمر
على أصل التخلّص من التقاء الساكنين . وقلوه (لَوْ استطعنا) بضمّ الواو
وذلك للفرار من ثقل الكسرة على الواو، وشبهها بواو الجمع عند
تحريكها لالتقاء الساكنين، وهي قراءة الأعمش، كما قرأ الحسن (لَوْ
استطعنا) بفتح الواو⁽⁵⁶⁷⁾. وقولهم (اخشَوْا القوم) فالضمّ فيها للفصل بين
واو الضمير وبين الواو في (لو) و (أو) ونحوهما ممّا هو حرف⁽⁵⁶⁸⁾.

وقال الرضي: ((واختير في واو (لو استطعنا) الكسر على الأصل
لانتفاء داعي الضمّ كما كان في واو الجمع، وقد يشبه واو الجمع بواو نحو:
(لو استطعنا) فيكسر، وكذا قد يشبه واو نحو: لَوْ بواو الجمع فيضمّ،
وكلاهما قليل))⁽⁵⁶⁹⁾.

قال أبو حيّان : ((وتحذف نون (لكن) ضرورة، والفعل
المضاعف اللام الساكنها للجزم أو للوقف، وليس أفعل في التعجب،
يظهرها أهل الحجاز ويفكون وبه نزل أكثر القرآن نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا

566 الكتاب 155/4.

567 البحر المحيط 238/2، 46/5، وينظر: همع الهوامع 200/2.

568 ينظر: شرح المفصل 128/9.

569 شرح الشافية : للرضي 243/2.

تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ المدثر/ الآية 6، و ﴿ لَا تُشِطُّ وَاهِدِنَا ﴾ ص/ الآية 22،
و ﴿ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ لقمان / الآية 19، و ﴿ اسْتَفْزِرْ مَنْ
اسْتَطَعْتَ ﴾ الإسراء/ الآية 64، إِلَّا إِنْ اتَّصَلَتْ بِهِ أَلْفٌ إِثْنَيْنِ، أَوْ وَاو
جمع، أَوْ تَاءٌ مُؤَنَّثٌ، أَوْ نُونٌ تَوْكِيدٌ، فَيَدْغَمُ كغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ فَتَقُولُ:
رَدَّا، وَرَدَّوْا، وَرَدَّنْ، وَتَدْغَمُهُ تَمِيمٌ وَقَيْسٌ وَأَسَدٌ . وَقَالَ سَيَبَوِيهٌ لَمَّا ذَكَرَ
بِمَا تَمِيمٌ وَهُوَ قَوْلُ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ، وَهُوَ كَثِيرٌ وَعَلَيْهِ جَاءَ: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِّ
اللَّهَ ﴾ الحشر/ الآية 4، وَقِرَاءَةُ ﴿ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ ﴾ المائدة/ الآية
(54) (570).

وقد ذكر ابن يعيش أنَّ أهل الحجاز يدغمون (رَدَّ) في الوقف، و(لم
يردَّ) في الجزم؛ لأنَّهم شبهوه بالمعرب المرفوع والمنصوب، كقولك: هو
يردُّ ولن يردَّ، وإنَّ أوجه الشبه بينهما أنَّ آخر أَرَدَدَ تتعاقب عليه الحركات
للبناء كما تتعاقب حركات الإعراب آخر المعرب، فلمَّا كان مثله في
التحريك، كان الإدغام نحو: ارْدَدِ القوم، وارْدَدِ ابنك، وَرَدَّنْ زيدا،
وَرُدَّنْ يا رجال. وحيث أدغم وجب تحريك الآخر لالتقاء الساكنين،
ولم يحركوا الأول وذلك لإرادة التخفيف بالإدغام (571).

570 ارتشاف الضرب من لسان العرب 345/9.

571 ينظر: شرح المفصل 127/9.

قال أبو حيان: ((في لغة تميم ومن وافقهم فإن اتصل بها ضمير غائبة فُتِحَ نحو: رَدَّهَا ولم يَرُدَّهَا، وَبَرَّهَا ولم يَبَرَّهَا، وأَقَرَّهَا ولم يَقَرَّهَا، أو ضمير غائب ضُمَّ نحو: رَدَّهُ ولم يَرُدَّهُ، وحكى الكوفيون رَدَّهَا بالضم والكسر، ورَدَّهُ بالفتح والكسر وذلك في المضموم الفاء، وقال أبو عمرو: قد تركه قوم على ما كان عليه قبل أن تلحقها الهاء المفتوحة والمضمومة ولم يغيروا فيقولون رَدَّهَا ورَدَّهُ، ولا يغيرون عمّا بنى عليه، فإن كان قبل ساكن كسر نحو: (رَدَّ الرجل ورَدَّ ابنك) قال ابن كيسان: لغة قيس وتميم (رَدَّ القوم) بالكسر، قال أبو علي: ومنهم من يفتح الألف واللام فيقولون: (فَغَضَّ الطرف)⁽⁵⁷²⁾. وقال سيبويه: الأفصح والأكثر (الكسر)⁽⁵⁷³⁾.

وفي قول جرير (فَغَضَّ الطرف...) يجوز فيه الفتح لخفته، والضم اتباعاً للعين، والكسر لأنه الأصل، والفك كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْغِضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ لقمان/ الآية 19، والتشديد لغة بني تميم. ويروي (فَغَضَّ) بالوجهين الفتح والكسر⁽⁵⁷⁴⁾. ونقل الرضي عن ابن الحاجب

572 قال الشاعر جرير: ((فَغَضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا))

ورد في ديوانه، ص 821، بشرح محمد بن حبيب/تحقيق د. نعمان محمد أمين.

573 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/345-346، وينظر: الكتاب 3/335.

574 ينظر: شرح المفصل 9/128، وشرح الشافية للرضي 2/244-245.

أنّ الكسر هو المختار عند الجمهور، وأنّ بني أسد تفتح، وحكى ابن جني الضمّ، والضمّ عنده قليل⁽⁵⁷⁵⁾.

قال أبو حيان: ((وأما مع الألف واللام فقال سيبويه: منهم من يدغمه على حاله مفتوحاً، وحكى الضمّ ابن جني وهو قليل، فإن لم يتصل بهاء الغائبة وهاء الغائب، ولا بالساكن، فُتح نحو: رُدَّ وقرَّ وعَضَّ، وهي لغة أسد وناس غيرهم، أو كُسِر نحو: رِدِّ وقرِّ وعَضِّ، وهي لغة كعب وغيره. فأما ﴿لا تُضَارَّ﴾ البقرة/ الآية 233، ولم تُضَارَّ، ونحوه فلم يُحَكَّ فيه إلّا بفتح، وأجاز الفراء الكسر قياساً، ولم يحكه لغةً، أو أتبع لحركة الفاء نحو: مُرَّ ورُدَّ، وعَضَّ))⁽⁵⁷⁶⁾.

فقوله (ردّ) و(لم يردّ) اجتمع فيه ساكنان، الحرف الأول المدغم ساكن والثاني المدغم فيه أيضاً ساكن للجزم أو الوقف في (ردّ)، فلما التقى ساكنان وجب تحريك الثاني، فمنهم من يتبع حركة المدغم فيه ما قبله فيقول ردّ بالضمّ، وكذلك تقول (فرّ) بالكسر تتبع الكسر الكسر، وتقول (غَضّ) فتبع الفتح الفتح، ومنه قوله تعالى: ﴿لا تُضَارَّ﴾ البقرة/ الآية 233، بالفتح، أتبعوا الفتح الفتح الذي قبله، وصوت الألف لأنّه

575 ينظر: الشافية 2/245، شرح الأشموني على الألفية - باب الإدغام - .

576 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/346.

مجزوم بالنهي، وقرئ ل (لا تضارٍ) بالكسر على أصل التقاء الساكنين⁽⁵⁷⁷⁾. وإذا اتصل بها (ها) ضمير المؤنث فتحو، فقالوا ردّها.

قال أبو حيان: ((وأما حذف أحد المثلين عند اتصال التاء والنون بالفعل فجاء في ألفاظ، وهي: (أَحَسَّتْ و مَسَّتْ و ظَلَّتْ) والأصل: أَحَسَّتْ و مَسَّتْ و ظَلَّتْ، ونقل الفراء وابن الأنباري (هَمَّتْ) والأصل هَمَّتْ، وحمل ذلك سيبويه وغيره على الشذوذ، وأنه لا ينقاس فيما أشبه هذه الأفعال. وزعم الفراء أن ذلك قياس مستمر في (رَدَّتْ و مَرَّتْ) يريد: رددت و مررت، وزعم ابن مالك أن ذلك لغة مطردة لبني سليم، وكرره في كتابه (التسهيل) ولا نعلم ذلك إلا من جهته))⁽⁵⁷⁸⁾.

ويعلل سيبويه هذه المسألة فيقول: ((وإذا كان في موضع يحتملون فيه التضعيف لكرهية التحريك حذفوا لأنه لا يلتقي ساكنان. ومثل ذلك قولهم: ظَلَّتْ و مَسَّتْ، حذفوا وألقوا الحركة على الفاء، كما قالوا: خِفْتُ. وليس هذا النحو إلا شاذًا. والأصل في هذا عربي كثير. وذلك قولك: أَمَسَّتْ و مَسَّتْ و ظَلَلْتُ. وأما الذن قالوا: ظَلَّتْ و مَسَّتْ

577 ينظر: شرح المفصل 128/9، وينظر: شرح الشافية 239/2، 243.

578 ارتشاف الضرب من لسان العرب 247/1.

فشبهوها بـ(لَسْتُ)، فأجروها في فَعَلْتُ مجراها في فَعَلَ، وكرهوا تحريك
اللام فحذفوا)) (579).

المبحث الرابع

الترقيق والتفخيم

صفتان متضادتان تنطوي تحت كل منها أصوات معيّنة، فالتفخيم: ((هو الأثر السمعي الناشئ عن تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند نطق الصوت))⁽⁵⁸⁰⁾. وأصواته هي: (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء) وهي مطبقة مستعلية مفخّمة، فالتفخيم لازم للأصوات المستعلية المطبقة.

أمّا الترقيق فهو عكس التفخيم، يعطي أثراً سمعياً يختلف عمّا يعطيه الصوت المفخّم، وأصواته هي: جميع الأصوات ماعدا الأصوات المطبقة. أمّا بشأن الأصوات الثلاثة المستعلية (القاف والحاء والعين) فانقسم علماء العرب أزاؤها إلى فريقين، فمنهم من جعلها من حروف التفخيم وهو الغالب كما نقله د. غانم، والفريق الثاني هو الذي أخرجها عن حروف التفخيم، وذهب إلى ذلك المرادي⁽⁵⁸¹⁾، وذهب مع هذا الفريق قسم من المحدثين؛ إذ بما أنّ هذه الأصوات تمتلك بعض القيمة

580 المصطلح الصوتي، ص 92.

581 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 478.

التفخيمية، لكنّها لا توصف بأنّها مفخّمة⁽⁵⁸²⁾. غير أنّ بعض الأصوات يعرض لها التفخيم والترقيق حين تجاور أصواتاً أخرى، وهي (اللام والراء)، إذ لا يلزمها التفخيم في كل حال، فليس شأنها في التفخيم شأن (أصوات الإطباق) وإنّما هو عارض مقيد بشروط⁽⁵⁸³⁾.

أولاً: حكم الراء من حيث الترقيق والتفخيم

اختلف علماء القراءات والتجويد في أصل الراء، فمنهم من ذهب إلى أنّ أصلها الترقيق، ومنهم من ذهب إلى أنّ أصلها التفخيم، وذهب آخرون إلى أنّ ليس للراء أصل في الترقيق ولا في التفخيم، وإنّما تحدّد بحسب حركتها . وأثر الجمهور المذهب الأول في أنّ أصلها هو التفخيم⁽⁵⁸⁴⁾ . وكان أبو حيان قد ذهب مع الجمهور حين قرّر أنّ أصل الراء في العربية هو التفخيم، وقد لخّص قوله في حكم الراء من حيث التفخيم والترقيق بأنّ ((أصل الراء التفخيم، فإن كانت مكسورة كسر لازماً ك (الحريق) أو عارضاً ك (الحراب) أو ساكنة قبلها كسرة لازمة نحو: (شرعة) رُقِّقت، إلّا إن كان بعدها حرف استعلاء نحو:

582 ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص96، 101، 102.

583 ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد 215/1.

584 ينظر: الكشف 209/1، والنشر 108/2، والدراسات الصوتية عند علماء

التجويد، ص480 - 481.

(إرصاد)، أو كانت الكسرة عارضة نحو قوله تعالى: ﴿ارْجِعْ الْبَصَرَ﴾
الملك/ الآية 4، و ﴿أَمْ ارْتَابُوا﴾ النور/ الآية 50، فالتفخيم)) (585).

نفهم من ذلك أنّ من أسباب ترقيق الراء هو كسرها مطلقاً، ولو
كسرة عارضة نحو: ﴿وَإِذْ كُنَّا نَسْمُرُ بِكَ﴾ المزمّل/ الآية 8. أمّا السبب
الآخر فهو أن تكون الراء ساكنة قبلها كسرة لازمة نحو: (شُرْعَة)
بشرط أن لا يكون بعدها حرف استعلاء مثل قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ الْإِرْصَادُ﴾
الفجر/ الآية 14، أو أن تكون قبلها الكسرة عارضة نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾
المائدة/ الآية 106، ولا تفخّم.

كما ذكر أبو حيّان إضافة إلى ذلك مواضع أخرى تفخّم الراء فيها
حين تكون متحركة بالفتح أو الضمّ فقال: ((فإن كانت الكسرة عارضة
نحو: برسول أو بروح) أو كان بعدها راء نحو: (مِدْرَارًا و مِدْرَارًا)، أو
حرف استعلاء نحو: (إِعْرَاضًا)، أو الكلمة أعجميّة نحو: (إِبْرَاهِيمَ،
إِسْرَائِيلَ)، التفخيم)) (586).

فلم يبعد أبو حيّان عمّا أقرّه علماء القراءة والتجويد قبله في أحكام
ترقيق الراء وتفخيمها (587)، وجميعهم لا يخرج عمّا قاله ابن الجزري في

585 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/248-249.

586 نفسه 1/249.

587 ينظر: التحديد في الإتيان والتجويد في الإتيان والتجويد، ص 154-159.

أنّ الراء ((ترقق مع الكسرة لتسفلها، وتفخم مع الفتحة والضمة لتصعدها))⁽⁵⁸⁸⁾، فهذا قانون عام في حكم الراء من حيث الترقيق والتفخيم وإن اختلفوا في طرائق عرض تلك الأحكام⁽⁵⁸⁹⁾.

كما أضاف أبو حيان مواضع يجوز فيها الترقيق والتفخيم معاً، قال في ذلك: ((فإن كان بعدها ياء نحو: (قَرِيَّةٌ وَمَرِيْمٌ)، أو حرف استعلاء مكسور نحو: (فَرْقٌ وَ مَرْفَقًا)، أو كانت مفتوحة نحو (جيران) أو مضمومة تلي ياء نحو: (خَيْرٌ وَقَدِيرٌ)، أو كسرة لازمة نحو: (خَسِرَ وَ خَسِرُوا)، أو تليها راء مكسورة نحو: (بِشْرٍ)، أو بين المفتوحة والكسرة قبلها فاصل وليست بعد الراء راء ولا حرف استعلاء، والكلمة عربية نحو: (الذِّكْرُ) جاز الترقيق والتفخيم))⁽⁵⁹⁰⁾.

أمّا دارسو الأصوات العربية من المحدثين فكانت عنايتهم بأحكام الراء محدودة، ويكاد يكون د. أنيس أبرز المهتمين بالموضوع وإن كان كلامه موجزاً⁽⁵⁹¹⁾، إذ قال: ((الراء نوعان: مرققة ومفخمة، وعلى الرغم من اختلاف القراء في تفخيم الراء وترقيقها إلى حدّ يشبه

588 النشر 108/2.

589 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 481.

590 ارتشاف الضرب من لسان العرب 249/1.

591 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 484.

الاضطراب، يمكن أن نستخلص من تلك الآراء المتشعبة ضوابط عامة يكاد يجمع عليها القراء⁽⁵⁹²⁾. وعدّ الفرق بين الرايين المفخمة والمرققة فرقاً صوتياً لا يغيّر معنى ((فالراء المفخمة تعدّ من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق، ولكنّ الرسم العربي لم يرمز لها يتغيّر بتغيّر معنى الكلمة، ولهذا نعد كلا النوعين صوتاً واحداً أو فونياً واحداً))⁽⁵⁹³⁾.

ثانياً: حكم اللام من حيث الترقيق والتفخيم

الغالب على اللام العربية الترقيق وهو الأصل عند أبي حيّان لكثرت⁽⁵⁹⁴⁾. وقد يعرض التفخيم لصوت اللام ((بأن يكون العمل فيها بوسط اللسان، وأدخل قليلاً من مخرجها))⁽⁵⁹⁵⁾. ويراد بتفخيم اللام أيضاً تغليظها⁽⁵⁹⁶⁾. وتفخّم اللام في حالتين على ما ذكر أبو حيّان، الأولى أجمع الجمهور عليها ولا يجوز فيها غير التفخيم، والثانية ما لا يجوز فيها الأمران الفتح والتفخيم.

592 الأصوات اللغوية، ص 65.

593 الأصوات اللغوية، ص 66.

594 ينظر: التحديد في الإتيان والتجويد، ص 161، ارتشاف الضرب من لسان العرب 248/1.

595 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 486-487.

596 حيث ذهب بعض العلماء إلى استخدام مصطلح التغليظ في اللام والتفخيم في الراء، ينظر: النشر 111/2.

أمّا الحالة الأولى فهي أنّ اللام من لفظ الجلالة (الله) تفخّم إذا وقعت بعد ضمة أو فتحة، وترقّق إذا سُبقت بكسرة، وهذا ما أقرّه علماء القراءة والتجويد⁽⁵⁹⁷⁾ قبل أبي حيان، وتبعهم فقال: ((ويجب تفخيمها في اسم الله إذا تقدّما فتحة نحو: (سَمِعَ اللهُ) أو ضمة نحو: (يَعْلَمُ اللهُ)، وانكسر ما قبلهما نحو: (الله الحمد) فالفتح))⁽⁵⁹⁸⁾.

وحاول بعض علماء التجويد أن يقدّم تعليلاً غير صوتي لتفخيم اللام في اسم الله تعالى يتلخّص في محاولة التنبيه على نفامة وجلالة المسمّى به وذلك أصل فيه إلّا أن يمنع منه مانع، في حين قدّم بعضهم تعليلاً صوتياً لترقيق اللام في اسم الله تعالى بعد الكسرة لكونها حرف مستفل، والتفخيم تصعّد؛ لذلك صعب عليهم أن ينتقلوا من التسفل إلى التصعّد؛ لأنّ في ذلك كلفة وصعوبة على اللسان⁽⁵⁹⁹⁾.

أمّا الحالة الثانية وهي ما يجوز فيها التفخيم والترقيق، قال أبو حيان: ((ويجوز أيضاً تفخيمها إذا انفتحت ووليت صاداً ساكن نحو: (إِصْلَاحَ وَيُصْلِبُ وَالْإِصْلَابَ)، أو صاداً مفتوحة نحو: (الصَّلَاةُ وَ مَصَلَّى)، أو طاءً مفتوحة أو ساكنة نحو: (الطَّلَاقُ وَ طَلَّقْتَ وَ مَطَّلَعٌ)، أو فصل بين

597 ينظر: التحديد في الإتيان والتجويد، ص 162.

598 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/248.

599 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 487.

الصاد والطاء نحو: (صالح و طال) أو تأخرت الصاد والطاء والظاء
عنهما نحو: (خلص و خلط و اختلط واستغلف)، وكذا إن اتّصلت
وقبلها صاد نحو: (فصل) أو بعدها طاء نحو: (اغلط)، وشذّ تفخيمها في
ما جاء من لفظ (ثلاثة) والفصيح الفتح المستعمل فيها⁽⁶⁰⁰⁾.

فأجاز أبو حيان تفخيم اللام إذا تحرّكت بالفتح وجاء قبلها أو بعدها
(صاد أو طاء أو ظاء)، و تحرّكت هذه الحروف الثلاثة بالفتح أو
سكّنت، وإجازة أبي حيان تلك كانت مستندة إلى ما أقرّه علماء القراءة
والتجويد من قبله مستندين جميعاً على ما رواه المسلمون عن ورش عن
نافع، قال الداني: ((وقد روى المصريون عن ورش عن نافع تغليظها إذا
تحرّكت بالفتح أو سكّنت لا غير نحو: ﴿الصَّلَاةُ﴾ البقرة/ الآية 3،
﴿فِيصْلَبُ﴾ يوسف / الآية 41، ﴿الطَّلَاقُ﴾ البقرة / الآية 227،
﴿مُعْطَلَةٌ﴾ الحج/ الآية 45، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ البقرة/ الآية 114، ﴿ظَلَمُوا﴾
البقرة/ الآية 59، وما أشبهه . والقراء بعد يرققونها من غير
إخفاش))⁽⁶⁰¹⁾.

600 ارتشاف الضرب من لسان العرب 248/1.

601 التحديد في الإتيان والتجويد، ص 162، وينظر: الرعاية، ص 164، والنشر 111/2،
قال الداني في التيسير، ص 58: ((أعلم أنّ ورشاً كان يغلّظ اللام إذا تحرّكت بالفتح وولها
من قبلها صاد أو طاء أو ظاء، وتحركت هذه الحروف الثلاثة بالفتح أو سكّنت لا غير)).

ومقارنة ما أورد الداني بنصّ أبي حيّان نجد أنّ الأخير به سعة تفصيل تضمن حالة تأخر الصاد والطاء والظاء عن اللام، وحالة الفصل بين الصاد واللام والطاء واللام.

وقد قدّم مكّي القيسي تعليلاً لسبب تفخيم اللام إذا جاور صوتاً مطبقاً فقال: ((وعلة من نخم هذا النوع أنّه لما تقدّم اللام حرف مفخّم مطبق مستعلٍ أراد أن يقرب اللام نحو لفظه، فيعمل اللسان في التفخيم عملاً واحداً))⁽⁶⁰²⁾. وهذا من باب طلب المشاكلة بين الحروف لتسهيل على اللسان في النطق.

وتحدّث د. أنيس عن الفرق بين اللام بنوعيهما فقال: ((أما الفرق بين اللام المرققة والمغلّظة فهو وضع اللسان مع كل منهما ؛ لأنّ اللسان مع المغلّظة يتخذ شكلاً مقعراً كما هو الحال مع أصوات الإطباق، فالفرق بين اللام المرققة والمغلّظة هو نفس الفرق الصوتي بين الدال والضاد، أو التاء والطاء، لكنّ الرسم العربي لم يرمز إلى اللام المغلّظة برمز خاص تختلف باختلافه الكلمة، ولهذا نعدّ نوعي اللام صوتاً واحداً أو فونياً واحداً))⁽⁶⁰³⁾.

602 الكشف 1/119.

603 الأصوات اللغوية، ص 64-65.

الفصل الثالث

البحث اللفظي واللغات غير العربية عند أبي حيّان

الدرس الصوتي

عند أبي حيّان الأندلسي في ضوء علم اللغة الحديث

المبحث الأول

الإبدال والتحول في الحروف الصّحاح

تنبّه علماء العربية لواقع عدد من الأصوات التي لم تكن تجري على ألسن الفصحاء في اللغة، فدوّنوها على أنّها أصوات غير مستحسنة، كذلك تنبّهوا لأصوات غير شائعة في اللغة، ولكنّها كانت كما يبدو شائعة في قبائل فصيحة غير مختلطة، أي أنّ أصواتها لم تتأثر بسبب الاختلاط باللغات غير العربية، فأجازوا استعمالها في اللغة، بل أجازوا قراءة القرآن بها لمجيء الروايات بذلك.

لقد ذكر سيبويه عدد أصوات العربية، وتكون خمسة وثلاثين بحروف هنّ فروع أصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها، وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي : (النون الخفيفة، والهمزة، التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم) .

وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في اللغة من ترتضى عريته، ولا تستحسن في قراءة القرآن، ولا في الشعر، وهي: (الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي

كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء)، وقال سيبويه: ((وهذه الحروف التي تَمَّتْها اثنين وأربعين، جيدها ورديها أصلها التسعة والعشرون لا تَبِينُ إِلَّا بالمشافهة)) (604).

وقد اقتفى خطى سيبويه معظم العلماء في تقسيم الأصوات إلى أصليّة وفعريّة، غير أنّ هناك من استدرك على سيبويه حرفاً أو مثلاً وهذا أمر طبيعي مادام متعلّقاً بالسمع، وقد فعل ذلك أبو حيّان فقال: ((وقد بلغت الحروف بفروعها المستحسنة والمستقبحة سبعة وأربعين حرفاً)) (605).

فالأصوات نتيجة اللهجات يصيبها التحوّل أو الإبدال، لذا تبرز لنا أراء ذلك ظواهر متعدّدة وفروع لحروف الأصل، لذلك آثرنا أن نتناول ذلك على ما أورده أبو حيّان مفصّلاً.

أولاً: إبدال وتحول مستحسن

1- النون الخفيفة

وتحدّث أبو حيان عن الحروف المستحسنة في اللغة فذكر النون الخفيفة وأطلق عليها الغنة فيقول: ((والغنة فرع عن النون))⁽⁶⁰⁶⁾. وقد أطلق عليها علماء العربية النون الخفيفة، ومخرجها الخياشيم، وهي عند سيبويه من الحروف المستحسنة⁽⁶⁰⁷⁾، وهذه النون (الغنة) هي فرع للنون الأصلية عند التعامل الصوتي مع (القاف والكاف والجيم والشين والصاد والضاد والسين والزاي والطاء والظاء والذال والتاء والذال والتاء والفاء)⁽⁶⁰⁸⁾.

إنّ النون مع هذه الأصوات لا تظهر ظهورها مع أصوات الحلق والحنجرة، ولا تدغم كما تدغم مع (الراء واللام والياء والواو)، ولا تُقلب ميمًا كما تقلب مع (الباء)، وإنما تفقد استقرار اللسان على مخرجها في الفم لانتقل إلى مخرج الحرف الذي يليها، وهذا ما عُرِف عند علماء

606 ارتشاف الضرب من لسان العرب 8/1

607 ينظر: الكتاب 4/434، المقتضب 1/194، شرح المفصل 10/144، المقرب 2/6،

النشر 1/201،

608 شرح المفصل 10/126.

العربية بـ (إخفاء النون) التي هي وليدة تعامل النون الأصلية مع هذه الحروف، ولا يبقى معها إلا صوت الخياشيم وهو الغنة.

فرّق الدكتور غانم الحمد من الناحية الصوتية بين النون الأصلية والخفية الفرعية فقال: ((فتلك لها مخرجان، معتمد اللسان في الفم، ومجرى الصوت من الأنف، وهذه يزول معتمد اللسان معها ليلحق بمخرج الحرف الذي يليها، ولا يبقى معها إلا صوت الخياشيم وهو الغنة، وهذا هو السر في تخصيص مخرج مستقل لها)) (609).

ويعلق الدكتور حسام النعيمي بعد أن عرض للنون الخفيفة (الغنة) فيقول: ((فالصوت في النونين وإن كان واحداً في الأصل، إلا أنّ خفاء هذه النون وتحوّل اللسان عن موضعه في الضغط على أصول الثنايا أو اللثة، جعل العلماء يذكرون نونين، ويشيرون إلى مخرجين)) (610). ولهذا فالنون الخفيفة أو الخفية التي ورد ذكرها عند سيبويه ليست نوناً لهجية تختلف عن النون الفصيحة، إنما هي نون تعاملية، بمعنى إنّها النون التي تُسمع أو تُنطق في حالة سكونها إذا جاءت

609 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 219.

610 أصوات العربية بين التحوّل والثبات، 45، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 311.

متبوعة بواحد من الحروف الخمسة عشر التي ذكرت، فهي كاللام التي تأتي مفخّمة في بعض المواضع، مرقّقة في غيرها⁽⁶¹¹⁾.

2- الهمزة التي بين بين

قدّم أبو حيّان عرضاً لأحوال نطق الهمزة، قال: ((وإن تحرّكت الهمزة فأما أن يكون ما قبلها متحرّكاً، أو ساكناً . أن كان متحرّكاً واختلفا في الحركة نحو: (جُون، سُؤْل، لُؤْم، مِثْر، وَيَسْتَهْزِؤُن)، أو اتّفقتا نحو: (سَال، مُؤُون جمع مئة، مِثَيْن) جاز تخفيفها بإبدالها واوًا في (جُون)، وياءً في نحو: (مِير)، وتسهيلها بجعلها بينها وبين الحرف الذي هو محرّك بحركتها في البواقي، خلافاً للأخفش في إبدالها واوًا في نحو:

(سُؤُول، فتقول سُؤْل)، وياءً في نحو: (يَسْتَهْزِؤُون) فتقول: يَسْتَهْزِيون، وخلافاً لأبي الحسن شريح في تسهيل نحو: (سُئِل) بينها وبين الحرف الذي منه حركة ما قبلها وهو الواو في نحو: (يَسْتَهْزِيون) بينها وبين الحرف الذي منه حركة ما قبلها وهو الياء، والمضمومة المكسور ما قبلها نحو: (مِنْ عِنْدِ أُخْتِهِ) عن أبي الحسن إخلاصها ياءً كالتّصلة، وعنه في

611 أصوات العربية بين التحوّل والثبات، ص 45.

المكسورة المضموم ما قبلها من كلمة أخرى التسهيل بين بين نحو: (عند إيلك)، وإن كان ساكناً وهي أول حققت⁽⁶¹²⁾.

فقد فصل أبو حيان في الهمزة وجعل لها ثلاثة أحوال، اعتماداً على حركة الهمزة وحركة الحرف الذي يسبقها، وصرح بأن الهمزة المسهلة (بين بين) من الحروف المستحسنة فقال: ((وبعض الحروف فروع تستحسن، فمن ذلك الهمزة المسهلة وهي فرع عن الهمزة المخففة، وهي عند سيبويه حرف واحد نظراً إلى منطق التسهيل))⁽⁶¹³⁾، إذ أن الهمزة عند سيبويه أما محققة أو مخففة، و((التخفيف تصير الهمزة في بين بين وتبدل وتحذف))⁽⁶¹⁴⁾، فالتخفيف عند سيبويه يشمل ثلاث حالات: أن تصير الهمزة بين بين، أو تبدل، أو تحذف. والمقصود بعبارة بين بين (المسهلة) أي ((بينها وبين حرف حركتها، وقيل أو حرف ما قبلها))⁽⁶¹⁵⁾، والتسمية (بين بين) توحى بأن نطقها يتطلب أمرين: الأول عدم التحقيق وعدم الحذف الكلي، والثاني تهيؤ اللسان لنطق الحركة التي تليها نطقاً ضعيفاً بحيث لا تنطق حركة كاملة، أي أن الوقفة

612 ارتشاف الضرب من لسان العرب 133/1.

613 نفسه 8/1.

614 الكتاب 163/2.

615 شرح الشافية: ابن الحاجب 30/3.

الحنجرية التي تتطلبها الهمزة لا تكون مدتها مدة الوقفة عند التحقيق،
والجهر الذي تتطلبه الحركة قد جاء يسيراً من النفس الذي وفرته تلك
الوقفة السريعة، فهي غير ساقطة وفق النطق⁽⁶¹⁶⁾.

ويبدو أنّ حالة التسهيل (بين بين) ما هي إلا إسقاط الهمزة وعدم
تحقيقها، قال د. أنيس: ((هذا هو تعبير القدماء من القراء عن تلك
الحالة الغامضة لنطق الهمزة ... وإذا صحّ الذي سمعته من أفواه المعاصرين
من القراء تكون هذه الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام تاركة
حركة وراءها، فالذي نسمعه حينئذ لا يمت إلى الهمزة بصلة، بل هو
صوت لين قصير يسمّى عادةً حركة الهمزة بالفتحة أو ضمة أو
كسرة))⁽⁶¹⁷⁾.

3- الألف التي تُمال إلى الياء وألف التفخيم

قال أبو حيان: ((والألف الممالة، والتفخيم، وهما فرعان عن
الألف المنتصبة، والإمالة بين اللفظين لم يعتدّها سيبويه، وإنما اعتدّ
الإمالة المحضة، فقال: ((التي تمال إمالة شديدة كأنّها حرف آخر قريب

616 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 91-93، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة

الحديث، ص 105.

617 الأصوات اللغوية، ص 90-91.

من (الياء))⁽⁶¹⁸⁾. وهذه الظاهرة قد شاعت عند كثير من العرب ((ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن تميل، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه))⁽⁶¹⁹⁾.

ويبدو تخصيص سيويه الألف الممال إمالة شديدة من بين الألفات الممالة جاء مقابلاً للألف المفخمة، ومؤكداً خصائص العربية وواقعها الذي خصصنا له مبحثاً مستقلاً، فالقبائل العربية لا تُميل الألف بدرجة واحدة، فأهل الحجاز يميلون إلى تفخيم الألف في نحو: (الصلاة والزكاة) فينحنون بالألف نحو الواو من شدة التفخيم.

وقد وصف الدكتور غانم الحمد الألف وفق الدرس الصوتي الحديث، فقال: ((فالناطق إذا فتح فاه إلى أقصى حد، وأرسب لسانه في الحنك الأسفل فإنّ الصوت الذي ينتج عن هذه الحالة هو ما سماه علماء التجويد بألف التفخيم))⁽⁶²⁰⁾.

618 ارتشاف الضرب من لسان العرب 8/1.

619 الكتاب 125/4.

620 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص375، وينظر: الأصوات اللغوية، ص 40.

فالتفخيم أو الفتح وهو لغة أهل الحجاز، قال أبو حيان: ((وأصحاب الفتح الحجازيون إلا في مواضع قليلة))⁽⁶²¹⁾.

ونقل د. غالب المطلي رأي المحدثين في تفسير صوت الألف المفخّمة بأنه صوت مدّ ((يحدث من ارتفاع مؤخر اللسان نحو مؤخر الحنك ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المفخّمة التي تلي أصوات الاستعلاء، ويقلّ عن ارتفاعه مع الضخمة، ويكون وضع الشفتين مع ألف التفخيم وضع انضمام لا يبلغ الاستدارة التامة كما هو الشأن مع الضمة))⁽⁶²²⁾.

4- إبدال الصاد زائياً

تقلب الصاد زائياً لضرب من المضارعة، قال أبو حيان: ((قرأ حمزة والكسائي (أَصْدَق) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ النساء/ الآية 87، بإشمام الصاد زائياً، وكذا فيما كان مثله صاد ساكنة بعدها دال نحو: (يصدقون، وتصدية). وأما بإبدالها زائياً محضة في ذلك فهي لغة كلب، وأنشدوا:

621 ارتشاف الضرب من لسان العرب 238/1، وينظر: شرح الشافية: للرضي 4/3، البحر المحيط 59/1، الإتيان في علوم القرآن: للسيوطي 315/1، الأصوات اللغوية، ص 40.
622 دراسة في أصوات المدّ العربية، ص 168.

يزيدُ زادَ اللهُ في خَيراته حامِي الدمارِ عند مَرْدُوقاته

يريد: عند مصدوقاته) (623).

ففي هذا الصوت يتحوّل الهمس إلى جهر، وذلك لا يكون في التركيب إلّا في حال مجيئه ساكناً قبل بعض الأصوات المجهورة ولا سيما الدال كما في (مصدر)، ففي هذا التحوّل، الأصوات المهموسة نتطلب جهداً أكبر من الناطق. قال ابن سيدة : ((فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مخرجه، فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال، وذلك نحو: (أصدر و مصدر والتصدير)، وهي الزاي ، لأنها مجهورة غير مطبقة، ولم يبدلوها زايّاً خالصة كراهة الإجحاف بها للإطباق، كما كرهوا ذلك فيما ذكرت لك من قبل . قال سيبويه : وسمعا العرب الفصحاء يجعلونها زايّاً خالصة كما جعلوا افطباق ذاهباً في الإدغام وذلك قولك في (التصدير: التزدير)، وفي (القصد : القزد)، وفي (أصدرت : أزدرت)، وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها إرادة أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد، إذا لم يصلوا إلى الإدغام، ولم يجسروا من إبدال الدال صاداً لأنها ليست بزائدة كالطاء في

افتعل))⁽⁶²⁴⁾. ويمكن أن تعلّل هذه الظاهرة وذلك أنّ الصاد سكّنت فضعفت به، وجاورت الصاد - وهي مهموسة - الدال وهي مجهورة ففتربت منها بان أشممت شيئاً من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجهر.

وهذا التأثير يكشف عن مكان إذهاب الإطباق، وعن تأثير الجهر في الهمس، ويمكن أن يحصل هذا التأثير دون الإجحاف بالإطباق ففتحو الصاد إلى صوت مجهور مطبق، فتكون زايًا مطبقة. وقد عبّر سيبويه عن هذين التغيرين بالإبدال والتقريب فقال: ((إنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد))⁽⁶²⁵⁾. وهذا التأثير في الصاد يحصل حين تكون متلوّة بصامت قريب من مخرجها، لذا نجد أبا حيان يقول فيها: ((لا تفعل ذلك بالصاد مع الراء والقاف ونحوهما ؛ لأنّ موضعهما لم يقرب من الصاد كقرب الدال))⁽⁶²⁶⁾. مع أنّه أشار إلى تأثر الصاد بالراء كما في (الصراط) وحكى (زراط في صراط).

624 المخصّص : لأبن سيدة 271/12، وينظر: الكتاب 426/2، ليس في كلام العرب : لأبن خالويه، ص25، وتاج لالعروس: للزبيدي مادة (زدق)، في اللهجات العربية: د. إبراهيم أنيس، ص106، دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، ص94، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص340، الأصوات اللغوية، ص77.

625 الكتاب 426/2.

626 ارتشاف الضرب من لسان العرب 158/1.

5- إبدال الياء من الجيم

قال أبو حيّان: ((قرأت الشجرة على شيرة⁽⁶²⁷⁾ بكسر الشين، حكاه هارون الأعور عن بعض القراء. وأنشد الأصمعي: تحسبه بين الأنعام شيرة))⁽⁶²⁸⁾.

ويبدو البديل بين الجيم والياء أنهما متّفقان مخرّجاً، وكلاهما مجهور، قال ابن خالويه في كتابه: ((وليس في كلام العرب جيم قُلبت ياء إلا في حرف واحد، وإثماً تُقلب الياء جيماً... والحرف الثاني قلب فيه الجيم ياء: الشيرة، يريدون: الشجرة))⁽⁶²⁹⁾. والحروف الشجرية هي (ج، ش، ي)، وسمّيت بذلك لخروجها من شجر الفم، أي منفحة، ومخرجها من وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، وعلل السيوطي: ((فلما قلبوها ياء كسروا أولها لئلا تنقلب الياء ألفاً، فتصير: شارة، وهذا غريب حسن. وقد قرئ في الشاذ (ولا تقربا هذه الشيرة))⁽⁶³⁰⁾. فأبدلت

627 ينظر: معجم القراءات القرآنية 47/1.

628 البحر المحيط 158/1، والآية { ولا تقربا هذه الشجرة } البقرة/ 25، والشر من الرجز، وقد روي في المحتسب 74/1، سر الصناعة 764/2، واللسان "شجر"، وشواهد أبي حيّان في تفسيره، ص 172-173.

629 ليس في كلام العرب، ص 258.

630 المزهر في علوم اللغة: للسيوطي 88/2، وينظر: دراسة في أصوات المدّ العربية، ص 207.

على لغة من قال (شجرة)، أو أن يكون الكسر في الحرف الأول لمجاورتها الياء.

6- العجعة

قال أبو حيان : ((والياء إن كانت مشددة، فطياء تبدلها جيمًا، أو مخففة، فبنو دبير فقط يبدلون جيمًا، فتقول: (هذا غلامج وهذه داري)، قيل: الإبدال من المشددة مطّرد، ومن المخففة لا يطّرد، انتهى، وقد كثر في المشددة فقالوا: (كندج وعلج ومرج وصيصج وصهارج والأجل)، وقالوا في الخفيفة: (حجّج وبعج و امسجت)، وقال سيبويه: (وأما أناس من بني سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف). وقال أبو زيد والفرّاء : من العرب من يبدلها في الوقف جيمًا، وقال الجوهري: قضاة يحولون الياء جيمًا مع العين، يقولون: هذا راعج معج، أي: راع معي))⁽⁶³¹⁾.

وقد ذكر الخليل بن أحمد أنّ ربيعة يجعلون الياء الثقيلة جيمًا أعجمية. ووصفها ابن دريد بأنّها الحرف الذي بين الياء والجيم، إذا اضطرّوا قالوا : غلامج، أي: غلامي، وكذلك الياء المشددة . ويفهم من كلام سيبويه

631 ارتشاف الضرب 1/159، وينظر: الكتاب 2/422، 4/182، المزهر 1/222، شرح الأشموني 4/210، فصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب، ص130-131، في اللهجات العربية، ص126، دراسة في أصوات المد العربية، ص205.

أنّها الجيم العربية، وأنّ التجاوز وراء هذا الإبدال للبيان، ومن توضيح ابن يعيش : ((الجيم شديدة ولولا شدّتها لكانت ياء، وإذا شدّدت الياء صارت جيماً))⁽⁶³²⁾. فالياء والجيم والشين من مخرج واحد، وتمايز فيما بينها في اختلاف الصفات شأنها في ذلك شأن بقية الأصوات المتّحدة المخرج، والإبدال بين الياء والجيم قائم في العربية على مرّ العصور، بيد أن قلب الياء جيماً ورد أكثر من قلب الجيم ياءً، ((ليس في كلام العرب جيم قلبت ياء إلا في حرف واحد، وإنما تقلب الياء جيماً))⁽⁶³³⁾.

إنّ اتّفاق الياء والجيم في الجهر والمخرج، واختلافهما في الشدّة وراء هذا الإبدال، ورأي الدكتور إبراهيم أنيس أنّ هذه الظاهرة ظاهرة بدويّة، وأنّ البدو بطبيعتهم يحرصون على تفخيم الياء فصارت جيماً، والتفخيم هنا هو للوضوح السمعي⁽⁶³⁴⁾.

632 شرح المفصّل 50/10، وينظر: العين 337/5، الكتاب 288/2، سر صناعة

الإعراب 192/1، مجالس ثعلب، ص 117.

633 ليس في كلام العرب، ص 56.

634 في اللهجات العربية، ص 126، فصول في فقه العربية، ص 132.

7- الكشكشة والكسكسة

وهي إبدال الكاف شيئاً أو شيئاً ملحقاً بالكاف، للبيان في الوقف، و للفصل بين المذكر والمؤنث. قال أبو حيّان: ((ومن كاف المؤنثة قالو: أكرمتكش في أكرمتك))⁽⁶³⁵⁾. والكشكشة لغة ربيعة، يقولون عند كاف التأنيث (عليكش، إليكش، بكش) بزيادة شين، وقد علّل سيبويه ذلك بقوله: ((جعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها؛ لأنها مهموسة كما أنّ الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق، لأنها ليست من حروف الحلق وذلك قولك: أنش ذاهبة، ومالش ذاهبة، تريد: إنك و مالك))⁽⁶³⁶⁾. وهذه الازدواجية التي حدثت للكاف في هذه اللهجات حدثت للجيم، فقال أبو حيّان: ((والشين من الجيم، قالوا في مدمج: مدمش))⁽⁶³⁷⁾. وقد نقل رمضان عبد التواب رأي كاتينو في هذه الظاهرة من إلحاق الكاف شيئاً أو شيئاً، وأرجعها إلى عجيعة قضاة، فيقول: ((ويبدو أنه يجب ردّ إتباع كاف المخاطبة

635 ارتشاف الضرب من لسان العرب 160/1.

636 الكتاب 199/4 طبعة هارون.

637 ارتشاف الضرب من لسان العرب 160/1. قال د. غالب المطلي في الأصوات اللغوية- دراسة في أصوات العربية، ص 203: وأكبر الضنّ أنّ الصوت الجديد ليس بهذا ولا ذاك، وإنما هو صوت مزدوج بين الجيم والشين أو الكاف والشين، وهو صوت (ch) حسب النطق الانكليزي.

عند الوقف بشين عند مظر وريعة، وبسين عند بني بكر، إلى هذه الخاصية، ومن المحتمل أنه ينبغي تفسير ذلك بتخيّل صيغة أولى لهذه الكاف أي (كي) بكسرة طويلة، ثم تصير إلى (كيّ)، ثم إلى (يَج)، وأخيراً إلى (كش) أو (كش) بانتقال الجيم من الجهر إلى الهمس.

وقد خلط العرب هذه الظاهرة الغريبة بظاهرة أخرى هي إبدال كاف المخاطبة شيئاً أو شيئاً مكسورتين، وأطلقوا على الظاهرتين اسم : (الكشكشة والكسكة)⁽⁶³⁸⁾. قال رمضان عبد التواب: ((يبدو من مجموع الروايات أنّ ظاهرتي الكسكة والكشكشة تنحصران في أمرين: إلحاق الكاف المكسورة شيئاً في الكسكة وشيناً في الكشكشة، أو إبدالهما شيئاً أو شيئاً، والظاهر أنّ الأمر الأول تفسير من اللغويين لما سمعوه ولم يستطيعوا كتابته، إذ أنّ هذه الكاف لم تلحق بسين أو شين كما ظنوا، وإنما تحوّلت إلى صوت من الأصوات المزدوجة ... وإنّ أصوات أقصى الحنك كالکاف والجيم الخالية من التعطيش تميل بمخرجها إلى نظائرها من أصوات أمامية حين يليها صوت لين أمامي كالکسرة ؛ لأنّ

638 فصول في فقه العربية، ص 149.

صوت اللين الأمامي في مثل هذه الحالة يجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك، فتقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك)) (639).

وهذا معناه أنّ الكاف المكسورة تتحوّل في اللهجات إلى صوت مزدوج هو (تس) وهذه هي الكسكة، أو (تش) وهذه هي الكشكشة. وفي الإلحاق تكون الشين بدلا من الكسرة. قال سيبويه: ((وقوم يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة في الوقف، كما أبدلوها مكانها للبيان وذلك قولهم: أعطيتكِش، وأكرمكِش، فإذا وصلوا تركوها)) (640).

وقد عبّر عن القدماء بإلحاق الكاف الشين . واختلاف نطق هذا الصوت يشير إلى درجات تقدّم مخرجه نحو الأمام وابتعاده عن الكاف ليصل إلى أن يشبع كونه جيماً مهموسة يرمز له بالحرف (ج).

وتكاد الكسكة تضارع الكشكشة في إلحاق كاف المؤنث سيناً، ليبينوا كسرة التأنيث. قال سيبويه: ((وأعلم أنّ أناساً من العرب يلحقون الكاف السين ليبينوا كسرة التأنيث، وإنّما ألحقوا السين لأنها قد تكون

639 فصول في فقه العربية، ص 145 - 149 ، وينظر: في اللهجات العربية ، ص 123.

640 الكتاب 4/199-200.

من حروف الزيادة في (استفعل) وذلك أعطيتكِس وأكرمكِس، فإذا وصلوا لم يجيئوا بها لأنّ الكسرة تبيّن⁽⁶⁴¹⁾.

فمن هذا النصّ يبدو أنّ الكسكسة تقتصر على الإلحاق ولا تأتي بدلاً من الكاف المكسورة. وقيل: لولا التفشّي لصارت الشين سيناً، فتحوّل من (كِش) إلى (كِس). وإنّ الكشكشة والكسكسة صورة من صور تأثير التقارب الصوتي في مخارج الأصوات. وعلّق المطلبي على هذه الظاهرة فقال: ((وأكبر الظنّ أنّه ليس سيناً تلحق الكاف، وإنّما هو صوت مزدوج لعلّة بين الكاف والسين، أو بين التاء والسين))⁽⁶⁴²⁾.

8- الشين التي كالجيم

أمّا الشين التي كالجيم فهي على ما ذكر أبو حيّان فرع عن الجيم الخالصة، يقول: ((والشين التي كالجيم فرع عن الجيم الخالصة، وذلك قولهم في: (أشدّق: أجدق))⁽⁶⁴³⁾، وهي الشين التي تفقد شيئاً من تفشّيها واستطالتها وترجع قليلاً متصعّدة نحو الجيم⁽⁶⁴⁴⁾.

641 الكتاب 199/4

642 دراسة في أصوات المدّ العربية، ص 204.

643 ارتشاف الضرب من لسان العرب 8/1.

644 ينظر: سر صناعة الإعراب 56/1، أصوات العربية بين التحوّل والثبات، ص 45.

ثانياً: إبدال وتحوّل غير مستحسن

1- كاف كجيم (ج) وجيم ككاف (ك)

قال أبو حيان: ((وفروع تستقبح وهي كاف كجيم، فرع عن الكاف الخالصة، وهي لغة في اليمن كثيرة في أهل بغداد، يقول في (كَلَّ): (جَمَل)، وجيم ككاف فرع عن الجيم الخالصة يقولون في (رجل): (رَگَل) يقربونها من الكاف وعدّ سيويه هذا حرفاً واحداً، لأنّ النطق لا يختلف، وراعى ابن جنّي الأصل فعّد ذلك حرفين، وتبعه ابن عصفور وابن مالك))⁽⁶⁴⁵⁾.

أمّا كاف كجيم فهو صوت لهجي أورده أبو حيان وعدّه لغة لأهل اليمن، ومستخدم كثيراً عند أهل بغداد نحو: (كَلَّ تصبح جَمَل)، وذهب سيويه إلى أنّ مخرج الكاف كالجيم بين مخرج الجيم والكاف⁽⁶⁴⁶⁾، وجعلها أبو حيان من الحروف المستقبحة التي لا يستحسن استعمالها في القراءة والشعر، فقال عنه كانتينو: ((نطق مستهجن للكاف هو الكاف التي كالجيم... فالمفروض أن يكون هذا

645 ارتشاف الضرب 8/1، وينظر: الكتاب 305/4، سر صناعة الإعراب 51/1، والممتع في التصريف 2/665.

646 الكتاب 432/4، وينظر: المعرب من الكلام العجمي: للجواليقي، ص54.

النطق هو نطق الكاف (تش))⁽⁶⁴⁷⁾. ويقول د. حسام النعيمي عن نطق الكاف (تش) ((نستعمله في لهجتنا العامية في العراق بدل كاف المؤنث باطّراد، وهو صوت (تش) ... كما أنّه يبدل من الكاف عدد غير قليل في المؤنث كالديك والسّمك، حيث نقول الديج والسّمج))⁽⁶⁴⁸⁾.

أمّا الجيم التي كالكاف فهي فرع عن الجيم الخاصة نحو: (رجل تصبح رگل)، قال عنها ابن الجزري: ((وربّما نبا بها اللسان نخرّجها ممزوجة بالكاف))⁽⁶⁴⁹⁾.

وذكر د. أحمد مختار عمر في كتابه عدّة احتمالات قدّم بها تعليقات لهذه الظاهرة في وصف القدماء لهذا النطق أنّه مستهجن، وما ورد من أهل عدن بجعل الجيم كافاً، فيقولون لـ (رجب: ركب)، وما روي عن بعض القراء أنّهم كانوا يقرؤون ﴿حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الأعراف/الآية 80، (حتى يلك الغمل في سم الخياط). وأوجب

647 دروس في علم العربية، ص 101، وينظر في اللهجات العربية، ص 123، واللهجات العربية في التراث، ص 280.

648 أصوات العربية بين التحول والثبات، ص 46-47.

649 النشر 217/1.

(جمل) نطقه على الكاف المجهورة التي كتبوها برمز الكاف حتى لا يلتبس نطقها بنطق الجيم المركبة⁽⁶⁵⁰⁾.

2- الضاد الضعيفة

إنّ وصف هذه الضاد بالضعف إشارة إلى أنّ الضاد الفصيحة تفقد قوتها في هذا الصوت، وإنّ الضاد الفصيحة أكثر قوّة من بقية الأصوات المطبقة في التأثير دون التأثير. قال أبو حيّان: ((وَضَادٌ ضَعِيفَةٌ، قال الفارسي: إذا قلت (ضرب) ولم تشبع مخرجها ولا اعتمدت عليه، ولكن تخفف وتحتلس فيضعف إطباقها. وقال ابن خروف: هي المحرّفة من مخرجها يمينا أو شمالاً كما ذكر سيبويه. وقال مبرمان: يقربون الثاء من الضاد وذلك لغة قوم ليس في أصل حروفهم الضاد، فإذا تكلفوها ضعف نطقهم بها، وكذا قال ابن عصفور ومثل بقولهم في: ائرب ذلك في ائرب ذلك، وفي تفسير الضاد الضعيفة بهذا، وفي تمثيله نظراً، والذي يظهر أنّ الضاد الضعيفة التي تقرب من الثاء عكس ما قال مبرمان وابن

650 ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص288-289، الدراسات الصوتية عند علماء

التجويد، ص249، وأصوات العربية بين التحول والثبات، ص47.

عصورن فتقول في : اضرب زيداً: اثرب زيداًن من الضاد
(والثاء)) (651).

فالضاد الضعيفة خاضعة للتأثر في صفاتها ولا سيما الإطباقن
فتختلف عن الضاد الأصلية صفةً أكثر من اختلافها مخرجاً، فهي التي لم
يشبّع مخرجها ولم يعتمد عليه، ولكن يخفّف ويختلس فيضعف إطباقها.

وقد ذهب الدكتور النعيمي إلى ((أن تكون الضاد الضعيفة هذه
ضاداً فصيحة مهموسة)) (652) فتحوّل جهر الضاد إلى الهمس في التعامل
الصوتي. ويرى الدكتور حجازي أنّ الضاد الضعيفة نتيجة تأثير ((اللهجات
الآرامية التي لا تعرف صوتاً اسمه الضاد)) (653)، وهو رأي قريب ممّا
قاله مبرمان في النصّ.

651 ارتشاف الضرب من لسان العرب 9/1، وينظر: الكتاب 4/432، الممتع 2/666،

الإيضاح في شرح المفصل 2/484.

652 أصوات العربية واقعها ومستقبلها، ص 275، وينظر: أصوات العربية بين التحوّل
والثبات، ص 47.

653 علم اللغة العربية: د. محمود فهمي حجازي، ص 299.

3- جيم كالشين (ژ)

قال أبو حيّان: ((وجيم كشين فرع عن الجيم الخالصة وأكثر ذلك إذا سكنت وبعدها دال نحو قولهم في : (الأجدر: الأشدر، واجتمعوا: اشتمعوا))⁽⁶⁵⁴⁾.

فهي تكثر في الجيم الساكنة إذا كان بعدها الدال أو التاء. وقد جاء في الإيضاح في شرح المفصل: ((فالشين المتولدة في (اجتمعوا) هي الشين في (اشترك)، والشين المتولدة من (الأجدر) هي التي تلفظها في كلمة (رشدي))⁽⁶⁵⁵⁾.

وكان أبو حيّان قد فرق بين الشين التي كالجيم والجيم التي كالشين، فالأولى عنده كما ذكرنا من الفروع التي تستحسن، في حين الثانية ضمن ما هو غير مستحسن، وفرّق ابن يعيش بين الحالتين كذلك من حيث الاستحسان وعدمه، غير أنّه علّل ذلك نتيجة المجاورة الصوتية، قال: ((وأما الشين التي كالجيم، فقولك في (أشدر: أجدر) لأنّ الدال حرف مجهور شديد، والشين مهموس رخو، فهي ضدّ الدال بالهمس والرخاوة، فقرّبوها من لفظ الجيم القريبة من مخرجها موافقة الدال في الشدة والجهر. نحو قولهم في (اجتمعوا، والأجدر: اشتمعوا، والأشدر)

654 ارتشاف الضرب من لسان العرب 9/1.

655 الإيضاح في شرح المفصل 483/2-484.

فتقرب الجيم من الشين لأنهما من مخرج واحد، إلا أنّ الشين أبين وأفشى، فإن قيل فما الفرق بين الشين التي كالجيم حتى جعلت في الحروف غير المستحسنة وبين الجيم التي كالشين والداال لما بينهما من التباين الذي ذكرناه. وأمّا إذا كانت الجيم مقدّمة كالأجدر واجتمعوا، فليس بين الجيم والداال من التنافي والتباعد ما بين الشين والداال، فلذلك حسن الأول وضعف الثاني))⁽⁶⁵⁶⁾.

4- الصاد كالسين، والطاء كالتاء، والظاء كالثاء

تجتمع هذه الأصوات الثلاثة في فقدانها للإطباق، وتحول الظاء إلى صوت مهموس مرقّق من مخرجه، ولذلك شبه بالثاء ولم يشبه بالذال. وإلى وصف القدماء نجد هذا التحول أيضاً في الطاء، قال أبو حيان: ((وصاد كسين فرع عن الصاد الخالصة نحو: (سابر في صابر)، وطاء كطاء فرع عن الطاء الخالصة نحو: (تال في طال)، وهي تسمع من عجم أهل المشرق، وطاء كطاء فرع عن الظاء الخالصة نحو: (ثال في ظالم))⁽⁶⁵⁷⁾. وهذا يعني أنّ الإطباق قد لقي تطوراً بفعل عامل خارجي - غير لغوي - مع وجود ما يدعم الإطباق في الصاد، وكذا

656 شرح المفصل 127/10.

657 ارتشاف الضرب من لسان العرب 9/1.

الحال مع الطاء، قا لسيبويه في وصفه الطاء بأنه صوت مجهور مطبق :
(لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً) (658).

فهذا التحول في هذه الأصوات الثلاثة عن أصولها لا يتجاوز تأريخ
الاختلاط الواسع الذي شهده المجتمع العربي بعد ظهور الإسلام . ويرى
الدكتور إبراهيم أنيس أن هذا التحول من متطلبات السهولة في
النطق (659).

5- إبدال اللام نوناً

قال أبو حيان: ((إسماعيل اسم أعجمي. ويقال إسماعيل باللام،
وإسماعين بالنون . قال:

قال جَواري الحَيِّ لما جِينا هذا وربّ البيتِ إسماعينا)) (660)

فقد أبدلت اللام نوناً هنا، كما أبدلت في كثير من المفردات نحو:
رفل : رفن، ونحو: جبريل : جبرين، وقد وقع الإبدال في هذين الحرفين
اللام والنون لأنهما من ذلق اللسان وطرفه، وقد نُسب هذا الإبدال إلى

658 الكتاب 4/436.

659 الأصوات اللغوية، ص179، وينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص340، أصوات

العربية بين التحول والثبات، ص47-48.

660 البحر المحيط 1/373.

بني سعد وكتب، وقد حكى ابن منظور قول الفراء أن ((من العرب تقول: (بل والله لآتيك، وبن والله) يجعلون اللام فيها نونا، وهي لغة بني سعد ولغة كلب)) (661).

فاللام والنون حرفان متقاربان في مخرجيهما، مع اشتراكهما في أغلب الصفات من شدة ورخاوة، فقد جمعت بين الشدة والرخاوة، وسميت بالأصوات المتوسطة، وقد تبدأ بحبس للنفس يشبه ما يحصل في الحروف الشديدة، ولكن النفس يجد له منفذاً من غير موضع ذلك الاحتباس فيجري جريانه في الحروف الرخوة، وهذه صفة الأصوات المتوسطة، وهي مبنية على كيفية مرور الهواء في المخرج، فاللام (جانبية منحرفة)، والنون (أنفية)، فليس غريباً أن نجد الإبدال بينهما. قال السيوطي: ((ومما ورد باللام والنون ... (إسماعيل وإسماعيل، وإسرائيل وإسرائيلين، وجبريل وجبرين)) (662).

وتحدث د. إبراهيم أنيس عن اللام والراء والنون، وبين وجه الشبه بين أفرادها فقال: ((أما وجه الشبه بين أفراد هذه المجموعة الفرعية كما يراه المحدثون فهو أنها مع قرب مخارجها تشترك في نسبة وضوحها الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، ولهذا اشبهت من

661 لسان العرب : ابن منظور 74/13.

662 المزهر 565/1.

هذه الناحية أصوات اللين فهي جميعاً ليست شديدة، أي لا يسمع معها انفجار، وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي تميّز به الأصوات الرخوة، ولذلك عدّها القدماء من الأصوات المتوسطة الشدة والرخاوة)) (663).

6- إبدال السين تاء

إنّ تقارب الحروف وإبدالها هي نتيجة اتّحادها في المخرج أو تشاركهما في الصفات، فقد أبدلت السين تاء في لغة قضاة ((وحيّ أبو يعلي المنقري في كتابه عن الأصمعي، قال: قال أبو عمرو لغة قضاة تجعل مكان السين تاء تقول: (أعوذ برب النات ملك النات)، لأنّ مخرج التاء والسين واحد)) (664). وذكر أبو حيّان في البحر المحيط أنّ هذا الإبدال نتيجة تقارب هذين الحرفين، فقال: ((إذا اجتمعت الحروف المتقاربة فقد تخفف بالحذف والإدغام والإبدال، كما قالوا: (طست)، فأبدلوا من السين الواحد تاء، إذ الأصل: (طس)) (665). فالسين صوت نظيره الشديد التاء، قال د. إبراهيم أنيس: ((ولهذا لا ندهش

663 الأصوات اللغوية، ص 64-65. وينظر: فقه اللغة كد. علي عبد الواحد وافي، ص 47،

والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 258 وما بعدها.

664 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/156.

665 البحر المحيط 3/156.

حين نجد الكلمة الواحدة ينطق بها بعض اللهجات العربية القديمة مشتملة على صوت شديد، وفي لهجات أخرى مشتملة على نظيره الرخو) (666).

7- إبدال التاء فاء

إنّ الفاء والتاء من الأصوات المهموسة، وهما من الحروف الرخوة، فالهمس والرخاوة في هذين الصوتين هو سبب من شأنه أن يحدث التقارب بينهما ممّا يهيئ معه لبعض القبائل العربية إيثار نطق أحدهما بدلاً من الآخر. قال أبو حيّان: ((وقد تبدّل التاء فاء، أنشد مؤرج لحسان (667):

وأنتم أناسٌ لثامُ الأصول طعامكم الفومُ والحوقلُ) (668)

وقد نسب اللغويون النطق في بعض الألفاظ بالتاء إلى التميم، وبالفاء إلى الحجاز، ومن ذلك ما رواوا من أنّ تميمًا تقول: (الأثافي) بدلا عن (الأثافي)، ولكنهم عكسوا أحيانًا، فنسبوا النطق بالفاء في حالات نادرة إلى تميم، وبالتاء لأهل الحجاز، فقالوا: أنّ الحجازيين يقولون للقبر

666 الأصوات اللغوية، ص 25.

667 لا يوجد البيت في شرح ديوانه، شرح ديوان حسان، تصحيح: عبد الرحمن البرقوقي.

668 البحر المحيط 219/1.

(جدث، وتميم تقول جدف) ⁽⁶⁶⁹⁾. ويرى الدكتور أنيس أنه ((لا شك أن الشاء أوضح في السمع من الفاء رغم أنهما مهموسان)) ⁽⁶⁷⁰⁾.

8- إبدال الباء فاء

المراد بها الباء المهموسة، وهذا صوت دخيل على العربية، قال فيه أبو حيان: ((وياء كفاء فرع عن الباء الخالصة، وهي كثيرة في لغة أهل الفرس، وتارة يغلب لفظ الباء وتارة لفظ الفاء، وذلك نحو (بلح و أصبهان)) ⁽⁶⁷¹⁾. ويبدو أن هذا الصوت قريب من صوت (P) في اللغة الإنكليزية، وهو دخيل على العربية أكثر من كونه ناتجاً عن التعامل الصوتي، قال د. أنيس: ((ضرب لنا ابن سينا مثلاً لهذا الصوت بالكلمة الفارسية (بيروزي) ومعناه النصر. وتبين لنا من هذا المثل أنه يعني ذلك الصوت المألوف في كثير من اللغات الأوربية، والذي يرمز له بالرمز (P)، ولا فرق بين هذا الصوت والباء العربية إلا في أن الباء العربية مجهورة ونظيرها المهموس هو هذا الصوت الفارسي. وقد رمز له

669 ينظر: الخصاص 440/2، سر صناعة الإعراب 191/1، دراسات في فقه اللغة، ص 91.

670 في اللهجات العربية، ص 115.

671 ارتشاف الضرب من لسان العرب 9/1.

الفرس القدماء بباء تحتها ثلاث نقاط)) (672) . وبعد أن عرض د. حسام النعيمي لهذه المسألة، وذكر صوت الباء المهموس، أي صوت (P) عند غير العرب فقال: ((والذي أميل إليه أنه باء مهموسة ؛ لأنّ صوت الفاء المجهورة نسمعه من الأعاجم بدل الواو، لا الباء)) (673).

9- القاف المعقودة

قال أبو حيان: ((وأما القاف المعقودة، فقال السيرافي: رأينا من يتكلم بالقاف بينها وبين الكاف، انتهى. وهي الآن غالبية في لسان من يوجد في البوادي من العرب حتّى لا يكاد العربي ينطق إلّا بالقاف المعقودة، لا بالقاف الخالصة الموصوفة في كتب النحويين، والمنقولة على وصفها الخالص على أهل السنة أهل الأداء من أهل القرآن)) (674).

وفي الدرس الصوتي الحديث نجد أنّ القاف - كما ينطق بها الآن - لا فرق بينها وبين الكاف إلّا في أنّ القاف أعمق قليلاً في أقصى

672 الأصوات اللغوية، ص150، وينظر: ص190-191 منه.

673 أصوات العربية بين التحوّل والثبات، ص48.

674 ارتشاف الضرب من لسان العرب 9/1، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص252.

الحنك⁽⁶⁷⁵⁾. وبعد أن عرض غانم الحمد ما جاء عند القدماء في وصف القاف، وميّز بين أقوال القدماء فقال : ((والنصوص التي ذكرناها من قبل عن ابن دريد والسيرافي وعبد الوهاب القرطبي تشير إلى أنّ العلماء قد ميزوا منذ وقت مبكر بين القاف الفصيحة والقاف العامية التي هي (الكاف المجهورة)، ... ويفهم من النصوص السابقة أنّ القاف المعقودة (الكاف المجهورة) كانت تجري على ألسنة كثير من العرب منذ أوائل القرن الرابع الهجري، وهي لا تزال طاغية على ألسنة كثير من متكلمي العربية في اللغة الدارجة، وعلى الرغم من ذلك فإنّ أقوال العلماء تؤكد أنّ هذا النطق للقاف لا يمثل القاف الفصحى التي يُقرأ بها القرآن ويتكلّم بها الفصحاء))⁽⁶⁷⁶⁾.

ويستخلص الأستاذ غانم الحمد بعد أن تناول المسألة بالدرس والتحليل، فقال : ((على إنّنا إذا تقدّمنا شيئاً يسيراً باتجاه طرف اللسان من مخرج القاف، أمكننا أن ننطق بالكاف مهموسة، وأن ننطق بالكاف

675 الأصوات اللغوية ص 201، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 174، 173، 249، وقد حدّد سيبيويه 433/4 مخرج القاف من نقطة هي أعمق من النقطة التي تخرج منها الكاف.

676 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 253.

مجهورة، من غير أن يغيّر الجهر الذي يلحق الكاف شيئاً من خصائصها الصوتية الأخرى)) (677).

والذي يبدو أنّ كثير من العراقيين اليوم ينطقون القاف بالكاف الغليظة فيقولون: (الگوم : يريدون القوم)، فتكون القاف بين الكاف والقاف.

677 الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 256 ، وينظر: الأصوات اللغوية، ص 85 - 88.

المبحث الثاني

الإمالة والفتح

أولاً: حقيقة الإمالة

الإمالة في اللغة مصدر أَمَلْتُهُ أُمَيْلُهُ إمَالَةً، والميل هو الانحراف عن القصد، والإمالة في الاصطلاح عند أبي حيّان : ((أن ينحى الألف نحو الياء فيلزم أن ينحى بالفتحة قبلها نحو الكسرة))⁽⁶⁷⁸⁾.

والإمالة نوع من الانسجام الصوتي بين الصوائت يؤدي إلى تغيير في الألف أو أن يُنطق الألف نطقاً خاصاً قريباً من نطق الياء. فحقيقة الإمالة هي ((عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخّمة وبين مخرج الياء))⁽⁶⁷⁹⁾. وهي وفق مفهوم المنهج الصوتي الحديث صورة نطقية للألف، فالناطق إذا فتح فيه إلى أقصى حدّ، وأرسب لسانه في الحنك الأسفل، فإنّ الصوت الذي ينتج عن هذه الحالة هو ما سميّ بألف التفخيم، وكلّما ضيق الناطق درجة الانفتاح تغيّر الصوت حتّى إذا بلغ أقصى درجات التضيق التي ينتقل

678 ارتشاف الضرب من لسان العرب 238/1.

679 شرح المفصّل 54/9، وينظر: دراسة في أصوات المد العربية، ص 167. قال غالب

المطلبي: ((إنّ علّة الإمالة فيها كانت الجنوح إلى الانسجام المدي)).

الصوت بعدها من نوع الأصوات الدائبة إلى الأصوات الجامدة، كان الصوت الناتج هو ياء المدّ، وبين ألف التفخيم وياء المدّ أنواع من الأصوات هي التي سمّيت بالألف الخاصة المعتادة، وبالإمالة المتوسطة، وبالإمالة الشديدة، وسواء عدّدنا تلك الأصوات فروعاً للألف، أو عدّدناها أصواتاً مستقلة، فإنّها تتدرج في المقياس الذي اهتدى إليه علماء الأصوات المحدثون، وسمّوه بالحركات المعيارية⁽⁶⁸⁰⁾. إذ أنّ هنالك مراحل بين الفتح والكسر من أجل ذلك كان علماءنا القدماء يقسمون الإمالة على نوعين: إمالة شديدة، وإمالة خفيفة، وقد أدركوا - ومنهم أبو حيان - أنّ الإمالة تقرب بين الأصوات ونوع من التخفيف، وأنّها لغة لبعض العرب، ورواية لبعض القراء دون سائرهم يقول الدكتور أنيس: ((يظهر أنّ القبائل العربية قبل الإسلام وبعده قد انقسمت إلى شعبتين: الشعبة الأولى تؤثر الفتح، أو بعبارة أخرى، لا تستقيم ألسنتها بغيره، والشعبة الأخرى قد شاعت فيها الإمالة. ويمكن بصفة عامّة أن ننسب الفتح إلى جميع القبائل التي كانت مساكنها غربي

680 ينظر: علم اللغة العام - 1- أصوات - ص 179، وقال غالب المطلي في دراسة أصوات المدّ ص 163: ((وقد عرّف المحدثون الإمالة بأنّه صوت مدّ يحدث من ارتفاع مقدم اللسان نحو منطقة الغار، ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المرققة ويقلّ ارتفاعه مع الكسرة، ويكون وضع الشفتين مع الإمالة ألاّ أنّه دون الانفراج الذي يكون مع الكسرة)).

الجزيرة بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال قريش والأنصار وثقيف وهوازن و
سعد بن بكر وكنانة، وأن ننسب الإمالة إلى جميع القبائل التي عاشت في
وسط الجزيرة وشرقيها، وأشهرها تميم وأسد وطيّ وبكر بن وائل وعبد
القيس وتغلب)) (681).

فإن سأل سائل لم أدخلت الإمالة الكلام؟

كان الجواب : طلباً للتشاكل لئلا تختلف الأصوات فتتنافر. فالتشاكل
والتناسب الصوتي وصيرورة الأصوات من نمط واحد، مثلاً إذا قلت :
(عابد) بالفتحة، والألف تصعّداً واستعلاءً، وبالكسرة انحداراً وتسقلاً،
فيكون في الصوت بعض اختلاف، فإذا أملت الألف قربت من الياء
وامتزجت بالفتحة طرفاً من الكسرة، فتقارب الكسرة الواقعة بعد
الألف وتصير الأصوات من نمط واحد . فالتلازم بين الألف والفتحة
واضح هنا، وقد جعل أبو حيان الألف صوتاً رئيسياً والفتحة صوتاً ثانوياً
بقوله: ((إن ينحى بالفتحة التي قبل الألف نحو الياء، فالألف عنده قد
أميلت لأجل الكسرة التي بعدها، أمّا الحركة التي قبله فأنّها تمال بسبب

إمالة الألف، فالفتحة التي قبل الألف كانت بسببه ولمناسبتها فتغيّرت
لذلك بتغيّره)) (682).

والإمالة عند بعض المحدثين ظاهرة من ظواهر المماثلة، يقول:
((إنّ صوتاً من الأصوات في كلمة أو ما يشبه الكلمة أثر في صوت آخر
في نفس الكلمة، فجعل نطقه قريباً من نطقه)) (683).

المقابل للإمالة كما نعلم هو الفتح، وهو لغة أهل الحجاز كما أشرنا،
أشار أبو حيان إلى ذلك بقوله: ((وأصحاب الفتح المجازيون إلا في
مواضع قليلة)) (684). وعند إشارة د. أنيس لظاهرة الإمالة وانتشارها في
القبائل البدوية صرح قائلاً: ((ولم تتطور الإمالة في ألسنتهم إلى الفتح كما
حدث عند المجازيين)) (685)، ومعنى هذا أنّ الإمالة أسبق في القدم من
الفتح، والفتحة ظاهرة حديثة بالنسبة للإمالة. ولم تكن الإمالة لتنتشر بين
القبائل المحليّة على مستوى واحد، قال سيبويه: ((واعلم أنّه ليس كل من

682 ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 202.

683 علم اللغة العربية، ص 227.

684 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/238، وينظر: شرح الشافية: للرضي 4/3،

والبحر المحيط 1/59، والإتقان 1/315، دراسة في أصوات المد، ص 168،

685 في اللهجات العربية، ص 40.

أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه) (686).

ثانياً: الإمالة والقراءات

انعكس هذا الأثر اللهجي في قراءات القراء، فجنح بعضهم إلى الفتح، ومال آخرون إلى الإمالة، ولم تكن الإمالة سارية بينهم على مستوى واحد، فغرق من القراء من أفرط فيها كالكسائي وحمزة، في حين اعتدل فيها سواهم ((فأئمة القراءة الذين اشتهر عنهم الإمالة كوفيون، أي تأثروا بتلك القبائل التي أقامت بالعراق، أو تعودت النزوح إليه، وهي قبائل قريبة مساكنها من العراق، وعرفت لهجتها بالإمالة)) (687). فقد أمال حمزة والكسائي مثلاً كل ما كان من الأسماء من ذوات الياء نحو: موسى، عيسى، ويحيى، ومن الأفعال نحو: سعى، زكى، وسوى، وأمال أبو عمرو الكسائي ألف بعدها راء مجهورة هي لام الفعل نحو: (النار، القهار، دينار)، وأمال أيضاً فتحة الكاف من

686 الكتاب 4/125.

687 في اللهجات العربية، ص 61.

(الكافرين) إذا كان بعد الراء ياء حيث وقع. وأمال حمزة والكسائي (ياويلتي، يا حسرتي، ويا أسفي) (688).

وقد وردت أنواع أخرى للإمالة غير أنّها لم تنتشر كانتشار إمالة الفتحة نحو الكسرة، وإمالة الألف نحو الياء، وهذه الأنواع هي (689):

• إمالة الألف نحو الضمة، والتي تكون قبل ألف التفخيم نحو: الصلاة والزكاة.

• الكسرة المشوبة بالضمة، نحو: (قِيل، غُيَض، بُيع)، مما بُني للمجهول من الأفعال وهو ما يعرف عند اللغويين والقراء بالإشمام.

• الضمة المشوبة بالكسرة في أمثال: بوع، وقول.

ثالثاً: أسباب الإمالة عند أبي حيّان

حدّد أبو حيّان الإمالة في الكلمة الآتية ((وأسبابها الكسرة والياء وانقلاب الألف عن الياء أو ما لها إليها في حال، وتشبيهه بالألف المنقلبة

688 ينظر: حجة القراءات لابن زرعة، ص 217، التيسير في القراءات

السبع: للداني، ص 46-49، شرح المفصل 54/9، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: للدمياطي، ص 48.

689 الأصوات اللغوية، 39-40، وينظر: الكتاب 342/4، وسر صناعة الاعراب 59/1، وشرح التصريح، 294/1، وفي اللهجات العربية، 65-66.

عن الياء، وشبهه بالألف المشبه بالألف المنقلبة، وفرق بين الاسم والحرف، وكثرة الاستعمال، وأمال الإمالة⁽⁶⁹⁰⁾. ثم تبع ذلك بذكر الأسباب بالتفصيل كما سيأتي بيانها.

السبب الأول: الكسرة

ذكر أبو حيان أن أكثر اللغويين ذهبوا إلى أن الكسرة أقوى من الياء في هذا الباب، وكلما كثرت الكسرات كانت الإمالة أولى لقوة سببها، وكلما كانت الكسرة أقرب إلى الألف كانت الإمالة أولى، فكلمة (كتاب) أولى مثلاً من كلمة (جلباب)⁽⁶⁹¹⁾.

وقد ذهب أبو حيان إلى أن الكسرة من مقتضيات الإمالة، وقد فصل الحديث فيها ومثل لها بـ (عماد)، فقد أميلت فتحة الميم إلى الكسرة لإمالة الألف، فكأنها من الألف، وكذلك لو فصلت بين الكسرة والألف بحرفين أو لهما ساكن نحو (شمال، وسربال) لا يعتد ولا يحفل بالحرف الساكن، فهو ليس حاجزاً قوياً، فصار مثل : (عماد، وجبال، وشمال، وكتاب)، وكلما كانت الكسرة أقرب إلى الألف كانت

690 ارتشاف الضرب من لسان العرب 238/1، وينظر: الكتاب 259/2-262، وشرح

المفصل 55/9، همع الهوامع 200/2، وحاشية الصبان 221/4.

691 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 238/1.

الإمالة ألزم، فإن كان الفاصل بينهما حرفين متحركين نحو: (أَكَلْتُ عِنَبًا وَفَتَلْتُ قِنَبًا) فلا إمالة⁽⁶⁹²⁾.

وتمال الألف أيضًا إذا وليها حرف مكسور نحو قولك: (عَالِمٌ وَعَابِدٌ وَمَسَاجِدٌ). ونقل أبو حيان قول الفارسي فقال: ((وقال الفارسي : فاعل إن سلم من حرف استعلاء وراء ميل نحو: عَابِدٌ))⁽⁶⁹³⁾ ؛ وذلك لأن الصوت يستعلي عند النطق بحرف الاستعلاء إلى أعلى الحنك، والإمالة تسفل، فكان بينهما تنافٍ. قال أبو حيان: ((وإن تقدّم حرف استعلاء ووليته الألف غلبت الكسرة ومنعت الإمالة نحو: (قَاعِدٌ، وَغَائِبٌ، وَخَامِلٌ، وَصَاعِدٌ، وَضَامِنٌ، وَطَائِفٌ، وَظَالِمٌ))⁽⁶⁹⁴⁾، وتمنع الإمالة إذا ولي الألف حرف استعلاء متصل نحو: (نَاقِدٌ، وَعَاطِسٌ، وَغَاضِبٌ، وَبَاطِلٌ، وَلاَعِبٌ، وَخَاطِلٌ)، أو بينهما حرف، نحو: (نَافِعٌ، وَنَافِقٌ، وَسَامِطٌ، وَنَاهِضٌ، وَوَاعِظٌ، وَدَاحِضٌ) غلب المستعلي الكسرة ولا

692 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 238/1.

693 نفسه 240/1، والحروف المستعلية هي: (الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والعين والحاء). ومعنى الاستعلاء أن تصعد إلى الحنك الأعلى إلا أربعة منها تستعلي بإطباق، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، فعنى الإطباق هو أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى فينطبق على ما حاذاه في ذلك، وثلاثة منها مستعلية من غير إطباق وهي: العين والحاء واقاف، وهذه الحروف منفتحة الخارج لذلك وجب الفتح معها ورفضت الإمالة.

694 ارتشاف الضرب من لسان العرب 239/1.

يميلها أحد إلا من لا يؤخذ بلغته⁽⁶⁹⁵⁾، وإذا كان الفصل بين الحرف المستعلي بحرفين، فقد غلب أبو حيان النصب. ونقل عن سيبويه أن قوماً أملوا حين تراخت هذه الحروف عن الألف، نحو: (مناشيط، ومغاليظ، ومعاريض، ومواعيظ، ومباليغ، ومنايخ، ومساليخ)، أشار أبو حيان إلى أن المبرد منع الإمالة في (مناشيط) وأخواتها⁽⁶⁹⁶⁾.

ويذكر أبو حيان أنه إذا فصل بين الألف وحرف الاستعلاء بثلاثة حروف أو أربعة فالإمالة، وبعض العرب غلبت الحرف فنصبت، نحو قولك: (يريد أن يضربها بسوط، وأن يضربها بسملق)⁽⁶⁹⁷⁾.

قال أبو حيان: ((فإن تقدّم حرف الاستعلاء مكسوراً نحو: (صِعب، وغلّال وخِبات، وقِفّاف، وضِباب، و طِعان، وظِلام) مصدر للبالغة، أو ساكناً نحو: (مِصباح، ومِطعان، ومِضْراب، ومِقلّة) جازت الإمالة، وبعض العرب جعل حرف الاستعلاء غالباً))⁽⁶⁹⁸⁾. فإجازة الإمالة في (صِعب) وأخواتها؛ لأنّ الحرف المستعلي الذي تقدّم

695 ارتشاف الضرب من لسان العرب 238/1.

696 ارتشاف الضرب من لسان العرب 238-239، وينظر: الكتاب 129/4-130،

والمقتضب 47/3، شرح المفصل 60/9، والمطالع السعيدة في شرح الفريدة:

للسيوطي 326/2.

697 ارتشاف الضرب من لسان العرب 239/1.

698 ارتشاف الضرب من لسان العرب 239/1.

جاء مكسوراً فحدث تسفل نتيجة الكسر يلائم الإمالة لأنها حالة تسفل أيضاً، أمّا كون الحرف المستعلي ساكناً فلا يعتد به لسكونه، فصارت الكسرة كأنّها فيه، فجازت الإمالة. وذهب بعضهم إلى منع الإمالة وأجرى على الساكن حكم المفتوح بعده فمنعه من الإمالة.

والراء غير المكسورة إذا وليت الألف منعت منع المستعلية نحو قولك: (هذا رَاشِدٌ، وهذا حمارُك، ورأيت حمارُك)، قال أبو حيّان: ((أو تلي الألف مفتوحة نحو: رأيت حماراً، أو مضمومة نحو: هذا حمارٌ، فلو كان بينهما حرف نحو (هذا كافر)، أو حرفان نحو: (هذه دنانير)، وكذلك عند بعضهم وبعض العرب لا يلتفت إلى الراء فيميل))⁽⁶⁹⁹⁾. والراء عند أبي حيّان وعند علماء اللغة حرف تكرر يخرج متضاعفاً عند النطق به وفي مخرجه نوع من الارتفاع إلى ظهر اللسان، فإذا كان مفتوحاً أو مضموماً منعت إمالة الحرف، وأجروه مجرى المستعلي، لأنّ الناطق بالراء كأنّه يتكلّم براءين مفتوحتين، فقويت على نصب الألف وصارت بمنزلة حروف الاستعلاء، وإذا كانت الراء مكسورة فهي تقوي الإمالة أكثر من قوّة غيرها من الحروف المكسورة ؛ لأنّ الكسرة

699 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/240، وينظر: المطالع السعيدة 2/326، وجمع

الموامع 2/202.

تضعف، فهي من أسباب الإمالة. وإذا جاءت بعد الألف مكسورة أمالت الألف قبلها نحو قولك: (مررتُ بِجَمَارِكِ).

وقد فرق أبو حيان وعلماء اللغة بين وقوع الحرف المستعلي قبل الألف وبعده، فإذا وقع الحرف قبل الألف، نحو: طَارِدٌ وَغَارِمٌ، حُسِّنَتِ الإمالة لأجل الراء المكسورة ؛ لأنها كالحرفين المكسورين، فغلب الحرف المستعلي، ولأنَّ حرف الاستعلاء إذا كان قبل الألف كان أضعف في منع الإمالة ممَّا إذا كان بعده ؛ لأنه إذا تقدَّم كان الانحدار من عالٍ إلى سافلٍ، وذلك أسهل من العكس، ولقوَّة الراء المكسورة بتكريرها، وضعف حرف الاستعلاء إذا تقدَّم ساغت الإمالة معه، فلذلك تميل نحو : (قَادِرٌ وَغَارِبٌ)، ولا تميل نحو: (فَارِقٌ وَسَارِقٌ) ؛ وذلك لقوَّة المستعلي إذا تأخَّر، وضعفه إذا تقدَّم⁽⁷⁰⁰⁾.

ونقل أبو حيان قول الدَّهَّان في مواقع الراء في الإمالة ومنعها فقال: ((وفي الغرّة : للراء في هذا الباب مواقع خمسة ...))⁽⁷⁰¹⁾.

700 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/240-241، وينظر: شرح المفصل 9/61-62، والمطالع السعيدة 2/326 وجمع الهوامع 2/202.

701 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/241، وينظر: الكتاب 4/140، 138، شرح المفصل 9/62، والمطالع السعيدة 2/326، حاشية الصبان 4/227-228.

السبب الثاني: الياء

قال أبو حيّان : ((ذكر سيبويه أنّ أهل الحجاز وكثير من العرب لا يميلون الياء، وأنّ أهل الحجاز يميلون الكسرة))⁽⁷⁰²⁾. وقد ذكر أبو حيّان أنّ الألف تمال لأجل الياء إذا كانت متأخرة عن الياء متّصلة بها، نحو: (سيّال، وضياّح، وبيّاع)، ((وهي في المشدّدة أقوى منها في المخفّفة))⁽⁷⁰³⁾. ومع المنفصلة عنها بحرف نحو: (شيبان، والحيوان، ورأيت يداً "في الوقف")، والإمالة مع الساكنة أقوى منها مع المتحرّكة. أو حرفين ثانيهما ياء بشرط فتح ما قبلها نحو: (بينها، ورأيت يدها)، أمالوا (بينها) كما أمالوا (لن ينزعها)،

وصرّح أبو حيّان بأنّ الياء وإن كانت تعدّ من أقوى أسباب الإمالة، إلّا أنّ القراء لم يأخذوا بها إلّا في قراءة ورش، نحو: (الخيرات، وحيّان)⁽⁷⁰⁴⁾ بالإمالة، وإلّا في قراءة قتيبة (المال)⁽⁷⁰⁵⁾.

702 ارتشاف الضرب من لسان العرب 341/1، وينظر: الكتاب 117/4-118.

703 ارتشاف الضرب من لسان العرب 342/1.

704 ﴿حَيْرَانَ لَهُ﴾ الأنعام/76، ﴿الخيرات﴾، المؤمنون/56.

705 ينظر: ارتشاف الضرب من ي الاس*م لسان العرب 42/1، وينظر: همع الهوامع

201/2، حيث نقل السيوطي كلام أبي حيّان الذي ذكرناه. ﴿وَأَتَى الْمَالَ﴾ البقرة/177.

السبب الثالث: انقلاب الألف عن الياء

علّق أبو حيّان على انقلاب الألف عن الياء فقال: ((هو سبب تقديري ليس في قوّة الكسرة والياء، وذلك نحو: (فتى، ورمى، ومرمى)، وسواء في ذلك الاسم والفعل، وما كانت منقلبة عن ياء أصلية أو غيرها نحو: (ملهى، وأعطى)، ومن العرب من لا يميل ما انقلبت فيه الألف عن الياء))⁽⁷⁰⁶⁾. وقال ابن يعيش عن الألف المتطرّفة: ((فلا تخلو من أن تكون منقلبة عن واو أو ياء، فإن كانت منقلبة عن ياء من ياء في اسم أفعل، فإمالتها حسنة، وذلك قولك في الفعل (رمى، وقضى، وسعى)، وفي الاسم نحو: (فتى، ورحى) حسنة، وذلك قولك في الفعل (رمى، وقضى، وسعى) وفي الاسم نحو (فتى، ورحى)؛ لأنّ اللام هي التي يوقف عليها، وإن كانت من الواو فإن كان فعلاً جازت الإمالة فيه على قبح، نحو قولك: (غزا، ودعا)؛ لأنّ البناء قد ينتقل بالهمزة إلى (أفعل) فيصير واوه ياء؛ لأنّ الواو إذا وقعت رابعة صارت ياء، نحو: أغزيت، وأدعيت، فتقول أغزي، وأدعي بالإمالة))⁽⁷⁰⁷⁾. وقد يبنى الفعل للمفعول فيؤول إلى ياء نحو: غزا، فتقول: (غُزي، وفي دعا: دُعي) فتخيّلوا ما هو موجود في الحكم موجوداً في اللفظ. جاء في شرح المفصل:

706 ارتشاف الضرب من لسان العرب 342/1.

707 شرح المفصل 57/1.

((فإن كان اسماً نحو: (عصا، وقفاء، ورخا) لم تُمل ألفه؛ لأنها لا تنتقل انتقال الأفعال لأن الأفعال تكون على (فعل وأفعل واستفعل وفعل)، والأسماء لا تتصرف هذا التصرف فلا يكون فيها إمالة، هذا إذا كانت (ثالثة))⁽⁷⁰⁸⁾. وقال أبو حيان: ((وظاهر مذهب سيبويه أنه يستوي في الثلاثي بين بنات الواو وبنات الياء فيخير الإمالة، وفرق غيره كالفارسي فطردوا الإمالة في الفعل نحو: غزا، وجعلوها شاذة في الاسم نحو: القطا))⁽⁷⁰⁹⁾.

وقد نقل السيوطي عن أبي حيان قال: ((إنما غرّ النحويين في ذلك والله أعلم ما حكى من أن القراء السبعة اتفقت فيما كان على ثلاثة أحرف من الاسم وألفه منقلبة عن واو على الفتح، والقراءات سنة متبعة، وقد يتفقون على الجائز، ولا يقدح اتفاقهم إذا سلم في نقل سيبويه، انتهى))⁽⁷¹⁰⁾.

وتمال الألف إذا كانت بدلاً من عين فعل تكسر فاؤه حين يسند إلى تاء الضمير سواء كانت تلك الألف عن واو مكسورة نحو: (خاف،

708 شرح المفصل 57/1.

709 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/242-243، وينظر: الكتاب 4/117-117، والإيضاح العضدي 2/223، وجمع الهوامع 2/200، والمطالع السعيدة 2/324، وحاشية الصبان 221-222.

710 جمع الهوامع 2/201.

وكاد) أم عن ياء نحو: (باع، ودان)، فتقول فيها: (خفت، وكدت، وبعث، ودنت) فيكون اللفظ على وزن (فلت) والأصل فيه (فعلت) فحذفت عين الفعل وحركت الفاء بحركتها، فإن كانت الألف عن واو مضمومة نحو: (طال)، أو مفتوحة نحو: (قال) لم تُمل. قال أبو حيّان: ((وعامّتهم - يريد أهل الحجاز - فرق بين ذوات الواو نحو: (خاف) فلم يمل، وبين ذوات الياء نحو: (طاب، أهاب) فأمال. وبعض النحاة يعبرون عن هذه الإمالة لكسرة تعرض في بعض الأحوال))⁽⁷¹¹⁾، فإنّ الألف المتوسطة إذا كانت منقلبة عن ياء ساغت فيها الإمالة في الفعل والاسم فتقول في الفعل نحو: (بات، وهاب، وصار)، وفي الاسم نحو: (ثاب، وغاب)، وإن كانت الألف منقلبة عن الواو في الفعل منعت الإمالة في (قام، وقال، ومات، وطال) ؛ لأنّه لا ياء فيه ولا كسرة تعرض له. وتمال الألف إذا كانت صائرة إلى ياء نحو: (ملهى، ومغزى)، وفي كلّ متطرقة رابعة نحو: (حبلى، وسكرى) ومع ألف التأنيث المقصورة ؛ لأنها تؤول في التثنية والجمع إلى ياء، فاشتبهت الألف المنقلبة عن الياء. قال أبو حيّان: ((ومال الألف إلى ياء في حال ما

711 ارتشاف الضرب من لسان العرب 243/1.

أجرى مجرى ما انقلبت فيه الألف عن الياء نحو: (حُبلى)، فإنّها تؤول إلى الياء في حالة التثنية والجمع فتقول: (حُبليان وحبليات) ((⁷¹²).

السبب الرابع: تشبيه الألف بالألف المنقلبة عن الياء

قال أبو حيّان: ((تشبيه الألف بالألف المنقلبة عن الياء، ومن ذلك (فَعَلَى)، وتكون الألف فيه للإلحاق نحو: (علقى)، والتأنيث نحو: (رَضَوِي) هذا في الاسم، وفي الصفة: (سَكْرِي، وَفَعْلِي) يكون فيه للإلحاق نحو: (ذِفْرِي)، وللتأنيث نحو: (ذِكْرِي)، ولا يوجد في الصفات إلّا ما رواه أحمد بن يحيى⁽⁷¹³⁾ من قولهم: (رجل كَيْصًا، مَنْوَنًا، وَفُعْلِي)، ولا يكون ألفه إلّا للتأنيث وتكون اسمًا نحو: (بُهْمِي)، وصفة نحو: (حُبْلِي، وَفُعَالِي)، وألفه للتأنيث، ويكون اسمًا نحو: (حُبَارِي) وصفة جمع تكسير نحو: (سُكَارِي)) ((⁷¹⁴).

فبين أبو حيّان الإمالة في صيغ هي: (فُعَلَى، وَفُعْلِي، وَفُعْلَى، وَفُعَالِي)، وحدّد سبب الإمالة في تشبيه الألف في هذه الصي التي تكون أمّا للإلحاق أو للتأنيث بالألف المنقلبة عن الياء فأمال الفتحة التي قبلها،

712 نفسه 242/1، وينظر: شرح المفصل 57/9-58.

713 هو ثعلب.

714 ارتشاف الضرب من لسان العرب 243/1.

وهذا يكون في الاسم والصفة من هذه الصيغ ماعدا صيغة (فعلى) فلا يوجد في الصفات إلا ما رواه ثعلب.

السبب الخامس: هاء التأنيث المشبهة بالألف المنقلبة

نقل أبو حيان قول سيبويه فقال: ((قال سيبويه : سمعنا العرب تقول: (ضَرَبْتُ ضَرْبَهُ، وَأَخَذْتُ أَخْذَهُ) شبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف))⁽⁷¹⁵⁾، فإمالة حصلت لأنّ الهاء شَبَّهت بالألف المشبهة بالألف المنقلبة، فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف. وعلق أبو حيان على قول سيبويه بأنّه لم يبيّن بأيّ الألف أشبهت هاء التأنيث، وقال: ((الظاهر أنّها شَبَّهت بألف التأنيث))⁽⁷¹⁶⁾. كما صرح أبو حيان بأنّ الألف لا تمال إذا وقعت قبل هاء التأنيث سواءً أكانت الهاء للمبالغة أم لغيرها، فإن كانت هاء سكت نحو: (كتابه) فمنهم من جوز الإمالة فيما قبلها وهما ثعلب وابن الأنباري، والصحيح المنع⁽⁷¹⁷⁾.

715 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/244، وينظر: الكتاب 4/140.

716 نفسه.

717 ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/244، وينظر: الكتاب 4/140.

السبب السادس: الفرق بين الاسم والحرف

فقد عدّ أبو حيان هذا السبب للإمالة من الأسباب الشاذة، وفرّق بين ما يكون حرفاً وبين ما يكون اسماً لكي يحكم عليه بإمالة أو عدمها. ونقل قول سيبويه فقال: ((قال سيبويه وقالوا (با وتا) يعني بإمالة؛ لأنّها أسماء ما يلفظ به فليست كـ (إلى، وما، ولا) وغيرها من الحروف المبنية على السكون، إنّما جاءت كسائر الأسماء وحروف التهجي التي في أوائل السور، إن كان في آخرها ألف فمنهم من يفتح ومنهم من يميل، فإن كان في وسطها ألف نحو: كاف، وصاد، فلا خلاف في الفتح))⁽⁷¹⁸⁾.

فالحرف بخلاف الاسم، لا يستقل بالدلالة بنفسه، بل يحتاج إلى من يوضحه، فلذلك لا يُمال ما لم يستقلّ في الدلالة، فـ (باء وتاء) عدّت أسماء لما يلفظ به، لذلك فهي استقلّت بالدلالة بنفسها دون ما يوضحها، لذلك جاوت الإمالة فيها.

أمّا حروف التهجي التي وردت في أوائل السور، بخلاف حولها إن كان في آخرها ألف فمنهم من يفتح ومنهم من يميل، ولم يرحّج أبو

718 ارتشاف الضرب من لسان العرب 244/1، وينظر: الكتاب 135/4.

حيّان أيّ منهما، أمّا إذا كان الألف في وسطها نحو: (كاف وصاد) فلا خلاف في الفتح.

السبب السابع: كثرة الاستعمال

تحدّث أبو حيّان عن الإمالة لكثرة الاستعمال فقال: ((وذلك إمالتهم (الحجّاج) علّماً، وذلك في الرفع والنصب، وكذلك (العجاج) في الرفع والنصب نصّ عليه المهابذي وصاحب البديع، وإمالتهم (الناس) في الرفع والنصب، ورويت الإمالة فيه مطلقاً عن أبي عمر (والكسائي))⁽⁷¹⁹⁾. فحملت الإمالة هنا لكثرة الاستعمال في كلام العرب وإلا فالقياس فيه الفتح. وقيد أبو حيّان الإمالة في الاسم العلم للفرق بين المعرفة النكرة والاسم والصفة.

السبب الثامن: الإمالة للإمالة

تكلم أبو حيّان عن الإمالة للإمالة، التي يسمّيها بعضهم مجاورة الممال، ونقل قول سيبويه: (رأينا عمادا)، فأمالوا للإمالة كما أمالوا الكسرة، قال: وقالوا (مِعْزانا) في قول من قال عمادا فأمالها جميعاً، وهذا

719 ارتشاف الضرب من لسان العرب 244/1-245.

قياس⁽⁷²⁰⁾. والإمالة لأجل الناسب صورتان: إحداهما أن تُمال لمجاورة ألف مماله كإمالة الألف الثانية في قولك : (رأيت عمادا)، فإنّها لمناسبة الألف الأولى، فهي مماله لأجل الكسرة، والأخرى تُمال لكونها آخر مجاور ما أميل آخره كإمالة ألف (تلا) من قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا﴾ القمر/ الآية 2. فإنّها إنّما أميلت لمناسبة ما بعدها ممّا ألفه عن ياء في قوله : (جلاها)، وقوله : (يغشاها)، لقولك: (جليته)، وقولك في التثنية: (يغشيان)، فأرادوا المشاكلة. وقال أبو حيّان: ((وقد نتقدّم الإمالة على الذي أميل لأجلها، وقد تتأخّر كإمالة تاء (اليتامى)، وسين (أسارى، وكسالى)، وكاف (سكارى)، وصاد (النصارى) لإمالة ما بعدها، وقد قرأ بذلك بعض القراء))⁽⁷²¹⁾.

وتحدّث أبو حيّان عن المجاورة فقال : ((وقد تبعد المجاورة وتفصل كما أمالوا ﴿وَالضُّحَى﴾ الضحى / الآية 1، لإمالة ﴿ما قلى﴾ الضحى / الآية 3.))⁽⁷²²⁾.

720 نفسه 245/1، وينظر: الكتاب 123/4، وشرح المفصل 64/9، والمطالع السعيدة

372/2، وجمع الهوامع 203/2.

721 ارتشاف الضرب من لسان العرب 245/1.

722 نفسه.

فمع بعد المجاورة بين (الضحى) و(ما قلى) في الآيات الكريمة
أمال (الضحى) لأجل إمالي (ما قلى).

المبحث الثالث

التوافق الحركي

أولاً: الإتياع في الحركة

قال أبو حيّان⁽⁷²³⁾: ((عصى: قالوا أصله : عصوو، ويتبع حركة العين حركة الصاد. قال الشاعر⁽⁷²⁴⁾:

إلا تكن إبلٌ فِعْزَى كأنّ قرون جَلَّتْها العَصِيُّ))

وظاهرة الإتياع هذه هي مماثلة لحركة أخرى مُمَّاثِلَةٌ تامة، فبعض اللهجات العربية كانت تعرف هذه الظاهرة، وهي لغة ربيعة، وقوم من كل، وتميم. وقد أجاد علماء العربية في تعليل الظاهرة بربطها بالتماثل الصوتي في انسجام الصوائت. قال سيبويه: ((إنّهم أثْبَعُوا الجَرَّ الجَرَّ، كما أثْبَعُوا الكسَرَ الكسَرَ، نحو قولهم: بِهِمْ وَبِدَارِهِمْ))⁽⁷²⁵⁾.

ويطلق اللغويون المحدثون على هذه الظاهرة مصطلح (التوافق الحركي)، والمقصود بهذه الظاهرة تأثير حركة أساسية على الحركات التالية

723 البحر المحيط 1/218.

724 هو امرؤ القيس، والبيت في ديوانه، ص 136.

725 الكتاب 1/436.

للوحدات الصرفية المقيدة⁽⁷²⁶⁾. قال سيبويه: ((وأعلم أن قوماً من ربيعة يقولون: (منهم) (بكسر الميم والهاء والميم) أتبعوها الكسرة ولم يكن المسكن حاجزاً عندهم، وهذه لغة رديئة، إذا فصلت بين الهاء والكسرة فالزم الأصل))⁽⁷²⁷⁾. فهذه الظاهرة الصوتية في الإتيان الحركي وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة. وقد جاء في معاني القرآن للأخفش: ((أنه سمع من بكرين وائل (أحلامكم))⁽⁷²⁸⁾، وقالوا في (عليكم ويكم) : (عليكم ويكم)، وأطلق الخليل على هذه الظاهرة (الإضجاع)⁽⁷²⁹⁾. كما عرفت ظاهرة الوكم في العربية في كسر الكاف من ضمير المخاطبين المتصل (ك) إذا سبق بكسرة أو ياء، فيقولون : (بكم في بكم، وعليكم في عليكم). فقد تأثرت ضمة الكاف بالكسرة التي قبلها لإحداث الانسجام بين الباء والكاف. كما عرفت ظاهرة الوهم في ربيعة وكتب، فيقولون : (منهم وعنهم) وإن لم يكن قبل الهاء ياء أو كسرة، فهي من قبيل التضجّع. والكسرة هنا كالإمالة في الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها،

726 ينظر: اللغة العربية عبر القرون: محمود فهمي حجازي، ص41، وعلم اللغة

العربية، ص288-289.

727 الكتاب 109/4.

728 معاني القرآن للأخفش 28/1. وينظر: الاقتراح في علم أصول النحو: للسيوطي، ص

128.

729 العن (مادة : ضجع 212/1) والإضجاع في القوافي أن تميلها، والإضجاع في باب

الحركات مثل الإمالة والخفض.

نحو: (كلاب وعابد)، وقولك: (مررت بهي، ولديّ مال، ومررتُ بِدارِهي). قال سييويه: ((فكما أمالوا الألف في مواضع استخفافاً، كذلك كسروا هذه الهاء))⁽⁷³⁰⁾.

قال د. الحجازي: ((ويبدو أنّ التوافق الحركي كان من خصائص لهجة تميم، وهو ما نجده في الفصحى، بينما كانت لهجة الحجاز بعيدة عن التوافق الحركي، ولكن بعض اللهجات مضت في التوافق الحركي شوطاً أبعد مما تعرفه اللغة الفصحى))⁽⁷³¹⁾.

وقد أدرك علماء العربية أثر التماثل في الصوائت في بناء الكلمة وتطورها، وفي الوقت نفسه يكشف عن أنّ التماثل لا يقتصر على البنية الظاهرة، وإنما يرتبط أيضاً بالبنية العميقة في الذهن، وتكفل التحويلات بإيراد الصيغة المطلوبة. فالكتب العربية تقدّم لنا (فَعِيل) بفتح الفاء، و (فَعِيل) بكسر الفاء لعدد كبير من المفردات، وصيغة (فَعِيل) تمثل صورة من صور الإتياع الحركي، فالكسرة الطويلة بعد العين جلبت كسرة سابقة على العين عند أهل تميم، كما نجد وزن (فَعِل) نحو: (لَعِب،

730 الكتاب 4/109، وينظر: فصول في فقه العربية، ص 123، 152-153، قال د. رمضان عبد التواب: ((بشرط أن تسبق هذه المائر جميعها بكسرة طويلة أو قصيرة أو ياء)).

731 علم اللغة العربية، ص 230.

وضَحِك)، يقابل هذا في لهجة تميم، كسر الفاء وكسر العين⁽⁷³²⁾، وهو نوع من الإلتباع الحركي.

ثانياً: الاختلاس والروم والإشمام

الاختلاس عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعاً يحكم السامع به أن الحركة قد ذهبت، وهي كاملة في الوزن، تامة في الحقيقة، فهي لم تمطط، ولا ترسل بها، فيخفي إشباعها ولم يتبين تحقيقها. قال أبو حيّان⁽⁷³³⁾ : ((قال الكسائي: سمعت أعراب كلاب وعقيل يقولون: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} العاديات/الآية 6، ولربه لكنود - بغير إتمام - وله مال : وله مال، ونمير بني كلاب وبني عقيل لا يوجد في كلامهم اختلاس ولا سكون في (له) وشبهه إلا في ضرورة، نحو قول الشاعر:

لَهُ زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ إِذَا طَلَبَ الْوَسِيقَةَ أَوْ زَمِيرُ

وقول الآخر:

واشرب الماء مابي نحوه إِلَّا أَنْ عِيُونَهُ سِيلَ وادِهَا

732 ينظر: اللع لابن جني، ص373، والأصول في النحو: ابن السراج 160/3، في اللهجات العربية ص116، علم اللغة العربية، ص231، دراسة في أصوات المد، ص185-190.

733 البحر المحيط 71/3.

فالصوت المختلس يضعف لأنه يسكن آخرًا، فهو تقصير يلحق بالحركة، ولكنه غير محدد بمقدار، فيرى من سمعه أنه قد أسكن ولم يكن يسكن.

ومن شواهد الاختلاس في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَّ ﴾ الفجر/ الآية 4، وخرج الاختلاس هنا للمناسبة، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ الكهف/ الآية 64، وقد خرج للسرعة في النطق، وقوله تعالى: ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ الرعد/ الآية 9، لمناسبة الفاصلة، فالياء قد اختلست في كل هذا وأضعفت حتى لم يبق منها سوى الكسرة التي قبلها، ولذا عبر ابن جني عن ذلك بالحذف⁽⁷³⁴⁾، ووصفه بأنه كثير في الكسرة⁽⁷³⁵⁾.

ومن اختلاس الواو وإضعافها قوله تعالى: ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ الشورى/ الآية 24، والاختلاس هنا لالتقاء الساكنين (فالواو ساكنة مع اللام الساكنة في لفظ الجلالة)، وقوله تعالى: ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ العلق/ الآية 18، وذلك لالتقاء الساكنين مع ما فيها من السرعة في الدعوة . وقد حذفت الألف كما حذفت الواو والياء، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ يوسف/ الآية 4، والأصل: (يا أبتاه) لحذف الألف .

734 الخصائص 2/292.

735 نفسه 3/143، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 207-

208.

وقد علّل علماء العربية إضعاف حرف اللين وحذفه بأنّه كان للتخفيف والميل إلى السرعة في النطق. وقد علّل المطليبي الاختلاس من أنّه : ((يمثّل مرحلة سابقة لمرحلة حذف صوت المدّ في هذه الحالة . وظاهرة التخفيف أو حذف صوت المدّ معزّوة إلى تميم وكثير من أهل نجد)) (736) .

وقد أدّى عند التميميين وأهل نجد إلى سقوط الحركة سقوطاً تامّاً، إذ ورد أنّ اختلاس أصوات المدّ مذهب أبو عمرو بن العلاء. ومن ذلك أنّه قرأ بالفتحة المختلسة في الهاء والحاء من قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ لَا يَهْدِي ﴾ (737) يونس/الآية 35، ﴿ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ (738) يس/ الآية 49، وبالكسرة المختلسة في قوله تعالى : ﴿ إِلَى

736 دراسة في أصوات المدّ العربية، ص 173

737 قرأت باختلاس حركة الهاء عن أبي عمرو، قالون، ابن حجاز، اليزيدي، ينظر: معجم القراءات 74/3.

738 قرأت باختلاس فتحة الحاء عن أبي عمرو، قالون، الدوري، السوسي، ينظر: معجم القراءات 211/5.

بَارِئُكُمْ ﴿٧٣٩﴾ البقرة/الآية 54، وفي قوله: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا﴾ فصلت/الآية 29، وقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ ﴿٧٤٠﴾

البقرة/الآية 260، حيث وقعتا. وبالضمة المختلصة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ ﴿٧٤١﴾ البقرة/الآية 67، وقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا﴾ ﴿٧٤٢﴾ الأنعام/الآية 109 بحذف صوت المدّ حذفاً تاماً ﴿٧٤٣﴾.

والاختلاس في حقيقته أعمّ من كونه يتناول الحركات الثلاث ولا يختصّ بواحدة، والثابت من الحركة أكثر من المحذوف؛ وذلك أنك تأتي بثلاثها كأنك الذي تحذفه أقلّ ممّا تأتي به، وهذا لا تحكمه إلاّ المشافهة. وقد وزن علماء العربية بين الحركة المختلصة والحركة المرامّة، فالاختلاس والروم يشتركان في التبعيض، وبينهما عموم وخصوص، فالروم أخصّ من كونه لا يكون في الفتح والنصب، ويكون الوقف

739 قرأت باختلاس الكسرة عن أبي عمرو، سيبويه، هارون الدوري، ينظر: معجم القراءات 56/1.

740 قرأت باختلاس الكسرة في الراء عن أبي عمرو، والدوري، ينظر: معجم القراءات 202/1.

741 قرأت باختلاس الضمة في الراء عن أبي عمرو، ينظر: معجم القراءات 68/1، والبحر المحيط 249/1.

742 قرأت باختلاس الضمة في الراء عن أبي عمرو، والدوري، ينظر: معجم القراءات 308/2.

743 دراسة في أصوات المدّ العربية، ص 173.

دون الوصل، والثابت من الحركة أقلّ من المحذوف. وقد علّق أبو حيّان فقال: ((ويحتاج في المفتوح والمنصوب إلى رياضة لخفة الفتحة وتناول اللسان بها بسرعة))⁽⁷⁴⁴⁾.

وفرق علماء العربية بين الروم والإشمام، فالروم أتمّ من الإشمام؛ لأنه تضعيف الصّوت بالحركة حتى يذهب بعضها فيسمع لها صوت خفي يدركه الأعمى بسمعه، ويستعمل عند الجمهور في الحركات الثلاث، إلّا أنّ عادة القراء أنّ لا يراموا المنصوب ولا المفتوح لخفتها وسرعة ظهورهما إذا حاول انسان الإتيان ببعضهما فيبدو الإشباع لذلك. وأمّا الإشمام فلرؤية العين لا غير، إذ هو إيماء بالشفيتين إلى الحركة بعد إخلاص السكون للحروف، فلا يقرع السمع، ولذلك لا يعرفه إلّا المبصر، ويستعمل فيما يعالج بالشفيتين من الحركات، وهو الرفع والضمّ لا غير⁽⁷⁴⁵⁾.

فالإشمام هو عبارة عن ضمّ الشفتين، قال أبو حيّان: ((هو إشارة بضمّ الشفتين إلى الحركة المحذوفة من غير صوت، ويدركه البصير لا الأعمى))⁽⁷⁴⁶⁾. وجمهور القراء لا يرون جوازه في غير المرفوع، وما نقل

744 ارتشاف الضرب من لسان العرب 397/1.

745 ينظر: الكشف 122/1، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 509-510.

746 ارتشاف الضرب من لسان العرب 397/1.

عن بعض القراء من جوازه في المجرور يحمل على الروم⁽⁷⁴⁷⁾. وقد أكد د. رمضان عبد التواب إلى أن هذه الحركات الطويلة تقصر في النطق لا في الكتابة، وأضاف قائلاً: ((وإن كانت هذه القاعدة الكلاسيكية قد شذت عنها مواضع في كتابة المصحف العثماني نظراً إلى أن قواعد الكتابة لم تكن قد استقرت بعد ذلك في العصر المبكر، فكتب كتاب المصحف بعض الكلمات القرآنية حسب النطق بها في الوصل لا في الوقف))⁽⁷⁴⁸⁾.

فقد كانت العلة عند ابن جني لأنه كان يوقف عليها بتقصير الحركات، وهي عند ابن خالويه من بنائهم الخط على الوصل⁽⁷⁴⁹⁾. ويذهب الزركسي في تعليل ذلك مذهباً حين يقول أن الواو ((قد سقطت من أربعة أفعال تنبيهاً على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود، أولها: (سندع الزبانية)، فيه سرعة الفعل، وإجابة الزبانية، وقوة البطش...، وثانيها:

747 ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 510، وفصول في فقه العربية، ص 178-179.

748 فصول في فقه العربية، ص 178، وينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه، ص 141.

749 الاختصاص 134/3، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص 141. كما سقطت الياء من ﴿ وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً ﴾ النساء/146، و﴿ كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين ﴾ يونس/103.

(ويصحُّ الله الباطل)، حذفت منه الواو علامة على سرعة المحو، وقبول الباطل له بسرعة...، وثالثها: (ويدعُّ الإنسان بالشرِّ)، حذف الواو يدلُّ على أنَّه سهل عليه ويسارع فيه كما يعمل في الخير، وإتيان الشرِّ إليه من جهة ذاته، أقرب إليه من الخير...، ورابعها: (يدعُّ الداع)، حذفت الواو لسهولة الدعاء وسرعة الإجابة) (750).

وقد استشهد النحاة بقول الشاعر (751):

محمد تفدِ نفسك كلُّ نفسٍ إذا ما خفت من شيءٍ تبالا

فالفعل عندهم مجزوم بلام الأمر المقدرة التي يجوز حذفها في الشعرو تعمل مضمرة، وشبَّهت بـ (أنَّ) إذا عملت مضمرة . فإذا اضطر الشاعر إلى إضمار هذه اللام أضمرها.

ثالثاً: حذف الحركة (إسكان عين الكلمة والتسكين في حركة الإعراب) كانت الحجاز وما جاورها من هذيل وبطون قيس لا تحذف الحركات القصيرة، وأمّا تميم وبكر بن وائل وقبائل ربيعة وأكثرها قبائل أسد وعامة قبائل قيس المتاخمة لتميم، فإنَّها كانت جميعاً تنجح إلى حذف

750 البرهان في علوم القرآن: للزركشي 397/1، وينظر: الإتيان 168/2.

751 ينظر: الكتاب 408/1، والمقتضب 123/2، ومعاني القرآن للفراء 142/2، وخزانة

الأدب: للبغدادى 65-62/1.

الحركات القصيرة، طلباً للتخفيف⁽⁷⁵²⁾. قال أبو حيّان : ((قرأ أبو السمال بسكون العين في قوله تعالى: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ المائدة/الآية 64، كما قالوا في : (عَصَرَ: عَصَرَ).

وقال الشاعر⁽⁷⁵³⁾ : لَوْ عَصَرَ مِنْهُ الْبَانُ وَالْمَسْكُ انْعَصَرَ

ويحسن هذه القراءة أنّها كسرة بين ضمتين، فحسن التخفيف⁽⁷⁵⁴⁾. وهذا الضرب - أي تفرّغ (فُعِلَ) بضمّ الفاء وكسر العين إلى (فُعِلَ) بسكون العين - خاص بالفعل المبني للمجهول، ومن المعلوم أنّ الفعل الماضي يضم أوله ويكسر ما قبل آخره عند البناء للمجهول، ولكنه يحوّل إلى صيغة تفرّغية في لهجات تميم وبكر ابن وائل وتغلب، وهي صيغة (فُعِلَ) ويمكن أن يعلّل ذلك بأنّهم كرهوا في (فُعِلَ) الكسرة بعد الضمة فسكّنوا هذه الكسرة حتى لا ينتقل اللسان إلى الثقل⁽⁷⁵⁵⁾. وكانت ربيعة تقول: (الثلث) بإسكان اللام إلى (العشر)، وأهل الحجاز

752 قرأت بسكون العين عن أبو السمال، ينظر: معجم القراءات 227/2، البحر المحيط 523/3.

753 هو ابن النجم العجلي، ونسب إليه البيت في إصلاح المنطق لابن السكيت، ص 36، والإنصاف في مسائل الخلاف 124/1.

754 البحر المحيط 533/3.

755 اللهجات العربية في التراث 244/1، وشواهد أبي حيّان في تفسيره، ص 205-206 بعد هامش رقم (3).

يقولون (الثُلث) إلى (العُشر)، ومن العرب من يقول : (نِعَمَ الرَّجُلُ)، والأصل فيه نِعَمَ الرجل)، وخَفَّفَ بإسكان الكسرة، وفي (رُسُل، وعَضُد)، والأصل فيها (رُسُل، وعَضُد) فيسكنون عين الكلمة من غير أن ينظروا إلى الحركات⁽⁷⁵⁶⁾.

وقال أبو حيّان: ((قرأ الحسن والنخعي ومسلمة بن محارب والأعمش بتسكين زاي ﴿نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾⁽⁷⁵⁷⁾ آل عمران/الآية 198، وقال الشاعر⁽⁷⁵⁸⁾:

وَمَكَّا إِذَا الْجَبَّارُ بِالْجَيْشِ خَافَنَا جَعَلْنَا الْقَنَاءَ وَالْمُرْهَفَاتِ لَهُ نُزُلًا⁽⁷⁵⁹⁾

ونجد جموعة من الأوزان الاسميّة سكّنت بها عين الكلمة، منها وزن (فُعَل) تُصَيِّرُ إلى (فُعَل)، مثل كلمة (نُزَل) في الآية الكريمة التي وردت في نصّ أبي حيّان، و(عُنُق، ورُسُل)، ومنها وزن (فَعْل) إلى (فَعْل) نحو (عَضُد)، ووزن (فَعْل) نحو (قُع)، وفي وزن (فَعْل) نحو (إِبْل)،

756 ينظر: الأصول 480/2، والجامع لأحكام القرآن : للقرطبي 5/ 63-64، البحر المحيط 340/2، همع الهوامع 54/1.

757 قرأت بالسكون في الزاي عن الحسن، النخعي، العمش، مسلمة بن محارب، المطوعي، ينظر: معجم القراءات 100/2.

758 نسب البيت إلى أبي الشعراء الضبي في الكشف للزمخشري 491/1.

759 البحر المحيط 147/3.

وفي وزن (فَعِلُّ) نحو (كَتَفُ) ⁽⁷⁶⁰⁾. ونجد ظاهرة إسكان عين الكلمة في طائفة من أوزان الفعل، منها وزن (فَعِل) نحو:

(عَلَم)، ووزن (فَعَل) نحو (كَرَم، وظَرْف)، ووزن (فُعِل) بالبناء للجهول فصارت إلى (فُعَل) نحو (عُصِر)، وفي بناء (فَعَل) صارت إلى (فَعَل) نحو (سَلَف في سَلَف، ونَصَب في نَصَب) ⁽⁷⁶¹⁾.

وذكر أبو حيّان الإسكان في عين الكلمة في الأوزان الاسمية والأوزان الفعلية كما ذكرنا سابقاً، وقد ذكر غالب المطليبي تعليلاً لهذه الظاهرة هو: ((أنّ التخفيف يكون في هذه اللهجات إذا اجتمعت ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة، وهذا يعني أنّ هذه اللهجات لا تستسيغ اجتماع ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة معاً، فتتخيل على ذلك بأنّ تحوّلها إلى مقطعين: الأول منهما مقطع طويل مغلق، والثاني مقطع قصير مفتوح في أغلب الأحوال)) ⁽⁷⁶²⁾.

760 ينظر: الكتاب 115/4، والأصول 480/2، والمخصص 220/14، وتفسير القرطبي 24/2، والبحر المحيط 297/7، 284/3، 24/5، همع الهوامع 54/1، ولهجة تميم للمطليبي، ص152.

761 ينظر: الكتاب 115/4، والأصول 480/2، والمخصص 220/14، وشرح الشافية 345/2، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص223.

762 دراسة في أصوات المد العربية، ص107. وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية، ص222-223.

وأشار أبو حيان إلى ظاهرة التسكين في حركة الإعراب فقال:
((منع المبرّد التسكين في حركة الإعراب. وما ذهب إليه ليس بشيء)).
قال الشاعر⁽⁷⁶³⁾ :

فاليومَ اشربَ غيرَ مستحقِّبٍ إثمًا من الله ولا واغلبِ⁽⁷⁶⁴⁾

فالخذف للحركة في (اشرب) هو طلباً للتخفيف كما رأينا في قراءة أبي عمرو بن العلاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ البقرة/ الآية 67 بإسكان الراء من (يأمركم)، وقوله تعالى: ﴿ فتوبوا إلى بارئكم ﴾ البقرة/ الآية 54، بإسكان الهمزة من (بارئكم).

ويعلّل الدكتور النعيمي هذه الظاهرة من إسكان المتحرّك إلى الاختصار في الزمن والجهد ((ولذلك كان إسكان المتحرّك متّفقاً مع طبيعة البداوة التي تميل إلى السرعة في النطق))⁽⁷⁶⁵⁾. كما وعلّلها المطلي

763 البيت لامرؤ القيس ورد في ديوانه، ص122، وتشمّ منه رائحة الوضع لأنّ الخمرة في

الجاهليّة لم تكن دائماً في شريعتهم.

764 البحر المحيط 206/1.

765 الدراسات الصوتية واللهجيّة عند ابن جني، ص220.

بقوله : ((ولعلّ هذا الميل إلى التخفيف والهمز في اللهجات النجدية يعود إلى حذف صوت المدّ الموجود في نهاية المقطع المنبور))⁽⁷⁶⁶⁾.

766 دراسة أصوات المدّ العربيّة، ص181، وينظر: الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جنيّ ص220، قال د. حسام: (وبذلك يختصر المتكلم الجهد الذي يبذله جهازه الصوتي).

المبحث الرابع

اللسان التركي عند أبي حيّان

أولاً: أبو حيّان واللغات الأجنبية

اللغة العربية لغة مقدّسة ، لأنّها لغة التنزيل العزيز، فانكبّ عليها الدارسون دراسةً وتأليفاً، ولم يدعوا جانباً من الدرس اللغوي إلّا ولجوه، ولعلّ شغلهم بلغة القرآن المقدّسة قلّ من نظرهم انخروج من لغة القرآن إلى اللغات الأخرى، على الرغم من أنّ قسماً من النحويين واللغويين يؤلّفون بالعربيّة ويعرفون بالفارسيّة والتركيّة بسبب المعاشة في هذه البيئات، غير أنّ النحوي واللغوي أبا حيّان قد انبرى للتأليف في اللغات غير العربية التي أتقنها⁽⁷⁶⁷⁾. فكان أبو حيّان بذلك ((رائد التأليف في النحو التركي، وربما كان أيضاً أوّل مؤلّف في النحو الحبشي))⁽⁷⁶⁸⁾. فلم

767 فقد أتقن اللغات التركية والفارسية والحبشية، ينظر: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 187.

768 علم اللغة العربية، ص 123.

يشغله التأليف في النحو العربي والتفسير والقراءات والتجويد الولوج في دراسة هذه اللغات. ومن مؤلفاته في اللغات غير العربية (769) :

1. الأفعال في لسان الترك (ذكره في الإدراك).
2. الإدراك للسان الإتراك.
3. زهو الملك في نحو الترك (مفقود).
4. منطق الخرس في لسان الفرس (مفقود).
5. نور الغبش في لسان الحبش = جلاء الغبش عن لسان الحبش (مفقود).

كان أبو حيّان فقيهاً في علم اللغات المقارن، فقد أشار في تفسيره الكبير المسمّى البحر المحيط إلى ما يدعم ذلك، فقد قال: ((وأما قولهم : هندي وهندي في معنى واحد، وهو المنسوب إلى الهند ... نخرجه أصحابنا على أنّ الكاف ليست زائدة لأنّه لم تثبت زيادتها في موضع من المواضع، فيحمل هذا عليه، وإنّما هو من باب : (سبط و سبطر). والذي أخرجّه عليه إنّ من تكلم بهذا من العرب - إن كان تكلم به - فإنّما سرى إليه من لغة الحبش، لقرب العرب من الحبش، ودخول كثير من

769 علم اللغة العربية ، ص 123 ، وينظر: حول أبي حيّان ومؤلفاته : أبو حيّان النحوي: لخديجة الحديثي، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: لابن حجر العسقلاني 71/5، ونفح الطيب في الغصن الرطيب: للبقرئ 552/2.

لغة بعضهم في لغة بعض. والحبشة إذا نسبت، ألحقت آخر ما تنسب إليه كAFFاً مكسورة مشوبة بعدها ياء، يقولون في النسب إلى الفرس : (الفرسي)، وربما أبدلت تاء مكسورة، قالوا في النسب إلى (جبر) : جبرتي). وقد تكلمت عن كيفية نسبة الحبش في كتابنا المترجم عن هذه اللغة المسمى بجلاء الغبش عن لسان الحبش. وكثيراً ما تتوافق اللغتان، لغة العرب ولغة الحبش)) (770).

نستشف من هذا النص أنّ أبا حيّان قد عرف لغة الحبش وأدرك العلاقة بينها وبين العربية، كما ألف فيها تأليفاً مستقلاً. وقد طبع لأبي حيّان في اللغة التركية كتاب (الإدراك للسان الأتراك)، ويعدّ هذا المصنّف عظيم القيمة (771). والناظر في هذا المؤلّف يستطيع أن يقف على منهجه وغرضه في دراسة اللسان التركي، إذ ورد الإشارة إليه في مقدّمة مؤلّفه أسمعته يقول: ((الغرض من هذا الكتاب ضبط جملة عالية من لسان الترك لغةً (772) وتصريفاً ونحواً، وقد ضبطت هذا اللسان

770 البحر المحيط 162/4-163.

771 دائرة المعارف الإسلامية 333/1.

772 قصد أبو حيّان باللغة مدلول المفردة، قال: (ضبط كل لسان يحصل بمعرفة ثلاثة أشياء يحصل بمعرفة ثلاثة أشياء حداها مدلول مفردات الكلم ويسمى علم اللغة، والثاني إحكام تلك المفردات قبل التركيب ويسمى علم التصريف، والثالث إحكام حالة التركيب

حرفاً حرفاً، وربّت الكلام في اللغة إلى حروف المعجم باللسان التركي، فأذكر اللفظة التركيّة وأتبعها بمرادفها من اللغة العربية، ثمّ أرادفه بعلم التصريف ثمّ بعلم النحو)) (773).

ثانياً: موارد كتاب الإدراك

أمّا علم اللغة على المعنى الذي تقدّم قال أبو حيّان: ((فأخوذ عمّن أثق به في باب النقل ولي فيه الترتيب الغريب والتلخيص العجيب)) (774).

وواضح من ذلك أنّ أبا حيّان اعتمد التلخيص المقروء والمسموع في اللغة التركيّة في باب الدلالة، وجهد أبي حيّان انصبّ على التنظيم والعرض بصورة ملخّصة. أمّا علم التصريف والنحو فهو من جهد أبي حيّان الخالص ولم يأخذه عن غيره وهو مبتكر هذه الباب، يقول: ((وما كان فيه من علم التصريف وعلم النحو مما لم أنسج فيه على منوال بل استخرجته من القوّة إلى الفعل بالتطلب والتسأل)) (775).

= ويسمّى ع المتكلمين على اللسان العربي بعلم النحو) ينظؤ: مقدّمة كتاب الإدراك للسان الأتراك، ص 5.

773 مقدّمة كتاب (الإدراك للسان الأتراك، ص 5-6.

774 مقدّمة كتاب الإدراك للسان الأتراك، ص 6.

775 نفسه.

ثالثاً: أصوات اللغة التركية

قال أبو حيّان: ((حروف المعجم في هذا اللسان ثلاثة وعشرون حرفاً، وهي: (الهمزة، والباء الخالصة، والباء المشوبة، والتاء، والجيم الخالصة، والجيم المشوبة، والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والطاء، والغين، والقاف، والكاف الخالصة، والكاف البدوية، واللام، والميم، والنون الخالصة، والنون الخيشومية، والواو، والياء)، فمتى ما وجد في بعض الكلم حرف غير هذه، فيعلم أنّ تلك الكلمة غير تركيّة بل منقولة من لغة غيرها إلى هذه اللغة، مثل: (أخشم) ((776)).

نستنتج من هذا النصّ ما يأتي:

1. إنّ لسان الترك في زمن أبي حيّان لا يستعمل طرف اللسان وأسفل الثنايا العليا بدليل عدم وجود أصوات (الثاء، الذال، الطاء) ضمن حروف المعجم التركي، كما أنّ أصوات الحلق عندهم اثنان: للحنجرة صوت واحد هو (الهمزة) ولأدنى الحلق صوت واحد هو (الغين)، فقد خلت منطقة وسط الحلق من إنتاج أي صوت . ولا ندري بالنسبة لصوت (الغين) أهو من موضع يقرب من موضعيّ الكاف والقاف كما نسمعه اليوم في اللسان العربي أم من أدنى الحلق كما

- وصفه سيبيويه ؟ أمّا صوت الضاد فهو صوت عربي خالص يختصّ بلغتهم ولا يوجد في لغات العجم، وهو ما أطبق عليه الجماهير⁽⁷⁷⁷⁾، فلا غرابة أن يُعدم الصوت من أصوات اللغة التركية.
2. للباء في هذا اللسان صورتان: المجهورة، ونظيرها المهموس، فالخالصة هي الباء المجهورة، والباء المشوبة هي الباء المهموسة.
3. للجيم في هذا اللسان صورتان: الجيم المجهورة التي أطلق عليها أبو حيان (الخالصة)، تقابلها الجيم المهموسة التي أسماها (الجيم المشوبة) (ج).
4. للكاف صورتان أيضاً: الكاف البدويّة وهي المجهورة، والكاف الخالصة وهي المهموسة .
5. وجود النون الخالصة، والغنة التي سمّاها (النون الخيشومية) . يبدو من هذا الترتيب لحروف المعجم في اللسان التركي وجود الصوت المجهور ونظيره المهموس من الموضع نفسه، فالباء الخالصة المجهورة نظيرها الباء المشوبة المهموسة، والجيم الخالصة المجهورة نظيرها الجيم المشوبة المهموسة، والكاف البدويّة المجهورة ونظيرها الكاف الخالصة المهموسة، أمّا النون فتبقى مجهورة ولكن بخفاء النظير.

777 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 61.

6. أمّا صوتا (الواو) والياء) فيبدو أنّ أبا حيّان جرى عند تصنيفه لأصوات اللسان التركي على طريقته في تصنيف أصوات العربية حين جعلهما صامتين.

تناول أبو حيّان الحركات بقوله: ((فالأحادي متحرّك بضمة، ومتحرّك بفتحة، ومتحرّك بكسرة، مثال ذلك (صو) و (يا) و (جيز)، والحروف التي بعدها إشباع وليست أصلاً، وكذلك جميع حروف المدّ واللين الثلاثة لا يكون شيء منها أصلاً في هذه اللغة، بل إنّما هي نواشيء عن إشباع الحركات))⁽⁷⁷⁸⁾. ويبدو من ذلك أنّ الحركات القصيرة هي الأساس في مصوّنات اللسان التركي والأكثر دوراً.

رابعاً: صفات الأصوات التركيّة

لم يضع أبو حيّان عنواناً أو مبحثاً يعالج فيه صفات الأصوات التركية كما فعل في الارتشاف، ولكنّه أشار إلى أنّ قسماً من الصفات، وهي الترقيق والتفخيم، والمشوب والخالص، والمنقول من ألسنه أخرى من خلال معجم وضعه للغة التركية⁽⁷⁷⁹⁾ في كتابه السالف، وكان يشير إلى هذه الصفات عند ذكر الكلمة برموز أشار إليها في المقدمة، فقال:

778 الإدراك للسان الأتراك، ص 101.

779 فقد وضع في صدر كتابه معجماً للغة التركيّة نظمه على الطريقة الهجائية، حيث بدأ بالهمزة مع الباء وانتهى بالياء.

((ووضعت علامة للهرق (ق)، وللمفخم (خ)، وللمشوب (ش)،
وللمنقول من لسان الفرس (ف)، وللمنقول من لسان التركان
(ت)))⁽⁷⁸⁰⁾. وهاك أمثلة على ذلك:

1- ((أب (خ، ش) - قبل))⁽⁷⁸¹⁾، يعني أنّ الهمزة مفخّمة، والباء
مشوبة.

2- ((بجق (ش) - السكين))⁽⁷⁸²⁾، يعني أنّ الباء تلفظ مشوبة.

3- ((بوز (ق) - الجليد))⁽⁷⁸³⁾، يعني أنّ الباء مرقّقة.

4- ((جولدز (ف) - المسلة))⁽⁷⁸⁴⁾، يعني أنّ الكلمة منقولة من
الفرس.

ولم يفصح أبو حيّان عن تحليل هذه الرموز، بل اكتفى بذكرها بعد
الكلمة.

780 مقدمة الإدراك للسان الأتراك، ص 6

781 نفسه، ص 7.

782 الإدراك للسان الأتراك، ص 29.

783 نفسه، ص 30.

784 الإدراك للسان الأتراك، ص 45.

خامساً: الإبدال في الصوامت التركيبية (الصحاح)

قال أبو حيان في باب البديل: ((البديل في هذه اللغة قليل، وحروفه قليلة، وهي: (الهمزة، والقاف، والسين، والذال، والصاد، والتاء، والياء، والزاي))⁽⁷⁸⁵⁾. فيبدو أنها قليلة قياساً للغة العربية، إذ أنّ الإبدال في الصحاح العربية يكثر في غالب الأصوات، قال أبو حيان: ((إنّ جميع حروف المعجم جاء فيها البديل... إلّا (الحاء، والحاء، والذال، والظاء، والضاد، والعين، والقاف))⁽⁷⁸⁶⁾.

1- إبدال الهمزة بـاء

قال أبو حيان: ((فأما الهمزة فتبدل بـاء، قالوا: (أَبَقَّ، أصله أَبَاقُ) فأبدلت الهمزة بـاء أدغمت في الباء))⁽⁷⁸⁷⁾، فالبديل حصل لأجل الإدغام.

ولعلّ وقوع الباء بين همزتين وهما صوتان شديدان من أصعب الأصوات، والباء شديدة أيضاً، فاجتمعت أربعة أصوات شديدة متتالية، وهذا فيه من الصعوبة ما يفرّ منه اللسان نحو اليسر، أبدلت إحدى

785 الإدراك للسان الأتراك، ص 116.

786 ارتشاف الضرب من لسان العرب 1/125.

787 الإدراك للسان الأتراك، ص 116.

الهمزتين - وهي الثانية - بَاءً، وتوفيراً للجهد والسهولة أدغمت الياء في الياء الأولى لأنها ساكنة والثانية متحركة طلباً للتخفيف.

2- إبدال القاف غيناً

قال أبو حيان: ((القاف تبدل غيناً، وقالوا: (أَغْرَدِي، أصله أَقْرَدِي) لَأَنَّ (أَقْ هو الأبيض)، وقالوا: (بُزْغُش، أصله بُزْقُش) أي الطائر أبيض))⁽⁷⁸⁸⁾. ولعلّ تقارب مخرجي القاف والغين مع سهولة صوت الغين أدى إلى إبدال القاف منها.

3- إبدال السين صاداً

قال أبو حيان: ((السين تبدل صاداً، قالوا: (أُظْطِرْ))⁽⁷⁸⁹⁾، فصوت الصاد رخو مهموس هو يشبه السين في كل شيء سوى أَنَّ الصاد أحد أصوات الإطباق⁽⁷⁹⁰⁾، فتحقيقاً للمماثلة بين الأصوات أبدل صوت السين إلى صاد، ولوجود صوت الظاء وهو يشترك مع الصاد في الإطباق.

788 الإدراك للسان الأتراك، ص 116.

789 الإدراك للسان الأتراك، ص 116.

790 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 76.

4- الإبدال بين الدال والتاء

قال أبو حيان: ((الدال تبدل تاءً، قالوا: (إِشْتَرْدَى، أصله إِشْتَرْدَى)، والتاء تبدل دالاً، قالوا: (دَمَرٌ، أصله تَمَرٌ، و دُتْنٌ، أصله تُنُّ، و دِرْزٌ، أصله تِرْزٌ، و دَكَا، أصله تَكَا، و دَلُو، أصله تَلُو)...) (791).

فلا فرق بين صوت التاء وصوت الدال سوى أن التاء مهموسة والدال نظيرها المجهور (792)، فهما متّحدان بالخرج فأتيح ذلك التقارب حدوث الإبدال.

5- إبدال التاء طاء

قال أبو حيان: ((وتبدل طاء، قالوا: (طَطِي، أصله طُطِي)) (793). وذلك إذا اجتمع في الكلمة صوتان يتصف كل منهما بصفة تناقض الأخرى، كالجهر والهمي، والإطباق والفتح، وكان في تحقيق الصوتين مشقة وعسر، مال المتكلم إلى خلع صفة إحداهم على الآخر (794).

791 الإدراك للسان الأتراك، ص 116-117.

792 ينظر: الأصوات اللغوية 48-61.

793 الإدراك للسان الأتراك، ص 117.

794 الوجيز في فقه اللغة : محمد الأنطاكي، ص 270.

كما أنّ التاء والطاء يشتركان في صفة الشدة دون (الظاء والصاد والضاد)، كما أنّ التاء والطاء يشتركان في المخرج، فكلاهما من طرف اللسان أصول الثنايا العليا، فحصل الإبدال.

6- إبدال الباء ميماً

قال أبو حيان : ((الباء تبدل ميماً، قالوا: (كُمُكُكُ، أصله كُبُكُكُ))⁽⁷⁹⁵⁾. فصوتا الميم والباء اشتركا في المخرج، فهما من الأصوات الشفوية، وتجانسا أيضاً في الانفتاح والاستفال⁽⁷⁹⁶⁾. فربما هذا التقارب بين الصوتين حدا اللسان التركي أن يبدل الباء ميم كما في المثال السابق.

7- إبدال الزاي صاداً

قال أبو حيان: ((الزاي تبدل صاداً، قالوا: (طُقُصَنُ، أصله طُقُزَنُ))⁽⁷⁹⁷⁾. لاتفاقهما في المخرج وبعض الصفات مثل الصفيير، كذلك لأنّ صوت القاف الذي يسبق الزاي من الأصوات المستعلية،

795 الإدراك للسان الأتراك، ص 117.

796 ينظر: الأصوات اللغوية، ص 45.

797 الإدراك للسان الأتراك، ص 117.

لذلك سهلت عملية إبدال الزاي صادًا لأنّ الصاد أيضًا من الأصوات المستعلية.

سادسًا: الإدغام في اللغة التركية

قال أبو حيّان: ((الإدغام أمّا في الكلمة وأمّا في الكلمتين، أمّا في الكلمة فهو قليل جدًا لم يحفظ منه إلّا (ألّ) في العدد بمعنى الخمسين، و (يضي) وهو الصفيح من حديد وحجر وغير ذلك))⁽⁷⁹⁸⁾.

اكتفى أبو حيّان بهذا النص عن الإدغام بعيدًا عن التفصيل وذكر الأمثلة.

سابعًا: اللغات التركية الأخرى

أشار أبو حيّان في كتاب الإدراك للسان الأتراك إلى اللغات الأخرى المستخدمة على ألسنة الأتراك (اللهجات) غير اللغة التركية الأصل، وكان يشير في كتابه إلى الاختلافات الدلالية والصرفية والنحوية بين لغة الترك من جهة واللغات الأخرى الشائعة إلى جانب اللغة التركية من جهة أخرى، أمّا اللغات التي ورد ذكرها في كتابه هي: لغة بلغار، لغة

798 الإدراك للسان الأتراك، ص 117.

التركان، لغة كردستان، لغة قبجاق، لغة طُقُصُبا، وهاك قسماً من الأمثلة جاء فيها ذكر هذه اللغات:

- 1- قال أبو حيّان: ((لا توجد الذال في لغة أكثر الترك، وأمّا في لغة بلغار فتوجد، ومنه: (إذى - الرب، أذق - الرجل)))⁽⁷⁹⁹⁾.
- 2- وقال: ((أزرا - بمعنى على) وهي لغة التركان (أكثر))⁽⁸⁰⁰⁾.
- 3- وقال: ((أغل - الابن، وبالقبجاق (أول))⁽⁸⁰¹⁾.
- 4- وقال: ((أطو - بلغة طُقُصُبا (الجزيرة)، وبلغة غيرهم (أطرج))⁽⁸⁰²⁾.
- 5- وقال: ((أيدي - تام، وإبدال الياء ذالاً لغة تركستانية، وقالوا: (أذدى))⁽⁸⁰³⁾.

799 الإدراك للسان الأتراك، ص 9.

800 الإدراك للسان الأتراك، ص 13.

801 الإدراك للسان الأتراك، ص 16.

802 الإدراك للسان الأتراك، ص 15.

803 الإدراك للسان الأتراك، ص 26.

الخلاصة

استوفيت في الفصول الثلاثة التي يتألف منها البحث الكلام عن علم الصوتيات مزاجاً بين القديم وما وصل إليه عند المحدثين، من خلال إحياء جهود عالم قد ولج في مجالات شتى أبدع فيها، ومنها الجانب الصوتي.

فقد درس أبو حيّان الصوت العربي من أجل ضبط مخارج الحروف وصفاتها، وتعليمها لمن يريد إتقان العربية إتقاناً سليماً، لاسيما العجم، وهو اتجاه جديد جاء من خلال تأثره بعلم التجويد الذي نحا هذا المنحى في دراسة الأصوات، لاسيما أنّ أبا حيّان لم يكن نحويّاً فحسب، بل كان أيضاً عالماً كبيراً من علماء التجويد والقراءات، غير أنّ دراسته الصوتية سارت في المنحى نفسه الذي سار عليه من تقدّمه من النحاة، إذ لم يفرد أبو حيّان مؤلفاً مستقلاً لدراسة الصوت العربي، وجاءت دراسة الصوت عنده ضمن كتابه (ارتشاف الضرب من لسان العرب) ذي المنهج المميّز في جعل الدراسة الصوتية قبل الدراسة الصرفية والنحوية الذي تغلّبت فيه الدراسة الصرفية والنحوية على الدراسة الصوتية.

وقد اتّبع أبو حيّان عرض الآراء ومناقشتها واتّخاذ الموقف المناسب منها في الترجيح معتمداً على ثقافته وعلمه في التحليل والتعليل، وغالباً ما يتّخذ من كلام سيبويه دستوراً يقف بجانبه في دراسته الصوتية مع كثرة عرضه لآراء العلماء.

كما أسّس أبو حيّان انعطافة جديدة بدراسته الصوتية، فبعد أن كان عالم التجويد يأخذ من النحوي، عكس أبو حيّان المسألة، وصار يعتمد على آراء علماء التجويد ومذاهبهم في تحليل الظواهر الصوتية ووصفها وتقريرها، وصرنا نجد رأي عالم اللغة بجانب رأي عالم التجويد في دراسته، هذا من شأنه أن يحدث تداخلاً في الدراسة الصوتية بين علماء العربية وعلماء التجويد، فتميّز جهد هذا العالم وأصبحت دراسته حلقة وصل بين الفريقين ومذهب جديد لم يسبق إليه.

انفرد أبو حيّان ي باب المخارج في طريقه الترتيب العددي في تقسيمه لمخارج الأصوات العربية، كما أنّه لم يعالج مخارج الحركات كما عالجها الدرس الصوتي الحديث، ومثله مثل غيره من علماء العربية الأوائل.

وقد انتهج أبو حيّان منهج الجمع بين الجهر والهمس، والشدة والرخاوة على الصوت الواحد، مع انفراده باستخدام مصطلح الأصوات المتوسطة التي أراد بها الأصوات البينية التي ذكرها من سبقه. وأطلق مصطلح الأصوات الصفرية على الأصوات الصفرية عند غيره، والقياس إلى جانبه، وكانت له جهود متميزة في الأصوات المشكلة ومنها صوتا الضاد والظاء، إذ اعتنى من خلال رسالة مستقلة له بأحكام الحرفين والقوانين التي تضبط نطقهما.

سمى أبو حيّان أعضاء النطق بمسمياتها المعروفة، ولكنه لم يفرد باباً خاصاً لأعضاء النطق، ووصفها بدراسة متخصصة كما فعل علماء التجويد.

أدرك أبو حيّان أثر المجاورة بين الأصوات، إذ تعرّض صفاتها ومخارجها للتغيير الجزئي أو الكلي إذا نطق بها متصلة وذلك بحسب طبيعة الصوت وما يجاوره، وإنّ هذا التأثير لا يقتصر على الأصوات الصامتة، بل يتجاوزه إلى الأصوات الصائتة. كما أدرك أثر اختلاف اللهجات العربية واختلاف القراءات في تغيير نطق الصوت وتحوله وإبداله من صوت إلى آخر، ونتيجة لذلك ظهرت ظواهر لهجية عديدة ذكر قسمًا منها.

توسّع الدرس اللغوي ومنه الجانب الصوتي عند أبي حيّان إلى لغات أخرى غير عربيّة، فقد تناولها بالدرس والتحليل، وما ذلك إلاّ شاهد على تمكّن الرجل من سبر أغوار لغات غير عربيّة منها اللغة التركيّة والحبشيّة وغيرهما.

وأخيراً وليس آخراً كانت لهذا العالم مساهمة فاعلة وجادة بدراسة الصوت اللغوي والوقوف على أسرارهِ وخفائهِ، فكانت هذه الدراسة كاشفة عمّا أراد أبو حيّان أن يقوله في الدرس الصوتي معتمدة كتبه وما نقل عنه من آراء وأفكار، وما جاء به الدرس الصوتي الحديث.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أبو حيّان النحوي - الدكتور خديجة الحديثي، ط1، مطابع دار التضامن، بغداد 1966م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر- للدمياطي (أحمد بن محمد الشهير بالبناء ت 1117هـ)، المطبعة اليمنية، القاهرة 1317 هـ.
- الإتيقان في علوم القرآن - للسيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة 1967م.
- الإدراك للسان الأتراك - أبو حيّان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، ت: 745هـ)، تصحيح جعفر أوغلي أحمد، اسطنبول، مطبعة الأوقاف 1984م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب - لأبي حيّان (أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، ت: 745 هـ)، تحقيق : مصطفى النّماس، مطبعة النسر الذهبي 1984م.

- الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء - لأبي حيّان الأندلسي، تحقيق : الشيخ محمد آل ياسين، طبع ببغداد عام 1961م مع رسالة أخرى هي المختصر في الفرق بين الضاد والظاء: لمحمد بن نشوان الحميري.
- أساس البلاغة - للزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، ت 538هـ) القاهرة 1960م.
- أسباب حدوث الحروف - لابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، ت: 428هـ)، نشره فلاديمير اخوليديان، دار النشر متسنياريا، تفليس 1966م.
- أسس علم اللغة - ماريوباي، ترجمة : د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا عام 1973م.
- إصلاح المنطق: لابن السكيت (يعقوب بن إسحاق بن السكيت، ت: 244هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هرون، ط 3، مطبعة دار المعارف بمصر، 1970م.
- أصوات العربية بين التحوّل والثبات - د. حسام النعيمي، سلسلة بيت الحكمة 1989م.
- أصوات العربية واقعها ومستقبلها - د. حسام النعيمي، مجلّة المجمع العلمي العراقي، المجلد 37، ج 1، عام 1987م.

- أصوات القرآن كيف نتعلمها ونعلمها - يوسف الخليفة أبو بكر، مكتبة الفكر الإسلامي، الخرطوم 1973م.
- الأصوات اللغوية - د. إبراهيم أنيس، ط5، مكتبة الانجلومصرية 1979م.
- الأصول في النحو - لابن السراج، ت316هـ، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة 1984م.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم - لابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد، ت370هـ)، طبعة دار الكتب المصرية 1941م.
- الاقتراح في علم أصول النحو - للسيوطي، تحقيق: أحمد الحمصوي أحمد محمد قاسم، جروس برس، ط1، 1988م.
- الإقناع في القراءات السبع - لابن الباذش (أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد، ت504هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، من منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في كلية الشريعة بجامعة أم القرى، مطبعة دار الفكر، دمشق، 1403هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين - لابن الأنباري (أبو البركات الأنباري، ت577هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة السعادة الرابعة 1961م.

- الإيضاح العضدي - لأبي علي الفارسي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، ط1، 1969م.
- الإيضاح في شرح المفصل - لابن الحاجب (أبو عمرو عثمان بن عمر، ت 646هـ)، تحقيق موسى بناي العليلي، سلسلة إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد 1983.
- البحث اللغوي عند العرب - د. أحمد مختار عمر، مطابع سجل العرب مصر 1971م.
- البحر المحيط - لأبي حيّان الأندلسي، مطابع النصر الحديثة، الرياض د.ت.
- البرهان في علوم القرآن - للزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله، ت: 794هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1972م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - للسيوطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1964م.
- البيان والتبيين - للجاحظ (أبو عمر عثمان الجاحظ، ت: 225هـ) ن تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة 1961م.

- تاج العروس من جواهر القاموس - للزبيدي (محمد بن مرتضى الزبيدي، ت: 1205هـ)، أوفست عن الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية، مصر د.ت.
- تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري (إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر 1337هـ).
- تاريخ الفكر الأندلسي - أنخل جنثالث بالثيا، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، ط1، القاهرة 1955م.
- التحديد في الإتيان والتجويد - للداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني لأندلسي، ت: 444هـ) دراسة وتحقيق د. غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، بغداد 1988م.
- التدريب في تمثيل التقريب - لأبي حيّان الأندلسي، تحقيق: نهاد فليح حسن، مطبعة الارشاد، بغداد 1987م.
- التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه - د. رمضان عبد التواب، طبعة الخانجي الأولى، 1983م.
- التطور النحوي للغة العربية - المستشرق الألماني براجستراستر، عني بطبعها محمد حمدي البكري، مطبعة السماح، القاهرة.

- التفكير الصوتي عند العرب - هنري فليش، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج23، 1968م.
- التمهيد في علم التجويد - لابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد، ت: 833هـ)، ط1، القاهرة 1908م.
- تهذيب اللغة - للأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد، ت: 370هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1964م.
- التيسير في القراءات السبع - للداني، عني بتصحيحه أوتوبرتزل، مطبعة الدولة باستانبول 1930م.
- الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت: 671هـ)، ط3، عن طبعة دار الكتب، دار الكتاب العربي 1967م.
- الجمل - للزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، ت: 337هـ)، تحقيق: ابن أبي شنب الجزائري، ط2، مطبعة كلنكسيك، باريس 1957م.
- جمهرة اللغة - لابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، ت: 321هـ)، ط1، مطبعة دار المعارف، حيدر آباد الدكن 1344هـ.

- حاشية الصبان على شرح الأشمولي - (محمد الصبان، ت: 1206م)،
دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي د.ت.
- الحجة في القراءات السبع - لابن خالويه، تحقيق: عبد العال سالم
مكرم، دار الشروق، بيروت 1971م.
- حجة القراءات - (أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة)، تحقيق:
سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت 1984م.
- خزانة الأدب ولب لسان العرب على شرح شواهد الكافية -
للبيгдаدي (عبد اغلقادر بن عمر البيгдаدي، ت: 1093هـ)، ط1،
المطبعة الميرية ببولاق، مصر د.ت.
- الخصائص - لأبن جني (ابو الفتح عثمان، ت: 392هـ)، تحقيق:
محمد علي النجار/ ط2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، وطبعة
دار الكتب، مصر 1952م.
- دائرة المعارف الإسلامية - نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي
وآخرون، 1933م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد - د. غانم قدوري الحمد، مطبعة
الخلود، بغداد 1986م.
- دراسات في علم اللغة - د. كمال محمد بشر، ج1، دار المعارف، مصر
1969م.

- دراسات في فقه اللغة - صبحي الصالح، ط2، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني - د. حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد، بغداد 1980م.
- دراسة الصوت اللغوي - د. أحمد مختار عمر، ط1، القاهرة، 1976.
- دراسة في أصوات المد العربية - د. غالب المطليبي، طبعة دار الحرية، بغداد 1984م.
- دروس في علم أصوات العربية - جان كاتينو، ترجمة : صالح القرمادي، الجامعة التونسية، 1966م.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سعيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1348هـ.
- ديوان امرؤ القيس - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار المعارف، مصر، 1969م.
- ديوان عنتره - بشرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، المكتبة التجارية، القاهرة، 1963م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة - مكي بن أبي طالب القيسي (ت: 437هـ)، تحقيق : د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1980م.

- سر صناعة الإعراب - لابن جني، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1954م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - (نور الدين الأشموني، ت: 929هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، بيروت، 1955م.
- شرح التصريح على التوضيح - للأزهري (الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري، ت: 900هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة د.ت.
- شرح ديوان جرير- محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين، دار المعارف، مصر 1971م.
- شرح الشافية - للجاربردي (نفر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن التبريزي، ت: 746هـ)، طبعة عالم الكتب، بيروت.
- شرح الشافية - للاسترابادي (رضي الدين محمد بن الحسن، ت: 686هـ)، تحقيق: محمد الزفزاف وآخرون، مطبعة حجازي بالقاهرة.
- شرح الكافية للاسترابادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.
- شرح المفصل - لابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، ت: 604هـ)، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، د.ت.
- شواهد أبي حيان في تفسيره - د. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، 1989م.

- طبقات الشعراء - لابن سلام، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- ظاهرة التنافر في اللغة العربية - د. موسى رحيمة جبر، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1989م.
- العربية الفصحى - هنري فليش، تعريب: عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، ط1، بيروت، 1966م.
- علم الأصوات عند سيبويه وعندنا - أ. شادة (مستشرق الماني) نشرت محاضراته في صحيفة الجامعة المصرية السنة الثانية، 1931م، العدد الخامس.
- علم اللغة العربية - محمود فهمي مجازي، وكالة المطبوعات، الكويت 1973م.
- علم اللغة العام - القسم الثاني، الأصوات، د. كمال محمد بشير، ط2، دار المعارف بمصر 1971م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي - د. محمود السمران، دار المعارف، مصر 1962م.
- العين - (للخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: 175هـ)، تحقيق: مهدي الخزومي وإبراهيم السامرائي، طبعة دار الحرية 1981م.

- غاية النهاية في طبقات القراء - لابن الجزري، تحقيق : براجستراسر، كتبه الخانجي، مصر 1932م.
- فصول في فقه العربية - د. رمضان عبد التواب، ط1، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1973م.
- فقه اللغة - د. علي عبد الواحد وافي، ط7، الفجالة، القاهرة.
- فن التجويد - عزّة عبيد دعاس، ط1، مطبعة الميناء، بغداد 1987م.
- الفوائد الضيائية - للجامي (نور الدين عبد الرحمن الجامي، ت: 898هـ)، تحقيق: أسامة الرفاعي، مطبعة الأوقاف ببغداد، 1983م.
- في اللهجات العربية - د. إبراهيم أنيس، ط2، لجنة البيان العربي، 1952م، و ط3، 1965م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث - عبد الصبور شاهين، الخانجي، 1966م.
- قواعد التلاوة وعلم التجويد - فرج توفيق الوليد، ط1، دار الرسالة، بغداد، 1974م.
- الكتاب - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان، ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982م.

- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - للزمخشري، ت: 528هـ، دار الكتاب العربي، بيروت .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وججها - مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1974م.
- لسان العرب - لابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي المصري، ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، 1955م.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات - للقسطلاني (شهاب الدين القسطلاني، تك 923 هـ)، تحقيق: عبد الصبور شاهين والشيخ عامر السيد عثمان، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ن 1972م.
- اللغة العربية عبر القرون - محمود فهمي حجازي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968م.
- اللغة العربية مبناها ومعناها - د. تمام حسان، طبعة الهيئة المصرية للكتاب الثانية، 1979م.
- اللمع في العربية - لابن جني، تحقيق: فائز فارس، طبعة دار الكتب الثقافية .
- اللهجات العربية في التراث - د. أحمد علم الدين الجندي، مطابع الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة - د. غالب المطلي، محل النشر والناشر، وزارة الثقافة والفنون، سلسلة دراسات (115)، 1978م.
- ليس في كلام العرب - ابن خالويه، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبعة مكة المكرمة، 1979م.
- مجالس ثعلب - (لأبي العباس يحيى ثعلب، ت: 291 هـ)، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1960م.
- مجموعة الشافية من علمي الصرف والنحو - متن الشافية وشرحها للجاربردي، وحاشية ابن جماعة الكفاني على الشرح، طبعة عالم الكتب، بيروت.
- محاضرات في اللغة - عبد الرحمن أيوب، مطبعة المعارف، بغداد، 1966م.
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - لابن جني، تحقيق: عي النجدي وآخرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1969م.
- المحيط في أصوات العربية نحوها وصرفها - محمد الأنطاكي، ط1، بيروت، 1972م.

- المخصّص - (علي بن اسماعيل بنسيدة، ت: 458هـ)، المكتب التجاري للطباعة، أوفست عن طبعة المطبعة الكبرى الميرية، القاهرة، 1321هـ.
- المدخل إلى علم الأصوات - دراسة مقارنة - د. صلاح الدين صالح حسين، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط1، 1981م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي - د. رمضان عبد التواب، مطبعة الخانجي، ط2، 1985م.
- مدخل إلى علم اللغة - د. محمود فهمي حجازي، القاهرة، 1978م.
- المزهر في علوم اللغة - للسيوطي، تحقيق: جاد المولى ونحرون، دار الكتب العربية، ط4، 1985م.
- المصادر العربية القديمة لدراسة الصوت اللغوي - عبد العلي الودغيري، مجلة المناهل المغربية العدد 28 لسنة 1983م.
- المصطلح الصوتي - عبد العزيز أحمد، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1988م.
- المطالع السعيدة في شرح الفريدة - للسيوطي، تحقيق: نبهان ياسين حسين، دار الرسالة للطباعة، بغداد، 1977م.
- معاني القرآن - للأخفش (سعيد بن مسعدة، ت: 215هـ) تحقيق: فائز فارس، مطابع الكويت.

- معاني القرآن - للفرّاء (أبو زكريا يحيى بن زياد، ت: 207هـ)، تحقيق: عبد الفتاح شلبي وآخرون، القاهرة 1972م.
- معجم القراءات القرآنية - د. عبد العال سالم مكرم، ود. أحمد مختار عمر، ط1، مطبوعات جامعة الكويت 1988م.
- المغرب من الكلام الأعجمي - للجواليقي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط2، 1969م.
- المقتصد في شرح الإيضاح - للجرجاني (عبد القادر الجرجاني، ت: 471هـ)، تحقيق: كاظم بحر المرجان، طبعة دار الرشيد، سلسلة كتب التراث (115) لسنة 1982م.
- المقتضب - للبرد (أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ت: 285هـ)، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- المقرب - لابن عصفور الإشبيلي، ت: 696هـ، تحقيق: أحمد عبد الستار الجوّاري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، 1971-1972م.
- اللّمع في التصريف - لابن عصفور، تحقيق: نحر الدين قباوة، دار الآف، بيروت، 1978م، وطبعة حلب، 1970م.
- مناهج البحث في اللغة - د. تمام حسان، طبعة الأنجلومصرية، 1955م.

- النشر في القراءات العشر - لابن الجزري، باعتناء علي بن محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد بمصر.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - للمقري (الشيخ أحمد بن محمد المقري)، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1968م.
- النهر الماد من البحر - أبو حيّان الأندلسي، مطابع النصر الحديثة، الرياض، د.ت.
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع - للسيوطي، تصحيح: النعساني، دار المعرفة، بيروت.
- الواضح في علم العربية - للزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن، ت: 379هـ)، تحقيق: أمين علي السيد، دار المعارف بمصر، 1975م.
- الوجيز في فقه اللغة - محمد الأنطاكي، ط2، دار الشروق.

Bibliotheca Alexandrina



1503110



9 789957 992163

دار أمجد للنشر والتوزيع

جوال : ٠٠٩٦٢٧٩٦٩١٤٦٢٢
هاتف : ٠٠٩٦٢٦ ٤٦٥٢٢٧٢
فاكس : ٠٠٩٦٢٦ ٤٦٥٢٢٧٢
٠٠٩٦٢٧٩٦٩١٧٠٢
٠٠٩٦٢٧٩٦٨٠٢٦٧٠

dar.almajd@hotmail.com

dar.amjad2014dp@yahoo.com

عمان - الأردن - وسط البلاد - مجمع الفجيس - الطابق الثالث

